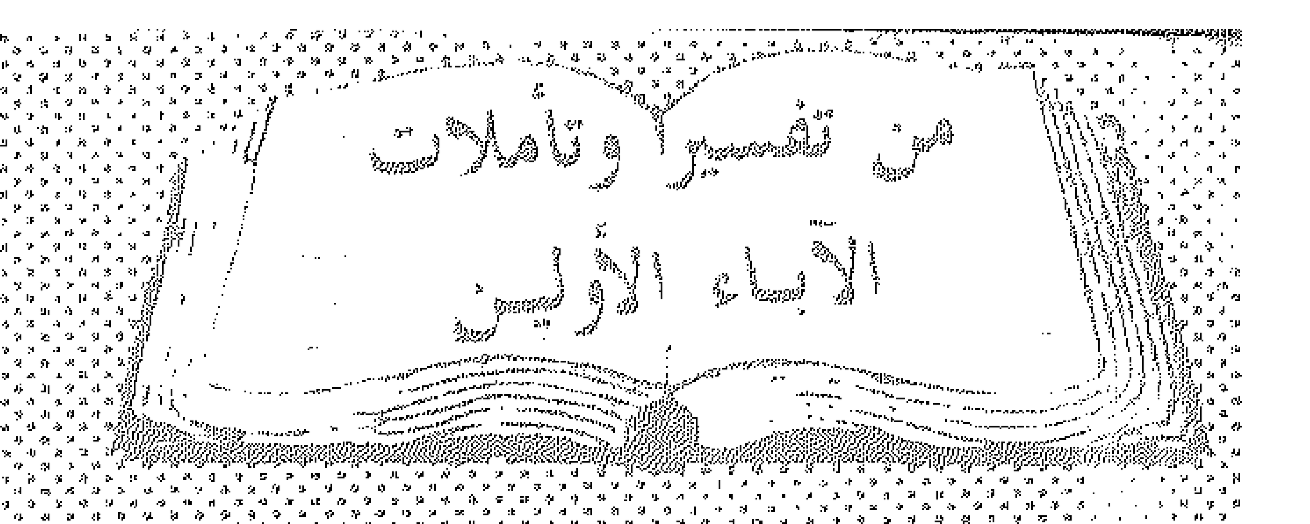



# صموئيل الثاني



القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين



القمص تادرس يعقوب ملطى

بسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد
آمين

**اسم الكتـــاب** : صموئيل الثانى .
**اسم المؤلـــف** : القمص تادرس يعقوب ملطى .

**الجمـع التصويرى** : مركز الدلتا للجمع التصويرى باسبورتنج — اسكندرية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٨٩/٥٦٩٥ .



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# مقدمة فى سفر
# صموئيل الثانى

لما كان هذا السفر فى الأصل العبرى هو تكملة لسفر صموئيل الأول لذا نرجو الرجوع إلى مقدمة السفر السابق .

بحسب التقليد اليهودى هذا السفر من وضع ناثان النبى وجاد النبى وبعض ممن تربوا فى مدارس الأنبياء التى أنشأها صموئيل النبى . دُعى فى الترجمة السبعينية « سفر الممالك الثانى » .

## تاريخ كتابته

بعد انقسام المملكة وقبل السبى ، حيث يُذكر فيه مدة حكم داود الملك كاملة (٢ صم ٥ : ٥) ، ويذكر ملوك يهوذا تمييزاً لهم عن ملوك إسرائيل (١ صم ٢٧ : ٦) .

## سِماته

١ــ موضوعه هو عرض لحياة داود الملك بعد جهاده فى السفر السابق مع شاول الملك وموت الأخير على أيدى الأعداء فى نهاية السفر السابق . عرض لتبوّء داود العرش وحروبه وإصعاده التابوت إلى أورشليم ، كما عرض لسقطات داود فى بعض الخطايا وما سببته له من متاعب وأحزان لم تنقطع . بمعنى آخر هذا السفر يمثل تاريخ الشعب فى مدة حكم داود ، حوالى أربعين عاماً . وتعتبر دراسته ذات أهمية خاصة لكل من يريد أن يفهم مزامير داود .

لا نعجب من تخصيص جزء كبير من الكتاب المقدس لترجمة شخص واحد ، فإن داود فى الواقع هو المؤسس الحقيقى للمملكة وليس شاول ، أعد لابنه المواد وهيأ الجو لبناء الهيكل ، ورتب خدمة العبادة ، ووضع أكثر المزامير ، وتنبأ عن السيد المسيح مشتهى الأمم الذى جاء من نسله حسب الجسد .

٢ــ شمل هذا السفر قصائد وأناشيد متعددة مثل رثاء داود لأبنير (٢ صم

٣ : ٣٣، ٣٤) ، ونشيد النصرة (٢ صم ٢٢) ، وكلمات داود الأخيرة (٢ صم ٢٣) .

٣ــ يكشف هذا السفر عن سمو حياة داود العجيبة ، كما عن ضعفاته وما قدمته الخطية من ثمار قاتلة ... وكأنه لا يوجد من يقدر أن يتبرر أمام الله حتى رجاله العظماء ! يمثل هذا السفر تحذيراً لكل إنسان خاصة بالنسبة للمؤمنين ، وكما يقول القديس بولس الرسول : « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » ١ كو ١٠ : ١٢ . هذا ما دفع **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن يهتم بخلاص نفسه وسط خدمته لشعب الله ؛ إذ يقول : « إن كلامى أكثر فائدة لحياتى من الذين يسمعوننى »[١] .

**أقسامه**

**أولاً : انتصارات داود النبى**

| | |
|---|---|
| ١ـــ نصرته على بيت شاول | ١ـــ٤ |
| ٢ـــ نصرته على اليبوسيين والفلسطينيين | ٥ . |
| ٣ـــ إحضار تابوت العهد | ٦ـــ٧ . |
| ٤ـــ نصرته على الأمم المقاومة له | ٨ـــ١٠ . |

**ثانياً : ضعفات داود ومتاعبه**

| | |
|---|---|
| ١ـــ داود وامرأة أوريا الحثى | ١١ـــ١٢ . |
| ٢ـــ متاعب خطية أمنون | ١٣ . |
| ٣ـــ ثورة ابشالوم ضده | ١٤ـــ١٩ . |
| ٤ـــ ثورة شبع بن بِكْرى | ٢٠ . |
| ٥ـــ مجاعة بسبب الجبعونيين | ٢١ . |
| ٦ـــ نشيد النصرة وكلماته الأخيرة | ٢٢ـــ٢٣ . |
| ٧ـــ الإحصاء والوباء | ٢٤ . |

**ملاحظة : ما ورد هنا عن إسرائيل فى العهد القديم قد صار ميراثاً لإسرائيل أى كنيسة العهد الجديد وليس لدولة إسرائيل .**

# الباب الأول

## انتصارات داود النبى

فى السفر السابق ظهر داود النبى كرجل الله الحق ، الذى غلب وانتصر ، لا على الآخرين ، بل فى حياته الداخلية . لقد سقط شاول الملك مطارده بين يديه على الأقل مرتين ولم يقبل أن يمد يده على مسيح الرب . وعندما ثار على نابال الأحمق وعزم أن ينتقم لنفسه سمع لمشورة أبيجايل الحكيمة وباركها لأنها منعته عن الانتقام لنفسه . الآن ، سقط شاول وبنيه فى الحرب ، فانكشف بالأكثر اتساع قلب داود بالحب الخالص . لقد نسى إساءات شاول واضطهاداته المستمرة ، كما لم ينشغل بنفسه بكونه مستحقاً أن يتولى عرش المملكة ، إنما رثى شاول ويوناثان ، متذكراً الجوانب الطيبة فيهما ، فحسبهما حلوين. وكان يرثيهما بقلبه ودموعه كما بلسانه وشفتيه .

استحق صاحب هذا القلب الكبير أن يتمتع بنصرات مستمرة على الأمم المحيطة به والمقاومة حيث ثبتت مملكته ، لا ليتسلمها سليمان ابنه من بعده فحسب ، وإنما بالحرى ليأتى من نسله المسيا المخلص يملك إلى الأبد على قلوب مؤمنيه ، مقيماً ملكوت الله داخلهم .

\+ + +

# الأصحاح الأول

## داود يرثى شعبه

انتصر داود على عماليق وردّ المسبيين وعاد يحمل الغنائم الوافرة ليوزع منها على شيوخ يهوذا ، ويجدد المساكن بعد حرق صقلغ (١ صم ٣٠) ، أما قلبه فكان ملتهباً من جهة شعبه، إذ يعلم كيف ضعف الجيش وفارق روح الرب شاول بينما اتسم جيش الفلسطينيين بالقوة والنظام ... فى اليوم الثالث من وصوله إلى صقلغ جاء عماليقى يبشره بموت شاول مسيح الرب ، وكان ينتظر مكافأة مدعياً أنه ضرب شاول فى أنفاسه الأخيرة فنال عقوبة ، ورثى داود شاول ويوناثان وكل الشعب .



+ + +

### ١ــ عماليقى يبشر بموت شاول

فى اليوم الثالث من وصول داود إلى صقلغ بينما كان مهتماً بإعادة بنائها كان قلبه يئن مع ضيقة شعبه ، متوقعاً بين لحظة وأخرى أن تصله أنباء عن المعركة ، وإن كانت الأنباء متوقعة مقدماً . جاءه غلام بثياب ممزقة وعلى رأسه تراب يخبره بنتائج المعركة .

لا ندهش من عدم إرسال داود جاسوساً إلى أرض المعركة ليأتيه بالأخبار ، إذ كان يعلم ما سيحدث مقدماً ، وقد خشى أن يظن أحد أنه متلهف على تولى العرش بموت شاول ورجاله .

أما قصة هذا الغلام العماليقى ، فبحسب التقليد اليهودى هو ابن دواغ الأدومى : شعر أن داود سيملك لا محالة ، فأرسل ابنه كغلام عماليقى يكون

أول مبشر له بخبر موت شاول ويوناثان ، وهو الذى أعطاه الإكليل الذى على رأس شاول ــ عصابة ضيقة من الذهب حول خوذته ــ والسوار الذى على ذراعه . غالباً ما رواه الغلام كان كذباً ، لكنه أراد أن يكسب ود داود . فمن جهة جاء بثياب ممزقة والتراب على رأسه معتبراً نفسه واحداً من شعب داود كان يخدم أحد العاملين فى الجيش ، أميناً فى مشاعره حتى بعد هزيمة سيده . ومن جهة أخرى أخبره بأن شاول ويوناثان ابنه ماتا ، وكأنه لم يصر هناك وارث على العرش سواه . إذ كان شاول وحده دون يوناثان يطارد داود ، لأن يوناثان كان يحب داود كنفسه ، لهذا قال عن شاول فقط : « فوقفت عليه وقتلته » . رأى علامات الضيق والحزن على وجه داود فأكمل حديثه : « لأنى علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه » . أخيراً أراد أن يهنئه بالمُلك كوارث لشاول ، فقدم له إكليل شاول وسواره لأنه هو أولى من يستلمهما .

فى الآثار الأشورية غالباً ما يُصور المحاربون وقد لبسوا حليًّا خاصة أسورة على أذرعتهم .

واضح من القصة أنها مُختلقة ، فإنه كما جاء فى ١ صم ٣١ : ٣ الخ « أصاب الرماة شاول فانجرح ، فطلب من حامل سلاحه أن يستل سيفه ويطعنه حتى لا يُقبِّحه الغُلف . رفض حامل السلاح إذ خاف جداً فأخذ شاول السيف وسقط عليه . إنه ليس من المقبول أو المنطقى أن يطلب الملك من رجل غريب عابر طريق لا يعرفه أن يقف عليه ويقتله » .

صورة مؤلمة لقصة أحكم الغلام أو أبوه حبكها لكى يكسب ودّ داود أو ينال مكافأة ، إذ ظن أن داود ينتظر المُلك متلهفاً ، لكن داود الحلو فى حبه وإخلاصه حكم على الغلام من فمه كقاتل لمسيح الرب . لقد كذب العماليقى ، وجنى ثمرة كذبه قتله لنفسه (إذ ارتكب سلسلة خطايا منها الكذب والطمع ...) كما دفع حياته الجسدية للهلاك عوض المكافأة .

يتحدث السيد المسيح عن إبليس قائلا : « ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذّاب وأبو الكذاب » يو ٨ : ٤٥ . كما قيل : « كراهة الرب شفتا كذب ، أما العاملون بالصدق فرضاه » أم ١٢ : ٢٢ .

+ الكذب ممنوع بعبارات قوية مملوءة تهديداً ، كقول النبى : « تهلك كل الناطقين بالكذب » مز ٥ : ٧ ؛ و « الفم الكاذب يقتل النفس » حك ١ : ١١ .

**الأب يوسف**[٢]

+ منذ اليوم الذى فيه دُعى اسم المسيح علىّ لم يخرج كذب من فمى .

**أنبا آنوب**[٣]

## ٢ــ داود يبكى شعبه

لم يفكر داود ولا رجاله فى التشفى فى شاول المقاوم لهم زماناً طويلاً ، ولا فيمن يستلم الحكم من بعده ، ولا فى المجد الذى يعود عليهم بعد قتل شاول ويوناثان ؛ وإنما ندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء من أجل موت شاول ويوناثان ومن أجل موت الكثير من الشعب وانكساره .

بكى داود الرقيق فى مشاعره ، وقد تعلم منه ابنه سليمان هذا الفكر ، فقال : « لا تفرح بسقوط عدوك ، ولا يبتهج قلبك إذا عثر ، لئلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه فيرد عنه غضبه » أم ٢٤ : ١٧ ، ١٨ ؛ « الفرحان ببلية لا يتبرأ » أم ١٧ : ٥ .

الإنسان الروحى لا يفرح بما يحل بأعدائه من متاعب وإنما بقلبه المتسع يئن مع أنَّات الجميع ، ليس فقط مع أنَّات البشر المقاومين له بل حتى مع أنَّات الحيوانات الضارة . إنه يطلب سلام كل الخليقة وسعادتها ! قلبه متسع بالحب للكل !

لم يوجد من يبكى شاول ويرثيه من الأعماق إلا ذاك الرجل الذى أبغضه شاول لسنوات طويلة ومعه رجاله ... لقد حمل داود ظلاً للسيد المسيح الذى بكى على أورشليم الساقطة بينما كانت تستخدم كل طاقاتها لقتله (مت ٢٣ : ٣٧ ؛ لو ١٣ : ٣٤) !

أعداؤنا أحوج إلى دموعنا من كل صديق ، فإننا إذ نحبهم نبكى فيهم فقدانهم الخلاص بسبب عداوتهم ، طالبين أن يعمل الله فى الكل لخلاص الجميع .

إننا ندهش مما صنعه داود ـــ الملك الحقيقى الممسوح خفية بيد صموئيل النبى كطلب الله ـــ حينما سمع بقتل الملك المرفوض شاول مضطهده ، فإنه لم يدنه ولا شهّر به بل رثاه ومدحه ، فكم تكون خطيتنا نحن حين ندين الغير ، خاصة الرعاة الذين أقامهم الرب لخدمة شعبه ؟!

### ٣ـــ داود يعاقب العماليقى

تعجب داود كيف يتجاسر إنسان مفتخراً أنه قتل مسيح الرب وهو جريح فى المعركة، لذا سأل الغلام: «من أين أنت؟» فقال له: «أنا ابن رجل غريب عماليقى » ، أى أن والده غريب الجنس سكن فى وسط الشعب فصار دخيلاً . عاد ليسأله : « كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب ؟ » . إذ لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال صمت ، فحكم بصمته على نفسه : « دمك على رأسك لأن فمك شهد عليك قائلاً : أنا قتلت مسيح الرب » .

### ٤ـــ مرثاة لشاول ويوناثان

تقف كل نفس أمينة أمام هذه المرثاة العجيبة فى خشوع لتحيّى الحب الصادق النابع من قلب داود تجاه مضطهده شاول وصديقه يوناثان . تهتز كل مشاعر داود أمام نبأ قتلهما فلم يقدر أن يحبس دموعه ولا أن يصمت بلسانه فسجل لنا هذه المرثاة .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [ استبقاء حياة (شاول) يُعتبر أمراً صغيراً أمام حزن داود عليه عندما قُتل فى الحرب ، إذ ناح عليه بدموع ، قائلاً : « يا جبال جلبوع لا يكن طلّ ولا مطر عليكن ... الخ » . أى أم تبكى على وحيدها كما بكى داود على عدوه ؟! من يقدر أن يمتدح من قدم له خيراً مثلما مدح (داود) ذاك الذى خطط ضد حياته ؟! لقد حزن عليه بكل عواطفه ، انتحبه بمشاعر عميقة ! الجبال جفت عند لعنة النبى ... الطبيعة نفسها قدمت تأديباً شهادة لموت الملك(٤) ] .

عبّر داود النبى عن مشاعره الصادقة الأمينة بمرثاة لشاول ويوناثان ، وقد طلب من بنى يهوذا أن يتعلموها لكى تبقى ذكراهما دائمة . سُجلت فى كتاب شعرى

مشهور فى ذلك الحين يُسمى « سفر ياشر » ، وهو كتاب أدبى وليس سفراً من أسفار الكتاب المقدس (يش ١٠ : ١٣ ؛ ١ مل ٨ : ٣٥) .

دعا داود مرثاته « نشيد القوس » ربما من أجل ذكره قوس يوناثان المحبوب لديه (٢ صم ١ : ٢٢) . وربما يشير هذا اللقب : « نشيد القوس » إلى أن « الرب رجل الحرب » خر ١٥ : ٣ ، قوسه هم رجاله الذين يستخدمهم لحساب ملكوته كما جاء فى زك ٩ : ٣ : « لأنى أوترت يهوذا لنفسى وملأت القوس أفرايم » [٥]... كان هذا النشيد الذى رثى به داود شاول ويوناثان إنما هو نشيد « قوس الرب » الذى يبعث الغيرة فى حياة كل مؤمن ليجاهد روحياً فيكون قوساً فى يد الرب .

هذا النشيد أو هذه المرثاة ليست مزموراً مُوحى به بل هى قصيدة شعرية تكشف عن مشاعر حب وإخلاص[٦] .

« **الظبى يا إسرائيل مقتول على شوامخك** » ٢ صم ١ : ١٩ : ربما قصد بالظبى يوناثان ، إذ كانت سرعة الحركة من أعظم سمات المحارب ؛ فكان يوناثان سريعاً فى حركته كالظبى ، لكنه وُجد مقتولاً على شوامخ إسرائيل ، أى على جبال جلبوع الشامخة .

« **كيف سقط الجبابرة ؟!** » : ربما كان هذا القول قراراً فى النشيد[٧] ، فقد دعى شاول وابنه ورجالهما جبابرة لم يُنتظر سقوطهم ، كانوا سنداً للكثيرين ، لكنهم سقطوا فسقط الجميع وراءهم .

« **لا تخبروا فى جت ؛ لا تبشروا فى أسواق أشقلون ، لئلا تفرح بنات الفلسطينيين ، لئلا تشمت بنات الغلف** » ٢ صم ١ : ٢٠ . اختار جت بكونها أعظم مدن الفلسطينيين واشقلون المدينة التى فيها أعظم هياكل عشتاروت ربما أرسل إليها سلاح شاول ويوناثان (١ صم ٣١ : ١٠) .

« **يا جبال جلبوع لا يكن طل ولا مطر عليكن ولا حقول تقدمات ، لأنه هناك طرح مجن الجبابرة مجن شاول بلا مسح بالدهن . من دم القتلى من شحم الجبابرة لم ترجع قوس يوناثان إلى الوراء وسيف شاول لم يرجع خائباً** » ٢ صم ١ : ٢١ ، ٢٢ . هذه جميعها اصطلاحات شعرية تصور خطورة الكارثة التى حلت على جبال جلبوع حيث تلطخت بدماء ملوكية ، دماء جبابرة بأس .

يطلب ألا يكون عليها طل ولا مطر فتجف وتصير قفراً بعد موت الجبابرة، لا يكون بها حقول تأتى بثمار يُقدم منها تقدمات للرب أو ما يستحق أن يقدم عنها عشور أو بكور حيث حل بها الخراب ، فقد سقطت أسلحة الجبابرة . سيف شاول لم يمسح بالدهن ليقاتل به (كانت العادة أن يمسح السيف قبل استعماله ) ، لقد سقط عليه وتلطخ بدمه عوض الدهن .كانت قوس يوناثان وأيضا سيف شاول دائمى العمل فى قتل الجبابرة أما الآن فتوقفا !

تذكر داود انتصارات شاول الكثيرة وغلبته على أعدائه (١ صم ١٤ : ٤٧) .

**« شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان فى حياتهما لم يفترقا فى موتهما . أخف من النسور وأشد من الأسود »** ٢ صم ١ : ٢٣ . أظهر داود نقاوة قلبه الداخلية فإنه لم ينطق بكلمة واحدة تسىء إلى شاول ، ولا حتى بالتلميح ، إنما امتدحه مع محبوبه يوناثان . تطلع إليهما كمحبوبين ، فقد أحب يوناثان أباه شاول وبقى سنداً له فى البلاط ، أميناً فى عمله ، حلواً فى تصرفاته ، ملاصقاً له حتى لحظات الموت وإن كان لم يسترح لحسد أبيه نحو داود ولم يشترك معه فى التصرفات الخاطئة . إنه لم يخن أباه لكنه كان صريحاً معه ومطيعاً له فى الحق . أما شاول فكان ملوءا حباً لابنه يبذل كل الجهد ليسلمه العرش من بعده .

مدحهما داود على سرعتهما فى الحركة وشجاعتهما فى القتال مشبهاً إياهما بالنسور والأسود .

**« يا بنات إسرائيل ابكين شاول الذى ألبسكن قرمزاً بالتنعم ، وجعل الذهب على ملابسكن »** ٢ صم ١ : ٢٤ .

كانت لشاول خطاياه من عصيان وعناد وجنون وحسد لكن داود تجاهل هذا كله فى مرثاته ، مذكراً النسوة الباكيات بأعماله الجبارة ، فقد حارب وغلب ، واستقرت البلاد فى أيامه حتى لبست النساء القرمز متنعمات وتحلين بالذهب لأنهن فى أمان من الأعداء والسبى .

**« قد تضايقتُ عليك يا أخى يوناثان . كنت حلواً لى جداً . محبتك لى أعجب من محبة النساء »** ، ٢ صم ١ : ٢٦ . محبة النساء لرجالهن عجيبة ، إذ يتركن بيوت آبائهن وأهلهن ويلتصقن برجالهن ، إن مرضوا يخدمنهن ... أما حب

يوناثان فكان أعذب وأحلى . لقد بقى فى بيت أبيه محتملاً التعييرات بسبب داود . كان يعلم أن داود يحتل عرشه ، فكان يهيىء له الطريق بفرح مقدماً حياته فدية عنه . كان بحق حلواً فى حبه ! أى شيىء أعذب من الحب الأخوى الخالص الذى لا يطلب ما لنفسه بل ما لصديقه !

يُعبِّر **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن حب يوناثان الحلو لداود ، قائلاً :

[ ماذا إذن ، هل حسد (يوناثان) داود ؟ قطعاً لا ، مع أنه كان يوجد سبب للحسد . لقد أدرك خلال الأحداث أن المملكة تعبر عنه إليه ، ومع هذا لم يحمل شيئاً من الحسد . لم يقل : إنه يحرمنى من المُلك الموروث عن والدى . بل بالحرى فضل أن يجتاز إليه المُلك ، وفى نفس الوقت لم يتخلَّ عن أبيه بسبب صديقه . لا يظن أحد أنه كان خائناً لوالديه ، فإنه لم يؤذِ والده وإنما بقى يقاوم محاولاته الظالمة ... لم يسمح لأبيه أن يكون قاتلاً ظالماً ، فقد أراد فى مرات كثيرة أن يموت من أجل صديقه ، مقاوماً اتهامات أبيه .

عوض الحسد كان يعمل ليستلم (داود) المُلك ... لقد ضحى بحياته لأجله . من أجل صديقه لم يخش حتى والده الذى دبر خططاً ظالمة .

كان ضميره حراً ... وهكذا ارتبط العدل بالصداقة[٨] ] .

أما عن مقابلة داود حب يوناثان بالحب ، فيقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[ لم تكن أمامه فرصة ليرد المكافأة ... فقد أُخذ (يوناثان) قبل أن يملك داود ، وذُبح قبل أن يستلم مَنْ خَدَمه المُلك .

ماذا إذاً ؟ لقد أعلن هذا البار صداقته قدر ما سُمح له ، قدر طاقاته ، إذ يقول : كنت مفرحاً لى يا يوناثان ، لقد جُرحت حتى الموت !

هل هذا هو كل ما فعله ؟... غالباً ما أنقذ ابنه وحفيده من الخطر بسبب لطف الأب ، وبقى داود يسند ويحمى أبناءه كما لو كانوا أبناءه هو . هكذا أراد أن يتمتع الكل بصداقة تجاه الأحياء والأموات[٩] ] .

## الأصحاح الثانى

## داود يملك على يهوذا

لقد أيقن داود أنه هو الملك المختار من قبل الرب ، لكنه استشار الرب أولا إن كان يصعد إلى إحدى مدن يهوذا .

وبعد سؤال الرب صعد داود إلى حبرون حيث مُسح ملكاً على بيت يهوذا . لم ينس داود المعروف الذى صنعه رجال يابيش جلعاد مع شاول بعد موته . أقام أبنير أيشبوشث بن شاول ملكاً على جلعاد والأشيريين ويزرعيل وافرايم وبنيامين وكل إسرائيل . بدأ أبنير بالحرب ضد رجال داود حيث غلبه رجال داود ؛ عاد فطلب أبنير أن تتوقف هذه الحرب الأهلية فقبل الطرفان إلى حين .

**١ــ مسح داود ملكاً على يهوذا** ١ــ٤ .

**٢ــ داود يمتدح أهل يابيش** ٥ــ٧ .

**٣ــ أبنير يقيم أيشبوشث ملكاً** ٨ــ١١ .

**٤ــ أبنير يثير حرباً أهلية** ١٢ــ١٧ .

**٥ــ أبنير يقتل عسائيل** ١٨ــ٢٣ .

**٦ــ سعى يوآب وراء أبنير** ٢٤ــ٣٢ .

+ + +

### ١ــ مسح داود ملكاً على يهوذا

مات شاول ويوناثان ، وكانت الخلافة لايشبوشث بن شاول . إسمه الأصلى « أشبعل » ١ أى ٨ : ٣٣ ، أى « رجل البعل » أو « رجل ذو سيادة » . ولما كانت كلمة « بعل » قد تخصصت لإله الفينيقيين لذا تغير اسمه إلى ايشبوشث لتعنى « رجل الخزى » ، إذ كان ضعيفاً غير قادر على العمل ، يحركه أبنير رئيس جيش شاول كيفما يريد .

أما داود الذى سبق فمسحه صموئيل ملكاً سراً وسط إخوته (١ صم ١٦) ، فكان عند موت شاول ويوناثان فى صقلغ فى أرض الفلسطينيين ، وقد خلا له الجو

إلى حد كبير ليستلم العرش . أما هو فبحكمة واتزان لم يتسرع طالبا الحكم وإنما رأى أنه لا داعى لبقائه خارج وطنه بعد موت شاول الذى كان يطلب نفسه . لقد شعر بحنين شديد نحو خدمة شعب الله ، لذا سأل الرب إن كان يصعد إلى إحدى مدن يهوذا ، أى وسط سبطه الذين كانوا بلا شك يميلون إليه أكثر من غيرهم . سأل الرب خلال الأوريم الذى أحضره أبياثار الكاهن معه .

بحسب الفكر البشرى فإن انطلاق داود وأسرته ورجاله وأسرهم إلى يهوذا أمر طبيعى بعد موت شاول لا يحتاج الى تفكير ولا إلى صلاة أو طلب مشورة إلهية ، لكن داود ـــ كرجل الله ـــ يدرك أهمية طلب مشورة الله ليس فقط وقت الضيق أو حالة الارتباك والغموض ، وإنما حتى فى لحظات الفرج وحين يكون الطريق واضحاً . الاتكاء على صدر الرب وطلب مشورته من سمات أولاد الله المرتبطين بأبيهم السماوى خلال دالة الحب العميق والشركة الدائمة معه .

جاءت الإجابة الإلهية بالإيجاب ، أى يصعد إلى يهوذا ، وقد وجهه الرب إلى « حبرون » من أعظم مدن يهوذا المقامة بين الجبال كحصون طبيعية .

« حبرون » معناها « اقتران » ، « صداقة » ، « اتحاد » ، « رباط » الخ ... دُعيت أصلاً « قرية أربع » يش ٢٠ : ٧ ، تدعى حالياً مدينة « الخليل » إذ سكن ابراهيم خليل الله بجوارها عند بلوطات ممرا (تك ١٣ : ١٨ ؛ ٣٥ : ٢٧) ، وهناك ماتت زوجته سارة ودفنت ، ودفن هو أيضا فيها ...

صعد داود وامرأتاه ورجاله بعائلاتهم ليسكنوا حبرون والمدن التابعة لها ، وهناك جاءه رجال يهوذا ومسحوه ملكاً علانية .

إن كانت « حبرون » تعنى « اقتراناً » ، فإنه ما كان يمكن لداود أن يُمسح ملكاً ما لم يصعد هو وأسرته ورجاله إليها ليأتيه رجال يهوذا هناك . أقول إننا لن ننعم بالمسحة المقدسة لنحسب « ملوكاً وكهنة » رؤ ١ : ٦ ؛ ٥ : ١٠ ما لم ننعم بالاتحاد مع ربنا يسوع « ملك الملوك » ، نقدم له حياتنا كلها : النفس مع الجسد بكل إمكانياتهما وقدراتهما ومواهبهما ... لننعم بشركة مع الله فى ابنه يسوع المسيح ، فنملك معه .

يقارن **يوسابيوس القيصرى**[١٠] بين مسحاء العهد القديم من كهنة وملوك وأنبياء وبين السيد المسيح نفسه موضحاً أن ما ناله رجال العهد القديم كان رمزاً فكانوا عاجزين عن أن يقيموا من أتباعهم مسحاء ، أما السيد المسيح فهو وحده الذى دُعى اتباعه « مسيحيين » ، لأنهم صاروا فيه مسحاء : ملوكاً وكهنة .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم**[١١] أنه فى العهد القديم كان الروح القدس يهب مسحة للبعض فيقيم ملوكاً أو كهنة أو أنبياء ، أما فى العهد الجديد — ففى المسيح يسوع — نلنا جميعا مسحة ليكون كل واحد منا ملكاً وكاهنا ونبياً ، ملكاً من حيث تنعمنا بالملكوت ، وكهنة إذ نقدم أجسادنا ذبيحة (رو ١٢ : ١) ، وأنبياء إذ يعلن لنا ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن (١ كو ٢ : ٩) .

يوضح **القديس أمبروسيوس**[١٢] أن طالب العماد يتمتع خلال المسحة بكهنوت روحى وملكوت روحى .

هنا يجب التمييز بين الملكوت الروحى والملكوت التدبيرى الزمنى ، لذا نخضع للرؤساء والملوك ؛ كما يجب التمييز بين الكهنوت الذى يُوهَب للعمل السرائرى الرعوى والكهنوت العلمانى الذى يُوهَب لجميع المؤمنين[١٣] .

يرى البعض أن فى مسح داود ملكاً على بيت يهوذا (٢ صم ٢ : ٤) بواسطة رجال يهوذا كشفاً عن نقطة ضعف اتسم بها سبط يهوذا ألا وهى ميله نحو الانعزالية والانفراد عن بقية الأسباط مما سبب متاعب كثيرة فيما بعد وانقسامات فى الشعب ، بل وانقسمت المملكة إلى اثنتين : مملكة إسرائيل (١٠ أسباط) ومملكة يهوذا (يهوذا وبنيامين) إلى أيام السبى .

هذا ويُلاحظ أن داود مُسح ملكاً ثلاث مرات :

( أ ) سراً فى بيت أبيه (١ صم ١٦ : ١٣) .

(ب) مسحه على بيت يهوذا (٢ صم ٢ : ٤) .

(جـ) مسحه على كل إسرائيل (٢ صم ٥ : ٣) .

ما حدث مع داود يرمز لما تم بالنسبة للسيد المسيح بكونه ملك الملوك ، إذ مرّ ملكوته بمراحل ثلاث :

( أ ) منذ الأزل هو الابن الوحيد الجنس ، ملك الملوك (١ تى ٦ : ١٥ ؛ رؤ ١٧ : ١٤ ؛ ١٩ : ١٦) .

(ب) ملك خلال الرمز والظل على رجال العهد القديم كما على بيت يهوذا (مت ٢١ : ٥) .

(جـ) ملك ولا زال يملك على كنيسته « إسرائيل الله » الممتدة من أقصى الأرض إلى أقصاها ، إذ قيل : « للرب الأرض وملؤها » ١ كو ١٠ : ٢٦ ؛ مز ٢٤ : ١ .

**٢ــ داود يمتدح أهل يابيش جلعاد**

أول عمل قام به داود بعد مسحه ملكاً على بيت يهوذا هو اهتمامه بمن قاموا بدفن شاول ويوناثان . لقد عرف أنهم أهل يابيش جلعاد فأرسل إليهم يمتدحهم قائلاً لهم :

**« مباركون أنتم من الرب ...**
**والآن ليصنع الرب معكم إحساناً وحقاً ،**
**وأنا أيضاً أفعل معكم هذا الخير ...**
**والآن فلتتشدد أيديكم وكونوا ذوى بأس ، لأنه قد مات سيدكم شاول وإياى مسح بيت يهوذا ملكاً عليهم »** ٢ صم ٢ : ٥ــ٧ .

هذا التصرف من جانب داود كبكر أعماله الملوكية يستحق الدراسة والاهتمام :

( أ) بدأ عمله الملوكى يتقديم البركة : « مباركون أنتم من الرب » ، فإنه ما أجمل أن يبدأ الإنسان حياته الإيمانية (الملوكية) بالكلمات العذبة وتشجيع الغير عوض السلبيات والهجوم .

(ب) لم يقف عمله عند المديح ، ولا عند طلب المكافأة لهم من قبل الرب ، وإنما أن يقدم هو أيضاً مكافأة من جانبه .

(جـ) أدرك داود أمانتهم وإخلاصهم لشاول فاشتاق أن يستخدم ذات طاقاتهم لبنيان مملكته . القائد الناجح هو الذى لا يمركز العمل فيه بل يعرف كيف يستخدم طاقات الكل فيقيم صفاً آخر .

### ٣ــ أبنير يقيم إيشبوشث ملكاً

أقام الله داود ملكاً حيث مسحه بيت يهوذا ليقيم فى حبرون سبع سنوات ونصف (٢ صم ٢ : ١١) بعدها مُسح ملكاً على جميع الأسباط . من الجانب الآخر انشغل أبنير رئيس جيش شاول فى استرجاع بعض المدن التى فُقدت فى معركة جلبوع ؛ صار يجاهد لمدة خمس سنوات ونصف بعدها أقام ايشبوشث بن شاول ملكاً على إسرائيل (ماعدا سبط يهوذا) ، وعبر به إلى محنايم كعاصمة للمملكة . كان ايشبوشث ابن أربعين عاماً حين ملك وبقى ملكاً لمدة عامين فى متاعب مستمرة .

كان أبنير يعلم ضعف شخصية ايشبوشث الذى لم يشترك فى معركة جلبوع مع أبيه وإخوته ، أو ربما هرب فى ساعة الخطر من أرض المعركة . لكن أبنير أقامه ملكاً ليكون هو الحاكم العملى والتنفيذى ، خاصة أنه ابن عم شاول (١ صم ١٤ : ١٥) ، يخاف من داود لئلا يطرده من منصبه كرئيس جيش .

عبر ابنير بايشبوشث إلى محنايم كعاصمة . اسمها يعنى « معسكرين » أو « محلتين »[١٤] ، دعاها يعقوب هكذا . وقد جاءت على حدود تخم جاد ومنسى ؛ تنقسم إلى حيين أحدهما لجاد والآخر لمنسى . وقد أعطى جاد قسمه لبنى مرارى فصارت مدينة ملجأ (يش ٢١ : ٣٨ ، ١ أى ٦ : ٨) . تقع شرق الأردن وشمال نهر يبوق . يرى البعض أنها كانت « خربة محنة » تبعد حوالى ميلين ونصف ميل شمال عجلون ، ويرى آخرون أنها « تلال الذهب » .

### ٤ــ أبنير يثير حرباً أهلية

بقى داود أميناً ومخلصاً لشاول ويوناثان ، لم يفكر قط فى اغتصاب العرش رغم مسحه ملكاً مرتين ، مكتفياً أن يعمل وسط سبطه يهوذا ، لكن أبنير عم شاول أراد أن يُخضع يهوذا لإيشبوشث فخرج ومعه رجال إيشبوشث من محنايم إلى جبعون ، واضطر يوآب وعبيد داود أن يخرجوا أيضاً دون داود ، والتقى الطرفان على بركة جبعون كل على جانب مقابل الآخر ، تبعد حوالى خمسة أميال ونصف شمال أورشليم[١٥] [ جبعون تدعى حالياً قرية الجيب ] .

يبدو أن رجال كل طرف من الطرفين لم يستريحوا لمقاتلة إخوتهم ... ولو ترك

الأمر هكذا لرجع الطرفان كما قال يوآب فيما بعد لأبنير (٢ صم ٢ : ٢٧) . لقد جلس الجميع على طرفى البركة (١ صم ٢ : ١٣) ولم يتأهبوا للقتال . أراد أبنير أن يلهب الجو فطلب أن يتقاتل بعض الغلمان . قام ١٢ غلاماً من كل طرف ، فأمسك كل واحد برأس صاحبه وضرب سيفه فى جنب صاحبه وسقط الأربعة وعشرون غلاماً ، ودعى هذا الموضع « حلقث هصوريم » أى « صقل السيوف » .

أثار هذا المنظر الطرفين فقام الكل يتقاتلون ، وانكسر أبنير ورجاله أمام عبيد داود .

**٥ــ أبنير يقتل عسائيل**

هُزم أبنير ورجاله ، فهرب ، لكن عسائيل أراد أن يلحق به ويقتله ، وكان رئيساً لإحدى فرق الجيش ، خفيف الرجلين كالظبى لكنه لم يكن قوياً فى الحرب كأخيه يوآب ولا كأبنير .

كلمة « عسائيل » معناها « الله عمل »[١٦] . وهو ابن صروية أخت داود ؛ أخو يوآب وابيشاى .

جرى وراء ابنير متكلاً على خفة رجليه وسرعته ، وعلى قرابته لداود ويوآب متجاهلاً قلة خبرته فى الحرب بالنسبة لخصمه أبنير . ربما أخذه الحماس بعدما غلب أخوه يوآب ابنير ، أن يلحق بالأخير ليضع حداً فاصلاًللحرب، ويسرع بتسليم خاله داود المُلك .

تطلع أبنير وراءه فشاهد عسائيل ؛ لم يخشه إنما خشى خطورة الموقف . لقد أدرك أنه سيغلب عسائيل ويقتله لكن أخاه يوآب لن يهدأ حتى ينتقم لأخيه بقتل ابنير ، وعندئذ يتحطم ايشبوشث وتنتقل الملكية تماماً من سبط بنيامين الى يهوذا (داود الملك) . التفت أبنير إلى الوراء وطلب من عسائيل أن يترك السعى وراءه ويميل يميناً أو يساراً بغلام ويسلبه كما يريد ولا يجرى وراء القائد، لكن عسائيل رفض . كرر أبنير طلبه بل وتحذيره قائلاً : « مل من ورائى ، لماذا أضربك إلى الأرض ، فكيف أرفع وجهى لدى يوآب أخيك ؟ » . فى كبرياء أصرَّ عسائيل أن يلاحقه فضربه أبنير بزج الرمح ضربة خفيفة كى لا يقتله ، أى ضربة بخلف

الرمح ، ومع ذلك دخل الرمح فى بطنه وخرج من خلفه ، وسقط عسائيل ميتاً .

إذ كان الجميع يحبونه هو وأخاه يوآب ، كان كل من يأتى إلى الموضع الذى سقط فيه يقف .

### ٦ـ سعى يوآب وراء أبنير

سعى يوآب وأبيشاى وراء أبنير لينتقما لأخيهما عسائيل حتى الغروب عندما جاء أبنير إلى تل أمة الذى تجاه جيح .

اجتمع بنو بنيامين الذين كانوا يطلبون نجاح إيشبوشث وقائده أبنير ، واستعدوا لمقاومة يوآب . فنادى أبنير يوآب ، وقال له : « **هل إلى الأبد يأكل السيف ؟! ألم تعلم أنها تكون مرارة فى الأخير ؟! فحتى متى لا تقول للشعب أن يرجعوا من وراء إخوتهم ؟!** » ٢ صم ٢ : ٢٦ . هكذا شعر أبنير أن القتال لن يتوقف والخراب سيحل بالجميع لذا طلب من يوآب أن يرجع هو ورجاله عن مقاتلة إخوتهم .

أجابه يوآب محملاً إياه مسئولية ما حدث ، فإنه لو لم يتكلم عند بركة جبعون لما تقاتل الأربعة وعشرون غلاماً ، وبالتالى لرجع رجال الطرفين كل إلى بيته .

ضرب يوآب بالبوق وتوقف الحرب ، وأحصى القتلى فكانوا ١٩ من عبيد داود وعسائيل ، ٣٦٠ من رجال أبنير . هذا العدد يعتبر صغيراً جداً ، يكشف أنه لم تجتمع أعداد ضخمة من الجانبين للحرب ، وأن الشعب لم يحب مقاتلة بعضهم البعض . أما قبول يوآب وقف الحرب بالرغم من قتل أخيه ، إنما لأنه يدرك ما فى قلب خاله داود الملك ، إنه لا يسعى ليملك بمقاتلة إخوته ، إنما ينتظر عمل الله الهادىء .

دفن القتلى فى أرض المعركة ، أما عسائيل فدفن فى بيت لحم فى مقبرة أبيه (٢ صم ٢ : ٣٢) .

عبر أبنير الأردن إلى محنايم ، وذهب يوآب إلى حبرون حيث يملك داود .

+ + +

## الأصحاح الثالث

## أبنير ينضم إلى داود

إذ ملك داود على بيت يهوذا بقى خمس سنوات ونصفا في ملكه لا يتحرك قط لإخضاع بقية الأسباط ، إنما غالباً ما كرَّس حياته لحياة العبادة والتقوى مع تدبير أمور هذه المملكة الصغيرة . وحينما تحرك أبنير ليقيم إيشبوشث من بيت شاول ملكاً على بقية الأسباط بقى داود أميناً فى وعده مع شاول ويوناثان فلم يهاجم إيشبوشث بالرغم من ضعف شخصيته وقدراته . أخذ إيشبوشث موقف الهجوم يثيره فى ذلك أبنير رئيس جيشه الذى كان يحرك الملك كيفما شاء وداود فى هدوء لم يتحرك . وحينما اضطر للدفاع عن نفسه أرسل يوآب على مضض لا للهجوم وإنما للدفاع . لم يبق الحال طويلاً فبعد سنتين تقريباً أو أقل قليلاً انقلب أبنير على إيشبوشث وأقام عهداً مع داود ليسلمه كل بقية الأسباط ، وداود فى موضعه يمارس الصمت متأملاً عمل الله الفائق .

**١ــ حرب بين بيت شاول وبين داود** ١ــ٦ .

**٢ــ أبنير يقاوم إيشبوشث** ٧ــ١١ .

**٣ــ إقامة عهد بين أبنير وداود** ١٢ــ٢١ .

**٤ــ يوآب يغدر بأبنير** ٢٢ــ٣٠ .

**٥ــ داود يحزن على أبنير** ٣١ــ٣٩ .

+ + +

### ١ــ حرب بين بيت شاول وبيت داود

إذ ملّك ابنير نسيب شاول إيشبوشث على إسرائيل (ما عدا سبط يهوذا) بقى داود صامتاً ينتظر يد الله ومواعيده الأمينة والصادقة ، فإنه لم يسع نحو إخضاع الأسباط تحت حكمه ولا مقاومة الملك الجديد . بدأ إيشبوشث حربه بتحريض وقيادة ابنير الذى كان يصر على أن يبقى المُلك فى يد شاول بالرغم من إدراكه أن الله حلف لداود أن يهبه المُلك (٢ صم ٣ : ١٠ ، ١١) .

كانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود المصرّ على عدم مقاومة الملك أو الإساءة إلى بيت شاول . خلال هذه الحرب التى استمرت حوالى عامين تعلم داود الصبر وانتظار تحقيق مواعيد الله بإيمان وثقة ، فكان يتشدد ويتقوى بالرب بينما يضعف عدوه وينهار . قيل : « **وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود ، وكان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف** » ٢ صم ٣ :

١ . خلال هذه الفترة كان الله يعمل وسط شعبه ليجتذبهم تدريجيا نحو داود لا خلال القهر والإلزام بل خلال حياته المقدسة الهادئة .

ما أحوج أولاد الله إلى الدخول فى المتاعب لكى يتجلى الرب فيهم ، ويعلن ذاته خلال غلبتهم ونصرتهم الداخلية . مع كل ضيقة تتنقى أعماقنا ، وينكشف نور الرب فينا ، فنكسب الكثيرين لحساب ملكوته المفرح . يقول القديس بطرس الرسول « إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم ، لأن روح المجد والله يحل عليكم » ١ بط ٤ : ١٤ . وكأنه وسط الآلام نتمتع بروح المجد ويُعلن الله الحالّ فينا . يقول **القديس كبريانوس** : [ أراد الرب أن نفرح ونمتلىء بهجة فى الضيقات (لو ٦ : ٢٢ ، ٢٣) ، لأنه حيث توجد اضطهادات تُعطى أكاليل الإيمان ويتزكى جنود المسيح وتنفتح السموات[١٧] ] .

كثيرا ما نشتهى أن نملك سريعاً لكن الله يريدنا أن نجتاز طريق الألم والضيق لكى ننعم بمجد الرب داخلنا خلال شركتنا معه فى آلامه ... إننا نتعجل الأمور لكن الله يعرف كيف يقودنا بحكمته العلوية نحو المجد خلال الألم .

نعود إلى داود الذى بقى فى حبرون يملك على يهوذا وحده غير منشغل بالسلطة والعظمة بل بالحياة المقدسة .

أنجب داود ستة أولاد :

أمنون البكر ، الذى ارتكب الشر مع أخته (٢ صم ١٣) كثمرة لما فعله داود مع امرأة أوريا الحثى (٢ صم ١١ ، ١٢) ، وقد مات فى حياة داود .

كيلاب من أبيجايل ، اسمه الأصلى دانيئيل (١ أى ٣ : ١) ، غالباً مات فى أواخر حياة داود .

أبشالوم : انشق على والده فيما بعد ، وكان سبب مرارة له ؛ قتل فى حياة والده .

أدونيا : طلب الخلافة بعد موت أبيه بكونه أكبر أبناء الملك الأحياء (١ مل ١ : ٥) .

يثرعام ...

## ٢ــ أبنير يقاوم إيشبوشث

كان داود يملك على القليل (سبط واحد) وإيشبوشث يملك على الكثير (بقية الأسباط) ، لكن داود حمل مجده فى داخله خلال إيمانه بالله العامل فيه ، أما إيشبوشث فارتكزت قوته على أبنير نسيبه ورئيس جيشه ، لذا كان الأول يزداد مجداً من يوم إلى يوم والثانى يزداد انهياراً من وقت إلى آخر . كان الأول متكئاً على الله يسلك بمشورة إلهية والثانى يتكىء على ذراع بشر بمشورةٍ إنسانية .

جاهد أبنير سنوات طويلة فى أيام شاول لكنه لم يقدر أن ينقذ حياة شاول أو حياة أولاده ، وبقى خمس سنوات ونصفا يحاول ضم المدن التى استولى عليها الأعداء ليعد الطريق لإيشبوشث ، وها هو إيشبوشث يملك على إسرائيل ... لكن سرعان ما ينقلب أبنير عليه !

دخل أبنير على سُرِّية شاول فعاتبه إيشبوشث الضعيف الشخصية بعنف ، ليس دفاعاً عن الحياة المقدسة وإنما لأنه حسب أنه بذلك يريد أن ينسب المُلك إلى نفسه . لم يقبل أبنير هذا العتاب لأنه هو الذى أقامه ملكاً. فى عنف وبخ الملك قائلا له :« **ألعلى رأس كلب ليهوذا ؟! أليوم أصنع معروفاً مع بيت شاول أبيك مع إخوته ومع أصحابه ولم أسلمك ليد داود وتطالبنى بإثم امرأة ؟!** . قال هذا ربما لأن إيشبوشث اتهمه بالخيانة كأنه متفق مع يهوذا سراً على هذا التصرف . ربما رأى أبنير داود يتقوى ويتعظم فى أعين الكثيرين بينما إيشبوشث يضعف ، فاستغل الفرصة ليترك الملك وينحاز لداود . لقد ادرك أنه كان يقاوم مشيئة الله بمحاربته داود ، إذ قال لإيشبوشث : « **كما حلف الرب لداود كذلك أصنع له . لنقل المملكة من بيت شاول وإقامة كرسى داود على إسرائيل وعلى يهوذا من دان إلى بئر سبع** » (أى من أقصى الشمال إلى أقصى

الجنوب) . لم يقدر إيشبوشث أن يجيبه لأنه كان ضعيف الشخصية أمامه وأمام نفسه كما أمام الشعب .

كان ابنير معتداً بذاته فقد أعاد الكثير من البلدان إلى اسرائيل فى وقت خلا فيه عرش إسرائيل من ملك اللهم إلا سبط يهوذا الذى ملك عليه داود ؛ أقام إيشبوشث ملكاً وأيضا حطمه ، والآن فى حديثه يظن أنه قادر أن يصنع هذا مع داود أى يقيمه ملكاً وبالتالى يقدر أن يعزله ... لكنه لم يدرك أنه قبلما يتحقق مسح داود ملكاً على كل الأسباط يموت ابنير . إنه يمثل الذراع البشرى المتشامخ الذى يظن أنه قادر أن يقيم ملوكاً ويعزلهم ، ولم يدرك أنه نسمة ضعيفة تُطلب فى وقت لا يدركه !

لعل داود الملك نال خلال علاقة إيشبوشث بأبنير ، خبرة عملية واقعية تسنده كل أيام ملكه عبَّر عنها فى مزاميره بقوله : « لا تتكلوا على الرؤساء ، ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده ، تخرج روحه فيعود إلى ترابه ... طوبى لمن إله يعقوب معينه ورجاؤه على الرب إلهه » مز ١٤٦ : ٣ــ٥ . « الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان ، الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء » مز ١١٨ : ٨ . يقول **القديس جيروم** : [ يتكل كثيرون على رئيس (عظيم) . اليوم هو موجود ، غداً لا يكون موجوداً . فى النهار يستعرض جيشاً أمامه ، فى الليل يرقد فى قبره ... لنا معين واحد ، قادر أن يخلص(١٨) ] .

### ٣ــ إقامة عهد بين أبنير وداود

لقد صمت إيشبوشث أمام تهديدات أبنير ولم ينطق بكلمة لأنه نال المُلك من يده لا من يد الله ، معتمداً على ذراع بشر ، أما أبنير فلم يكن محتاجاً إلى وقت للتفكير فى الأمر ، إذ يبدو أن فكرة التخلى عن إيشبوشث قد سيطرت عليه تماماً . لهذا « **أرسل أبنير من فوره رسلاً إلى داود قائلاً : لمن هى الأرض ؟! يقولون اقطع عهدك معى وهوذا يدى معك لرد جميع إسرائيل إليك** » ٢ صم ٣ : ١٢ . هكذا يتعهد أبنير ــ خلال رسله ــ أن يرد جميع الأسباط إلى داود على أن يقبله فى خدمته ويعفو عن كل ما فعله من عصيان .

قبل داود الملك هذا العرض مشترطاً لإقامة العهد أن تُرد إليه زوجته الأولى ،

ميكال ابنة شاول التى أعطاها والدها لفلطيئيل بن لايش (١ صم ٢٥ : ٤٤) .

لماذا وضع داود هذا الشرط ؟

يرى البعض أن داود طلبها ليس حباً فيها وإنما لأسباب سياسية ، وهو إبراز أنه أولاً وقبل كل شيء نسيب شاول الملك فينال أمام الأسباط نوعاً من الشرعية فى تولى الملك . ورأى آخرون فى هذا التصرف رداً لكرامة داود الذى أُغتصبت زوجته وسُلِّمت لآخر .

ربما كان هذان السببان فى ذهن داود الملك لكننى أظن أنهما ليسا سببين رئيسيين ، إذ وجدت أسباب أخرى جوهرية فى ذهن هذا الطوباوى .

لقد أراد أولاً أن يؤكد لا لابنير ولا لإيشبوشث بل لكل الأسباط أنه ليس متلهفاً على تولى العرش كتمتع بالسلطة والكرامة الزمنية . فإنه كان يستطيع أن يقبل العرض وبعد استلامه المُلك يطلب ميكال ولا يقف أحد أمامه ، فيُحسب عنيفاً ومستغلاً لسلطته . إنما أراد داود أن يُبرز أنه أمين لزوجته ميكال التى أحبها ، هذه الأمانة فى نظره أولى من تسلمه المُلك . إن لم يكن أميناً مع زوجته فكيف يرعى هذا الشعب كله .

لقد أحبته ميكال وأنقذت حياته من يد أبيها (١ صم ١٩ : ١١ الخ) ، وها هو يعلن حبه لها كزوجة ولو على حساب استلام المملكة .

القائد الناجح هو ذاك الذى يهتم بحياته الداخلية وأعماقه المخفية كما ببيته وأسرته فيكون أميناً فى حبه لمن هم تحت قيادته أو رعايته . يقول القديس بولس الرسول : « إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله ؟! » ١ تى ٣ : ٥ .

من مارس الحب فى بيته ومع خاصته وأصدقائه يعرف مفهوم الرعاية خلال خبرة الحب ، فيقول مع **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ إنى أب مملوء حنواً[١٩] ] ، [ ليس شيء أحب إلىّ أكثر منكم[٢٠] ] .

هكذا نحيى فى داود النبى هذه الروح العميقة التى تكشف عن قدسية حياته الداخلية وتقديره لزوجته وعدم تلهفه على نوال كرامة زمنية .

طلب ابنير من إيشبوشث أن يرد لداود ميكال زوجته بكونه الملك وأيضاً أخاها؛ ربما كان ذلك بعلم أبنير وتدبيره. لم يقدر إيشبوشث أن يقاوم بل أخذها من عند رجلها وأرسلها، وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها إلى بحوريم.

« بحوريم » تعنى « شباب[٢١] » ، مكانها الحالى رأس التميم ، شمال شرق جبل الزيتون[٢٢] ، على الطريق من أورشليم إلى الأردن (٢ صم ١٦ : ٥) ،عندها سبَّ شمعى داود أثناء هروبه من وجه أبشالوم ، وفيها اختبأ يوناثان وأخيمعص (٢ صم ١٧ : ١٨) .

## ٤ـــ يوآب يغدر بأبنير

كنا نتوقع من داود النبى والملك أن يتحرك فرحاً ليستغل الفرصة ليجمع الأسباط تحت سلطته ، لكن ما حدث أنه وقف فى حب وثقة بالله يتأمل عمل الله معه ، فكان المتحرك هو أبنير ، إذ بادر بالوفاء بوعده ، متحدثاً مع شيوخ إسرائيل عن إقامة داود ملكاً كطلبهم السابق وتحقيقاً لمشيئة الله . تحدث أيضاً فى مسامع بنيامين بلا خوف ؛ سمعوا له بكونه واحداً منهم وأكثرهم قوة وشجاعة وإخلاصاً لشاول ، إذ حسبوه أنه قد يئس من إيشبوشث .

يبدو من حديث أبنير مع الشيوخ أن الأسباط سبق أن طلبوا داود ملكاً (٢ صم ٣ : ١٧) ، لكن أبنير نفسه قاومهم ليثبت كرسى شاول حتى يئس أخيراً من إيشبوشث .

أخذ أبنير عشرين رجلاً من شيوخ الأسباط ، وانطلقوا إلى داود الذى أقام لهم وليمة علامة الاتحاد وإقامة عهد معهم .

تأثر أبنير بلقاء داود مع العشرين شيخاً لذا طلب من داود أن يسمح له بالذهاب إلى الأسباط لتدبير الأمور الخاصة بتجليسه رسمياً ملكاً (١ أى ١١ : ١ــ٣) .

عاد يوآب مع رجاله من الحرب وسمع بما تم بين داود وأبنير فثارت ثائرته ، ربما لأنه كان يخشى أن يحتل ابنير مركزه . لقد انتهر داود الملك متهماً ابنير أنه جاسوس جاء ليخدع الملك حتى يخرج ويثير الاسباط لمحاربته ، أما داود فصمت ليس خوفاً من يوآب كما صمت إيشبوشث أمام أبنير ، وإنما استخفافاً بفكر يوآب ،

وتصرفاته المتهورة فى مواقف كثيرة .

أرسل يوآب إلى أبنير يريده متظاهراً أنه يود (هو أو الملك) مباحثته فى بعض الأمور ، ولم يكن داود يعلم بما فعله يوآب (٢ صم ٣ : ٢٦) . عاد ابنير من بئر السيرة إلى حبرون ؛ يرى يوسيفوس المؤرخ أن المسافة بينهما تبلغ حوالى ميلين ونصف .

تظاهر يوآب أنه يود الحديث مع أبنير سراً ، وإذ مال إليه اغتاله انتقاماً لأخيه عسائيل ، ولأنه خشى أن يحتل مركزه كرئيس جيش داود .

لم يكن لائقاً برجل حرب كيوآب أن يقتل إنسانا ائتمنه على نفسه وجاءه يتفاوض معه ، إنما كان يجب أن يصارحه ويبارزه إن أراد ... فقد أوصى موسى الشعب . « ملعون من يقتل قريبه فى الخفاء » تث ٢٧ : ٢٤ .

**٥ــ داود يحزن على أبنير**

كم كان داود شهماً ونبيلاً عندما أعلن رسمياً وشخصياً براءته من قتل أبنير ورفضه هذا الغدر من جانب يوآب ، معلناً للجميع أن ما صنعه يوآب لا يليق برجل إيمان ولا برجل حرب وأن تأديب الرب سيحل به (٢ صم ٣ : ٢٩) .

أعلن داود رأيه رسمياً بسيره وراء نعش أبنير وطلبه من الشعب أن يمزقوا ثيابهم ويتنطقوا بالمسوح ويلطموا أمام جثمان ابنير ، كما أعلن عن براءته من قتل أبنير بسلوكه الشخصى فقد بكى عليه وصام النهار كله . لقد تأثر به الشعب جداً وبكوا معه . نسى داود أن ابنير عدوه الذى كان يثير الحرب بينه وبين إيشبوشث وتذكر أنه قائد عظيم كان يمكن الانتفاع منه فى محاربة الوثنيين .

فى مرثاته قال : « **هل كموت أحمق يموت أبنير ؟! يداك لم تكونا مربوطتين ورجلاك لم توضعا فى سلاسل نحاس . كالسقوط أمام بنى الإثم سقطت** » ٢ صم ٣ : ٣٣ ، ٣٤ . كأنه يسأل : هل مات أبنير كأحمق إذ ائتمن نفسه لدى الغادر يوآب ؟ إنه لم يمت فى حرب كضعيف إذ كان قادراً على القتال ، ولم تكن يداه مربوطتين ولا رجلاه مقيدتين ، لكنه بالخيانة سقط أمام بنى الإثم : يوآب وأبيشاى . لم يمت أيضا كأحمق فى خيانة ...

لم يعزل داود يوآب من عمله ربما لأنه لم يجد مثله كرجل حرب وربما لأنه رأى أن ما فعله يوآب كان يهدف إلى الدفاع عن مملكة داود حاسبا أبنير جاسوسا ومخادعا .

+ + +

## الأصحاح الرابع
## نهاية مملكة شاول

بقتل ابنير غدراً بيد يوآب انتهت مملكة شاول إذ كان إيشبوشث ملكاً صورياً ، قتله أخوان « بَعْنة ورَكاب » غدراً وهو على سرير فراشه نائماً ، ولم يبق وارثا للمملكة إلا مفيبوشث بن يوناثان ، كان أعرج يعجز عن تولى العرش .

**١ــ انهيار إيشبوشث** ١ .
**٢ــ قتل إيشبوشث** ٢ــ٨ .
**٣ــ الانتقام لإيشبوشث** ٩ــ١٢ .

+ + +

### ١ــ انهيار ايشبوشث

**« ولما سمع ابن شاول أن أبنير قد مات فى حبرون ارتخت يداه وارتاع جميع إسرائيل »** ١ صم ٤ : ١ . عدم ذكر اسمه هو نوع من الاحتقار ، فقد فقد إيشبوشث كرامته وقوته لأن مملكته قامت على أبنير الذى غدر به يوآب . خبر خيانة أبنير لإيشبوشث والغدر بأبنير حطم نفسية الملك الشكلى فارتخت يداه ، بل وارتاع الشعب كله ، فقد مات القائد الشجاع ولا يعرفون ماذا يفعل بهم داود .

### ٢ــ قتل إيشبوشث

غدر به بَعْنَة ورَكاب ابنا رِمُّون من بئيروت التى للجبعونيين ، من بنى بنيامين (٢ صم ٤ : ٢) . هذان كانا فى خدمة الملك ، انتهزا الأحداث ، وشعرا بانهيار الملك وتخلى الشعب عنه ، فأرادا اللحاق بخدمة داود الملك بتقديم رأس منافسه إيشبوشث . هذان خانا الملك الذى أقامهما فى البلاط للخدمة ، بجانب أنهما من ذات سبطه ، مما يجعل جريمتهما أكثر بشاعة .

يرى البعض أنهما فى الأصل كنعانيان من الجبعونيين الذين قطع معهم يشوع بن نون عهداً (يش ٩) وأعطيت مدنهم للبنيامينيين . يبدو أن البيئروتيين ــ من بينهم رِمُّون والد بَعنه ورَكاب ــ هربوا إلى جتَّايم عندما قتل شاول بعض الجبعونيين

ليعطى أملاكهم للبنياميين . لهذا فإنه وإن كان هذان الآخان قد التحقا بخدمة ابن شاول لكنهما يحملان كراهية وبغضة نحو بيت شاول ، عبَّرا عنها بقتل الملك . لقد دخلا بيته بحجة أنهما يطلبان حنطة وكان ذلك فى وقت الظهيرة — ما بين الساعة الثانية عشرة والثالثة بعد الظهر ؛ وجدا الملك نائماً على سريره فقطعا رأسه وجاءا بها إلى داود متندمين تعليلاً لاهوتيا : « **قد أعطى الرب لسيدى الملك انتقاماً فى هذا اليوم من شاول ومن نسله** » ٢ صم ٤ : ٨ .

« بَعْنة » معناها « ابن الضيق » أو « العناء »[٢٣] ، وركاب معناها « راكب »[٢٤] أو « فارس » ، « رِمُّون » معناها « شجرة رمان »[٢٥] ، « بئيروت » معناها « آبار » مدينة مبنية على سفح الأكمة التى كانت جبعون مبنية عليها ، تفيض من سفحها مياه بغزارة ، وهى تبعد حوالى عشرة أميال شمالى أورشليم ، تدعى الآن « البيرة »[٢٦] .

بقتل إيشبوشث خلى الجو تماماً لداود إذ لم يعد من بيت شاول سوى مفيبوشث بن يوناثان ، كان ابن خمس سنين حينما قُتل أبوه وجده فى الحرب ، فحملته مربيته وهربت ، وإذ كانت مسرعة وقع فانكسرت عظام رجليه والتحمت خطأً فى غير موضعها فصار أعرج (٢ صم ٤ : ٤) ، غير قادر على تولى العرش لعجزه الجسدى ولصغر سنه (حوالى ١٢ سنة) .

### ٣ـ الانتقام لإيشبوشث

أكد داود النبى للخائنين الشريرين أنه ليس فى حاجة إلى عون الأشرار مثلهما بل هو متكل على الله الذى فدى نفسه (٢ صم ٤ : ٩) . إنه لم يستحسن قتل شاول ولا أبنير فكيف يقبل قتل رجل على سرير فراشه ؟!

طلب الدم البرىء منهما ، فقُطعت أياديهما التى قتلت والأرجل التى هربت ، وعُلقت جثتاهما على بِركة حبرون حتى يدرك القادمون للاستقاء أن داود لا يملك خلال هرق دم برىء ، وأنه لا يُسر بهذين الخائنين . أما رأس إيشبوشث فدفنت بتكريم فى مقبرة أبنير فى حبرون .

هذا التصرف يفرح قلب الله الذى أقام داود ملكاً كما يسر قلوب البنياميين وأتباعهم ، إذ يرون داود لا يحمل عداوة تجاه بيت شاول بل محبة وإخلاصاً .

+ + +

# الأصحاح الخامس

## مسح داود ملكاً

أخيراً مُسح داود ملكاً على جميع الأسباط فى الوقت المناسب ، بعد أن تعلم فى السنوات الماضية حياة الجهاد بلا ملل ، والاتضاع فلا يطلب لنفسه مجداً زمنياً ، والحب فلا ينتقم لنفسه .

لقد مارس داود أعمال محبة تسندها مشاعر صادقة فملك وغلب بالرغم من مقاومة الأعداء له .

**١ــ مسح داود ملكاً**      ١ــ٥ .
**٢ــ نصرته على اليبوسيين**      ٦ــ١٠ .
**٣ــ صداقة حيرام له**      ١١ .
**٤ــ تثبيت مملكته**      ١٢ــ١٦ .
**٥ــ مقاومة الأعداء**      ١٧ــ٢٥ .

+ + +

### ١ــ مسح داود ملكاً

هذه هى المرة الثالثة التى فيها مُسح داود ملكاً حيث خضع الكل له . لقد حان الوقت لتوليه الملك باختيار له وإجماع الشعب عليه . جاء إليه الشيوخ : « **هوذا عظمك ولحمك نحن ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكاً علينا قد كنت أنت تُخرج وتُدخل إسرائيل ، وقد قال لك الرب : أنت ترعى شعبى إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل** » ٢ صم ٥ : ١ــ٢ .

لقد تدرب داود على الجهاد والحب ، عرف كيف يقاوم حسد شاول بسماحة فى أدب ورقة ، وكيف يقابل موت شاول وأبنير وإيشبوشث بغير شماته إنما بنبل وحب يرثيهم وينتقم لكل دم برىء . قَبِل مشورة أبيجايل الحكيمة بفرح عندما طلبت منه ألا ينتقم لنفسه إذ ينتظر الكل منه أن يعطى ويبذل لا أن يطالب ما

لنفسه ... بهذه الروح التى عاشها لسنوات طويلة وخبرات متلاحقة فى الرب قابل الشيوخ فى حبرون بمحبة ، دون أن يعاتبهم بكلمة أو يحمل مشاعر ضيق تجاههم . لم يقل لهم : « مادمت من عظمكم ولحمكم ، وما دُمت كنت سبب غلبة لإسرائيل ، وما دام الله أقامنى راعياً ورئيساً ، فلماذا طاردتمونى طوال هذه السنين ولم تدافعوا عنى أمام شاول المرفوض ، ولماذا بقيتم بلا ملك أكثر من خمس سنوات حتى ملّك أبنير إيشبوشث عليكم وتجاهلتهم وجودى فى حبرون ؟!

لقد كان داود رمزاً للملك الحقيقى رب المجد يسوع ، الذى مُسح أزلياً ليملك ، لكنه جاء فى ملء الزمان يسلك طريق الصليب فى اتضاع ، صالحنا ونحن بعد أعداء (رو ٥ : ١٠) دون أن يجرح مشاعرنا بسبب جحودنا السابق أو مقاومتنا له . إنه فى رقة الحب الحقيقى يقرع باب القلب ليدخل ويملك إن فتحنا له بكامل حريتنا دون قهر أو إلزام من جانبه علينا !

أخيراً أدرك الشيوخ من هو داود وعلاقتهم به ، قائلين : « **هوذا عظمك ولحمك نحن** » . ونحن أيضا نعتز بعلاقتنا بابن داود مرددين كلمات الرسول بولس : « لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » أف ٥ : ٣٠ ، « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ..؟! » ١ كو ٦ : ١٥ ، « وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » ١ كو ١٢ : ٢٧ .

جاء كلمة الله متجسداً ليملك لا بالسلطة والإلزام ، إنما بملكه فينا ليقيمنا جسده المقدس ، فنصير أعضاءً فيه نحمل شركة طبيعته .

**٢ــ نصرته على اليبوسيين**

كانت يبوس ــ اسم أُرشليم فى عهد اليبوسيين ــ تمثل مساحة صغيرة إن قورنت بأورشليم فى أيام سليمان[٢٧] . كانت تناسب أن تكون العاصمة لداود أكثر من حبرون ، أولا لأن موقعها منيع للغاية ، فهى مرتفعة (مز ٤٨ : ٢) ، حولها جبال (مز ١٢٥ : ٢) تحيط بها وديان عميقة من ثلاثة جوانب يبلغ عمق بعضها ٨٠٠ قدم ؛ ثانياً لأنها على تخم يهوذا وبنيامين فترضى السبطين (سبط يهوذا الذى خرج منه داود ، وسبط بنيامين الذى يضم بيت شاول الملك) .

أما اليبوسيون[٢٨] فهم قبيلة من الكنعانيين قبل دخول إسرائيل أرض الموعد (تك ١٠ : ١٦ ؛ ١٥ : ٢١ ؛ خر ٣ : ٨) . أثناء الخروج كانوا قبيلة جبلية (عد ١٣ : ٢٩ ؛ يش ١١ : ٣) . اتحدوا مع بعض الملوك ضد جبعون لأنها أقامت عهدا مع يشوع ، لكن الأخير هزمهم وقتل ملكهم أدونى صادق (يش ١٠ : ٢٣ــ٢٦) ، وأعطى أرضهم لبنيامين (يش ١٨ : ٢٨) ، بعد ذلك احتلها رجال يهوذا لأنها كانت على حدود تخمهم ، وأحرقوها (يش ١٥ : ٨ ، قض ١ : ٨) ، لكن اليبوسيين لم يفقدوا قلعتهم فيها كما يقول يوسيفوس[٢٩] ، وإنما سكنوا مع بنى يهوذا وبنيامين كغرباء (يش ١٥ : ٦٣ ؛ قض ١ : ٢١ ؛ ١٩ : ١١) ، بقوا فيها حتى بعدما أخذ داود حصنهم (٢ صم ٢٤ : ١٦ــ١٨ ؛ ٢ أى ٣ : ١) .

كان اليبوسيون واثقين أن داود لن يستطيع الاستيلاء على حصنهم بسبب مناعته ، حتى لو كان من بداخله عمى وعرج ، لذا فى استخفاف قالوا له : « **لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج** » ٢ صم ٥ : ٦ .

أعلن داود عن المكافأة لمن يضرب المدينة حتى يبلغ إلى القناة ، أى إلى النفق تحت الأرض من الوادى إلى فوق ، فإن من يبلغ القناة يدخل الحصن . لم يذكر ما هى لأنها لا تحتاج إلى ذكر ، إذ عنَى أن يصير المنتصر « رأساً وقائداً » ١ أى ١١ : ٦ ؛ وقد حقق يوآب ابن صروية ذلك .

دخل يوآب المدينة وصار رأساً (١ أى ١١ : ٦) ، وسكن داود ورجاله القلعة أو الحصن ودعاه « مدينة داود » .

يلاحظ فى استيلاء داود على يبوس الآتى :

(أ) أراد اليبوسيون أن يسخروا منه فقالوا : « لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج » ٢ صم ٥ : ٦ ، وكان القصد بذلك أنه لن يدخلها قط ؛ لكنه إذ دخلها صار المثل : « **لا يدخل البيت أعمى ولا أعرج** » ٢ صم ٥ : ٨ . بمعنى آخر قال سكان يبوس إنهم حتى إن كانوا عمياوعرجا فلن يقدر داود الملك بكل جيشه أن يحتل مدينتهم ؛ لكنه إذ استولى عليها يقول : لم يعد بالمدينة أعمى أو أعرج ، لا بمعنى أنه منع دخول أى أعمى أو أعرج ، وإنما إعلاناً رمزياً عن قوة رجاله وحكمتهم أن جميعهم مبصرون وقادرون على السير .

ما حدث مع داود كان رمزاً لما تحقق مع ابن داود ، فقد كان العالم قد احتله عدو الخير زماناً حتى دُعى « رئيس هذا العالم » (يو ١٤ : ٣٠) ، فصار العالم أسيراً تحت قدميه [ يبوس تعنى مدوساً تحت الأقدام ] ، وكانت البشرية أشبه بالعمى والعرج ، انطمست أعينهم الداخلية عن معاينة ملكوت السموات وعجزت أقدامهم الداخلية عن السير فى الطريق الملوكى ... ومع هذا فقد ظن هؤلاء العمى والعرج أنهم محصنون لن يقدر ابن داود أن يقيم ملكوته فى حياة البشرية . دخل ابن داود يبوس ــ أى العالم ــ وأقام بالصليب ملكوته محتلاً القلوب التى سبق فملك عليها عدو الخير ، ونزع عنها كل عَمى للبصيرة وكل عجز عن الحركة ، فصار المؤمنون الحقيقيون مبصرين تسرع أقدامهم نحو السموات ، ليس بينهم أعمى أو أعرج روحياً .

(ب) إذ استولى داود على يبوس وجعل منها مدينته الخاصة ، تحمل اسمه ، قيل : « **وبنى داود مستديراً من القلعة فداخلاً** » ٢ صم ٥ : ٩ . ماذا تعنى الاستدارة إلا أن المدينة صارت كما فى شكل دائرة ليس لها نقطة بداية ولا نقطة نهاية ، بمعنى أنها حملت سمة جديدة هى الارتفاع فوق الزمن لتصير مدينة سماوية خالدة لا يقدر الموت أن يُنهى كيانها . هذه هى كنيسةَ العهد الجديد التى كانت مدوسة بالأقدام (يبوساً) صارت بعريسها السماوى وملكها ابن داود سماوية . وكما يقول القديس بولس « أجلسنا معه فى السماويات » أف ٢ : ٦ . ويقول القديس اكليمندس الاسكندرى إن الأرض تصير بالنسبة للمؤمن صاحب المعرفة الروحية (الغنوسى) سماءً .

ليت ابن داود يحتل يبوسنا الداخلية فيجعل منها مدينة داود ، مدينته الخاصة المستديرة أو السماوية ، طارداً عنها كل عمى للبصيرة وفالج للأقدام !

(جـ) ختم حديثه هنا بالقول : « **فكان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه** » ٢ صم ٥ : ١٠ . كان داود يتزايد فى العظمة ليس لأنه احتل حصن يبوس المنيع وإنما بالحرى لأن الرب « إله الجنود » معه . هنا يُدعى الرب « إله الجنود » وكأنه هو القائد الحقيقى لشعبه وهو المحارب عنهم ليهبهم النصرة والمجد . هذه هى خبرة داود النبى التى عبّر عنها فى مزاميره ، فجاء فيها :

« الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ؟! الرب حصن حياتى ممن أرتعب ؟! » مز ٢٧ : ١ .

« إنما هو صخرتى وخلاصى ملجإى فلا أتزعزع . على الله خلاصى ومجدى صخرة قوتى محتماى فى الله » مز ٦٢ : ٥ ، ٦ .

يقول **القديس أغسطينوس** : [ يعطينى الرب كلا من معرفة ذاته والخلاص ، فمن يقدر أن يأخذنى منه ؟!... يبدد الرب كل هجمات عدوى وشباكه فلا أخاف أحداً[٣] ] . هذا هو سر مجدنا المتزايد غير المنقطع !

## ٣ـــ صداقة حيرام له

مع كل نصرة حقيقية يواجه المؤمن أمرين : مقاومة من العدو تؤول به إلى نصرة جديدة ، وأيضا انجذاب البعض لله العامل فيه . هكذا إذ تزايد داود متعاظماً لأن رب الجنود كان معه أثار ذلك بعض الأعداء لمقاومته بالأكثر ، وفى نفس الوقت انجذبت إليه بعض الممالك المجاورة تمجد الله فيه ، كما يظهر ذلك من تصرف حيرام ملك صور .

كانت صور فى ذلك الوقت قد بلغت العظمة ، بعث ملكها رسلاً إلى داود وتكونت بينهما صداقة دامت حتى أيام سليمان ، بل وقامت هذه الصداقة بين الدولتين فى أيام عاموس النبى (عا ١ : ٩) .

أدرك حيرام أن داود يحتاج إلى حركة إنشاء وتعمير بعد الانتصارات المستمرة التى تحققت فى عهده ، لذا أرسل إليه الكثير من خشب الأرز الذى لا يسوِّس كما أرسل إليه بنائين (٢ صم ٥ : ١١) . تعاونت المملكتان معاً وصارتا فى ودٍّ ، كانت إسرائيل تستخدم صور كبلد ساحلى لتحقيق واردتها وتوزيع مصنوعاتها ، بينما استخدمت صور مملكة إسرائيل كطريق لتجارتها تشترى أيضا منها الغلال والمحاصيل .

سلامنا مع الله فى داخلنا يثمر سلاماً مع الغير ويحول الظروف المحيطة بنا لخدمتنا وبنياننا ، حتى مقاومة الأشرار يحولها الله لنمونا وفرحنا الداخلى .

أقول ، ما أحوجنا فى علاجنا لمشاكلنا ـــ أيّا كانت ـــ إلى أن نبدأ بالداخل

على ضوء عمل الله فينا ، عندئذ تعمل نعمة الله فينا وبنا لدفع كل الأمور لخيرنا ، فنقول مع الرسول بولس : « كل الأمور تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » رو ٨ : ٢٨ .

**٤ــ تثبيت مملكته**

بعد حوالى ٢٠ عاماً من مسحه سراً فى بيت لحم قيل : « **وعلم داود أن الرب قد أثبته ملكاً على إسرائيل ، وأنه قد رفّع ملكه من أجل شعبه إسرائيل** » ٢ صم ٥ : ١٢ .

انتظر داود هذه السنوات الطويلة فى إيمان وبصبر ليتدرب بنعمة الله على رعاية شعب الله ، والآن يثبت الله مملكته من أجل شعبه . هكذا يليق بنا ــ مهما بلغت مواهبنا وقدراتنا ومهما تعاظم نجاحنا ــ أن ندرك أنها عطايا إلهية قُدمت لنا من أجل بنيان الجماعة المقدسة .

من أجل البشرية تجسد السيد المسيح ومن أجلها ملك على خشبة وقام وصعد إلى السموات ومن أجلها يأتى على السحاب ليجمع مؤمنيه ويرفعهم إلى حضن الآب . هكذا نحن كأعضاء جسده يليق بنا أن نحمل ذات فكره فنضرم كل موهبة فينا لبنيان الغير . يقول القديس بولس : « المحبة ... لا تطلب ما لنفسها » ١ كو ١٣ : ٥ .

**٥ــ مقاومة الأعداء وهزيمتهم**

إن كان نجاح داود أعطاه نعمة فى عينى حيرام ملك صور ليرسل له خشب أرز وبنائين علامة الصداقة العملية إلا أنه فى الجانب المقابل ، ضاعف نجاحه هذا من مقاومة الأعداء . مع كل نصرة نتوقع مقاومة وحرباً إن لم تكن من الخارج فمن الداخل ، لذا قيل فى سفر ابن سيراخ : « يا بنى إذا تقدمت لخدمة الرب أعدد نفسك للتجربة » ٢ : ١ .

رأى الأعداء فى مسح داود ملكا على كل الأسباط وتزايده فى المجد خطراً عليهم خاصةً أن الشعب كله صار بقلب واحد معه . لم يخشونه فى حبرون لكونه ملكاً على سبط واحد فاستهانوا به ، ولأنه فى حبرون كان خاضعاً لهم ، أما فى يبوس فصار مستقلاً ومحصناً وصار نجمه يلمع ويتلألأ ، لذا فتشوا عليه

للخلاص منه . أما هو فلم يكن متوقعاً الحرب لذا نزل مع حرسه الخاص إلى حصنه القديم « عدلام » . فتش عنه الأعداء المنتشرون فى وادى الرفائيين [ موقعه مجهول إلا أنه كان بين بيت لحم وأورشليم (يش ١٥ : ٨) ومشهوراً بالخصب (إش ١٧ : ٥) ] .

فى الحصن انحاز إليه بنو جاد (أى ١٢ : ٨ــ١٥) وكان العدد قليلاً جداً إن قورن بجيش الأعداء . سأل الرب خلال أبياثار الكاهن (١ صم ٢٣ : ١١ ؛ ٣٠ : ٧ ، ٨) الذى سمح له بالحرب . جاء إلى بعل فراحيم [ أى إله أو سيد الهزيمات ، وهو مكان مرتفع شمال وادى الرفائيين ، وهو جبل فراصيم المذكور فى إش ٢٨ : ١١ ] .

ما أحوجنا أن نتكل على راعى نفوسنا الذى يتقدم قطيعه ليسير الكل وراءه ومعه ، قائلين مع المرتل : « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » مز ١٦ : ٨ . يقول القديس أغسطينوس [ إنه يُنعم علىَّ (بذاته) فأسكن فيه بثبات(٣١) ] .

جاء داود برجاله ليقف وراء العدو ويقاومه مقابل **أشجار البكاء** عندما شعر بحضرة الرب وتقدمه ليحمله فى طريق الجهاد ، واهباً له النصرة بنعمته . وكأننا إن أردنا حياة الغلبة على عدو الخير يلزمنا أن ننزل إلى وادى البكاء والدموع لنلتقى بالله عزنا ، فنسمع المرتل يقول : « طوبى لأناس عزهم بك ... عابرين فى وادى البكاء يصيرونه ينبوعاً ... يذهبون من قوة إلى قوة ، يُرون قدام الله فى صهيون » مز ٨٤ : ٥ــ٧ .

يقول **القديس جيروم** : [ لنتأمل للحظة أننا فى هذا الوادى ؛ لسنا على الجبل ، لسنا فى جنة عدن ، لسنا على مرتفعات الفردوس ، إنما نحن فى أسافل الأرض ، على الأرض التى خضعت للَّعْنة وتُنتج شوكاً وحسكاً ... مادمنا فى وادى الدموع يليق بنا لا أن نضحك بل نبكى . يقول الرب « طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون » لو ٦ : ٢١ . الآن نحن فى وادى الدموع ، هذا العالم هو موضع للبكاء لا للتهليل ... العالم المقبل هو عالم الفرح ... وادى الدموع هو ساحة للجهاد والمثابرة(٣٢) » .

نزل داود ورجاله إلى وادى الدموع لكى يتقبل نعمة الله المجانية أكثر فأكثر ، فينطلق من قوة إلى قوة ، إذ ضرب الأعداء من جبْع إلى مدخل جازَر (١ صم ٥ : ٢٥) . فى وادى الدموع انفتحت بصيرته ليرى الله يتقدمه ممهداً له طريق النصرة ، ومحطماً العدو أمامه . وكأن الحضرة الإلهية التى تملأنا تعزية وسط الدموع ، ترعب العدو وتحطمه تماماً .

كلمة « جبع » معناها « تل »(٣٣) ، وهى مدينة فى بنيامين (يش ١٨ : ٢٤) ، خصصت للكهنة (يش ٢١ : ١٧) ، مقابل مخماس ؛ حالياً قرية « جبع » تحمل ذات الاسم القديم وتبعد ٦ أميال شمال شرقى أورشليم . هذا يعنى أن الأعداء هربوا تجاه الشمال الشرقى وليس نحو أرضهم فى الغرب لكى يحتموا فى الحصن الموجود فى جبع (١ صم ١٣ : ٣) . وإذ لم يحميهم هذا ساروا نحو أرضهم حتى جبعون (١ أى ١٤ : ١٦) ، ومنها ساروا فى طريق عقبة بيت حورون (يش ١٠ : ١٠) إلى مدخل جازر أى طريق جازر [ كلمة « جازر » معناها « نصيب » أو « مهر العروس » ] وهى على تخم أرضهم وتبعد حوالى ١٨ ميلاً شمال غربى أورشليم ، $\frac{٢}{٣}$ ٥ أميال شرقى عقرون .

+ + +

## الأصحاح السادس

## إحضار تابوت العهد

إذ كان داود يتعظم وكان رب الجنود معه يهبه النصرة والغلبة حتى استقر فى أورشليم كعاصمة لمملكته ، أراد أن يؤكد أن الرب هو الملك الحقيقى مدبر أمور الشعب وواهبهم الغلبة ، لذا فكر فى إحضار تابوت العهد إلى أورشليم كعلامة منظورة لقوة الله غير المنظورة .

**١ـــ موكب التابوت** ١ ـــ٥ .

**٢ـــ ضرب عُزة** ٦ ـــ١١ .

**٣ـــ إحضاره إلى أورشليم** ١٢ـــ١٥ .

**٤ـــ احتقار ميكال لداود** ١٦ـــ٢٣ .

\+ + +

### ١ موكب التابوت

جمع داود ثلاثين ألفاً من المنتخبين ، لا ليحاربوا ، بل ليحتفلوا بإحضار التابوت إلى أورشليم . اشترك هذا العدد الضخم فى الاحتفال تكريماً لله سر فرح شعبه . هنا تبرز حكمة داود الروحية ، إذ لم يرد أن ينشغل الشعب بالنصرة على الأعداء كمجد شخصى له وإنما سحب قلوبهم إلى الله نفسه ، لكى تتهلل بالرب مخلصهم الحقيقى .

تابوت العهد كممثل للحضرة الإلهية حمل اسم رب الجنود كقائد حقيقى لشعبه الأبطال روحياً ، الرب الجالس على الكروبيم (٢ صم ٦ : ٢) ؛ يظهر مجد الله خلال الكاروبين ليعلن رحمته لشعبه كما من عرش الرحمة أو كرسى الرحمة .

الله هو رب الجنود المهوب ، مركبته سماوية هم جماعة الكاروبيم الملتهبون ناراً ، يحل وسط شعبه برحمته أباً مترفقاً يسندهم ويُفرِّح أعماقهم .

بدأ الموكب من « **بعلة يهوذا** » أو « بعلة » أو « قرية بعل » أو « قرية يعاريم » . وهى إحدى مدن الجبعونيين (يش ٩ ٠ ١٧) على تخم يهوذا وبنيامين ،

وُضع فيها التابوت بعد إرجاعه من أرض الفلسطينيين (١ صم ٦ : ١٩—٧ : ٢) ، يرجح أنها قرية العنب أو أباغوش ، تبعد حوالى $\frac{1}{3}$ ٨ أميال شمال غربى أورشليم[٣٤] .

وضعوا التابوت على عجلة جديدة ، ربما مقتدين بما فعله الفلسطينيون (١ صم ٦ : ٧) ، لكنهم بهذا خالفوا الناموس إذ كان يجب أن يحمله بنو قهات (عد ١ : ٥١ ؛ ٤ ض ١٥) على الأكتاف وليس على عجلة .

كان عُزة وأخيو ابنا أبيناداب (غالباً كانا حفيديه) يسوقان العجلة ؛ أخيو يتقدمها ليقودها بينما كان داود وكل بيت إسرائيل يلعبون بفرح ورقص يعزفون بكل أنواع آلات الطرب أمام الرب ، بالرباب والدفوف والصنوج والجنوك (الجنك آلة موسيقية لها طوق من نحاس فيه ثقب ، وبالثقب أسلاك معدنية تمتد من جانب إلى جانب ، وللطوق مقبض يمسك باليد لتتحرك الأسلاك حيث الثقب واسع[٣٥]) .

**٢ــ ضرب عُزَّة**

تحرك الموكب حتى بلغ بيدر ناخون أو كيدون (١ أى ١٣ : ٩) ، عند موضع دراسة غلال رجل يُدعى ناخون أو نكون أو كيدون . هناك انشمصت الثيران ، أى ذعرت وأخذت تركض وترفس ، فمدّ عُزة يده إلى تابوت الله وأمسكه كى لا يسقط ، فضربه الله هناك ومات .

لماذا أماته الرب ؟ أما تُحسب هذه قسوة فى التأديب ؟

(أ) كان يجب أن يُحمل التابوت على أكتاف اللاويين لا على عجلة . لقد سمح الله للوثنيين أن يضعوه على عَجلة جديدة تجرها بقرتان ، إذ كانت ترمز لكنيسة العهد الجديد الحاملة لشخص المسيح فى داخلنا بكونه رأسها ، تضم الكنيسة شعبين : من اليهود ومن الأمم . لم يكن الوثنيون فى ذلك الوقت قد تهيأوا لحمل تابوت العهد ، إذ لا شركة بين الله وبليعال (٢ كو ٦ : ١٤) . أما بنو قهات فكانوا يمثلون جماعة المؤمنين الذين تأهلوا ليكونوا سماءً ثانية يحملون الله فى داخلهم ، لذلك كان يلزمهم أن يُصروا على التمتع بحقهم فى حمل التابوت دون العَجلة الجديدة .

الله لا يطلب عِجلة جديدة ولا تقدمات هذا العالم بل الأكتاف الداخلية المقدسة التى تصير كالشاروبيم تحمل الله . الله يريد قلوبنا لا إمكانياتنا .

(ب) كان يجب على عُزَّة أن يعرف الناموس ، خاصة وأن التابوت وُجد فى بيت أبيه وجدّه لمدة حوالى ٧٠ سنة ، وأنه لا يليق لمسه . قيل « لا يمسّوا القدس لئلا يموتوا » عد ٤ : ١٥ .

(جـ) ربما اعتاد عُزَّة أن يمد يده إلى التابوت بغير وقار ، وقد تجاسر بالأكثر حين فعل ذلك علانية أمام كل الجماعة .

(د) أراد الله تأكيد الحاجة إلى « مخافة الرب » جنباً إلى جنب مع « الحب الإلهى » ، كى يعيش داود وكل الشعب فى مخافة ووقار مع حب ودالّة .

لقد كان الدرس قاسياً لكى يتعلم الجميع منه ، وذلك كما حدث مع حنانيا حين كذب على الرسل (أع ٥ : ٥) . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ عوقب ذلك الإنسان (حنانيا) وانتفع الغير بذلك ... عُوقب عُزّة فوقع خوف على الكل[٣٦] ] .

اغتاظ داود لأن فرح الجماعة تحول إلى حزن وخوف ، ولأن ارتباكاً ملأ الجميع واضطر الكل أن ينصرفوا ... وخاف داود أن ينتقل التابوت إلى مدينته قبل التيقن من سر غضب الله على عُزَّة .

مال داود بالتابوت إلى بيد عوبيد آدوم الجتى ، غالباً من جت رمون فى نصيب دان فى الجنوب (يش ١٩ : ٤٥) أعطيت لبنى قهات (يش ٢١ : ٢٤) . كان عوبيد آدوم [ اسمه يعنى « آدوم يعبد » ] من القورحيين من نسل قهات (عد ١٦ : ١) ، تمتع ببركة بقاء التابوت فى بيته لمدة ثلاثة أشهر .

نود هنا أن نشير إلى أن داود النبى لم يستشر الرب عندما رغب فى نقل التابوت إلى مدينته ، مع أنه اعتاد استشارته فى كل صغيرة وكبيرة ، حاسباً أن هذا الأمر يُسرُّ به الرب قطعاً ولا حاجة إلى طلب مشورته ، أو ربما أن شدة فرحه بنقل التابوت ورغبته فى نوال البركة الإلهية أفقداه التفكير فى ذلك . لو أنه استشار الرب ، لكشف له خطأ نقل التابوت على عجلة ... وبالتالى ماكان قد مات عُزة ، ولما تحوّل فرح الشعب إلى حزن ورعب .

لقد أدرك داود النبى أن موت عُزة لم يكن لمجرد لمسه للتابوت وإنما وراء هذا اللمس وُجد عصيان وفساد ، لذلك وضع المزمور ١٥ حيث يقول :

« يارب من ينزل فى مسكنك (خيمتك) ؟!
من يسكن فى جبل قدسك ؟!
السالك بالكمال ، والعامل الحق ، والمتكلم بالصدق فى قلبه ... »

### ٣ـ إحضار التابوت إلى أورشليم

قَبِل عوبيد آدوم تابوت العهد فى بيته بوقار وخشوع لذلك بارك الرب بيته (١ أى ١٣ : ١٣ ، ١٤ ؛ ٢ صم ٦ : ١٢) ، وبارك كل ما له ، لذلك فكر داود النبى فى إحضاره إلى أورشليم كما ورد ذلك بالتفصيل فى ١ أى ١٥ .

كلما ساروا ست خطوات ذُبح ثور وعجل (أى كبش) معلوف ، وذلك سبع مرات (١ أى ١٥ : ٢٦) . فى كل مرة إذ يعبرون ست خطوات يقدمون ذبيحة شكر لله الذى أعانهم ولم يصبهم ما حلَّ بعُزَّة .

ارتدى داود أفوداً من الكتان ، كانت تُلبس تحت الجبة ، إذ لم يكن ممكناً له أن يرقص وهو يرتدى الجبة . لقد كانت الجبة علامة العظمة أما الأفود الكتانية فعلامة النقاوة ؛ وكأن داود قد خلع كل مظاهر الأبهة لكىْ يعلن فى اتضاعه عن نقاوة داخلية وعن تهليله بحضرة الرب .

لقد رقص داود أمام التابوت معبراً بذلك عن أعماقه الداخلية التى تهتز فى تهليل أمام الرب ، لكننا لم نسمع عن صموئيل النبى أنه فعل ذلك ليس لأن الأخير لم يكن متهللاً فى أعماقه إنما كل مؤمن يعبر عن حبه وفرحه بما يناسب ظروفه . لذا يقول **القديس أمبروسيوس** : [ رقص داود أمام التابوت وأما صموئيل فلم يرقص . داود لم يُلَم ومُدح صموئيل[٣٧] ] .

عبّر الطوباوى داود عن فرحه بالتابوت فى مزموره الثلاثين (٢٩ حسب الترجمة السبعينية) ، جاء فيه :

« لأن للحظة غضبه ، حياة فى رضاه .
عند المساء يبيت البكاء وفى الصباح الترنم .

حولت نوحى إلى رقص لى .
حللت مسحى ومنطقتنى فرحاً .
لكى تترنم لك روحى ولا تسكت .
يارب إلهى إلى الأبد أحمدك » مز ٣٠ : ٥ــ١١ .

كشفت هذه العبارات العجيبة عما فى أعماق قلب داود من فرح وتهليل ، مصدره ليس فقط الأحداث التى عاش فيها بنقله التابوت إلى مدينته وإنما أيضا وبصورة أعظم لحلول المسيًا المخلص نفسه فى مدينة النفس الداخلية ، أو سكنى الرب فى القلب لإقامة ملكوته داخلنا (لو ١٧ : ٢١) .

يقول داود المرتل : « لأن للحظة غضبه ، حياة فى رضاه » ، مشيراً إلى الغضب الإلهى الذى تحقق إلى لحظة عندما سقط عُزّة ميتاً أمام التابوت لأنه تجاسر فلمسه ، كان ذلك للحظة ، لكن خلال هذا التابوت تمتع الشعب بالحياة إذ نالوا رضى الله . كان ذلك رمزاً لما حدث مع رب المجد يسوع عندما حمل الغضب الإلهى على الصليب إذ قيل « أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم ... حمل خطية كثيرين » إش ٥٣ : ١٠ ، ١٢ ؛ كما إلى لحظة غضبه إذ وُضع إثمنا عليه ، لكنه قام فأقامنا معه واهباً إيانا الحياة فى رضاه .

ما حدث مع عُزة كان كما عند ظلام المساء ، وما تحقق مع داود فى نقله التابوت كان كما فى نور الصباح : « عند المساء يبيت البكاء وفى الصباح الترنم » . تحقق ذلك بقوة عندما أسلم الرب الروح على الصليب فحل البكاء فى المساء ، لكن فى فجر الأحد تهللت الكنيسة بقيامته لتبقى تنعم بالحياة المقامة فيه .

يقول داود المرتل : « حولت نوحى إلى رقص لى » .. فقد ناح داخلياً عندما مات عُزة وارتبك للغاية ، لكنه رقص فى أعماقه كرقصات يوحنا المعمدان فى أحشاء أمه اليصابات عندما أدرك المسيح المتجسد فى أحشاء البتول مريم . رقص داود أمام التابوت لأنه رآه رمزاً للمسيح القادم إلى العالم ، ليحل بين البشرية ويرد لهم الحياة بعد الموت ، والفرح عوض النوح .

يقول « حللت مسحى ومنطقتنى فرحاً » ؛ إن كان قد خلع جبة العظمة وتمنطق ليرقص أمام التابوت ، فإنه يرى فى ذلك رمزاً لخلعه أعمال الإنسان العتيق أو الطبيعة الفاسدة لينعم بمِنطقة الفرح أو الإنسان الجديد أو تجديد الطبيعة الإنسانية .

هكذا فى المزمور الثلاثين يربط المرتل داود بين فرحه بتابوت العهد ورقصه أمامه وبين تهليله بمجىء المسيًا مخلص العالم ومجدد الطبيعة البشرية خلال تمتعها بقيامته فيها . يقول **القديس أغسطينوس** فى شرحه للمزمور [ إنه مزمور فرح القيامة والتغيير وتجديد الجسد إلى حالة الخلود ، ليس فقط بالنسبة للرب وإنما أيضا لكل الكنيسة(٣٨) ] ، كما يقول : [ « حللت مسحى ومنطقتنى فرحاً » . حللت حجاب خطاياى ، حزن موتى ، ومنطقتنى بالثوب الأول ، بالفرح الخالد(٣٩) ] .

لقد وضع داود النبى مزموراً خاصاً بالاحتفال بقدوم تابوت العهد إلى مدينته ، افتتحه بالصيغة التقليدية التى كانت الجماعة ترددها كلما نصبوا الخيمة : « يقوم الله . يتبدد أعداؤه ، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه مز ٦٨ : ١ (عد ١٠ : ٣٥) . عبّر هذا المزمور بقوة عن بركات حلول الله وسط شعبه كسرّ فرح وتهليل (مز ٦٨ : ٣ ، ٤) ، ورعاية واهتمام لشعبه خاصة اليتامى والأرامل بكونه أبا اليتامى وقاضى الأرامل (مز ٦٨ : ٥) ، مُشبع احتياجات المساكين (مز ٦٨ : ١٠) ، واهب الخلاص (مز ٦٨ : ١٩) والقوة والشدة (مز ٦٨ : ٣٥) . إنه كنار يبدد الشر كالشمع قدامه ويذريه كدخان (مز ٦٨ : ٢) ، أمامه ترتعد الأرض (مز ٦٨ : ٦) ويهرب الملوك (مز ٦٨ : ١٢) .

وضع أيضا المزمور ٢٤ ليعلن أن بهجته الشديدة بتابوت العهد لا تعنى حصر سكنى الرب فى موضع معين ، إنما هو رمز لرعاية الرب للبشرية كلها ، إذ يقول : « للرب الأرض وملؤها ؛ المسكونة وكل الساكنين فيها » مز ٢٤ : ١ الخ ... فى ختام هذا المزمور الرائع يرى داود النبى فى دخول التابوت إلى أورشليم صورة رمزية لصعود السيد المسيح إلى أورشليم العليا بعد نصرته فى معركة الصليب ، إذ يقول :

« ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد .

من هو هذا ملك المجد ؟

الرب القدير الجبار ، الرب الجبار فى القتال ... رب الجنود هو ملك المجد »

مز ٢٤ : ٧ــ١٠ .

## ٤ــ احتقار ميكال له

أُدخل التابوت إلى مدينة داود ، وهى القسم الأعلى من الجنوب الغربى لأورشليم حيث يوجد الحصن الذى استولى عليه داود من اليبوسيين ، هناك وُجد بيت داود وأيضاً مسكن التابوت حتى انتقل إلى الهيكل الذى بناه سليمان .

كانت ميكال تحب داود (١ صم ١٨ : ٢٠) ، أنقذته من يد أبيها (١ صم ١٩ : ١٣) ، لكن شاول أعطاها لفلطيئيل زوجة ، ثم أعيدت ثانية إلى رجلها الأول داود ... لكنها لم تكن قادرة أن تشاركه حبه لله وغيرته وإيمانه ، لذا رأت فى خلعه لجبته الملوكية ورقصه أمام التابوت نوعاً من السفاهةَ . استقبلته باحتقار قائلة له : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشَّف اليوم فى أعين إماء عبيده كما يتكشَّف أحد السفهاء » ٢ صم ٦ : ٢٠ .

ما أبعد الفارق بين داود وميكال ؛ الأول انسحب بكل كيانه الداخلى ليرى خلال التابوت تجسد الكلمة وحلول المسيا بين شعبه وتقديم عمله الخلاصى ، أما ميكال فتعلق قلبها بالجبة الملوَكية التى خلعها داود فرأته سفيهاً وعارياً كما قالت له !!!

يبدو أن ميكال كانت تنتظر من رجلها كملك أن يبقى فى قصره ويأتى إليه الكل يهنئونه بوصول التابوت ، لا أن ينزل من القصر ويخلع جبته الملوكية ويرقص أمام التابوت فى حضرة الجماعة . ميكال تمثل الأنا القابعة فى داخل النفس ، المتقوقعة والمغلقة ، تطلب ما للأنا ، ولا تنفتح على الله والناس ، لذا أصيبت بعمى البصيرة الداخلية وتحجر القلب وفقدان الحس الداخلى تجاه العمل الإلهى الفائق . أما داود الطوباوى فيمثل النفس التى تخلع حب العظمة الزمنية ، وتنفتح بالاتضاع المملوء حباً نحو الله والناس ، فتتحول عن مسوح الحزن إلى منطقة الفرح ، وتعبر من بكاء المساء إلى فرح صباح القيامة !

بحضور التابوت قدمت محرقات وذبائح سلامة (لا ١ : ٣) ، وكان تجسد الكلمة غايته ذبيحة الصليب التى هى موضع سرور الآب والقادرة على خلاصنا .

بارك داود الشعب وأعطى كل واحد رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب . رغيف الخبز يشير إلى وحدة الكنيسة وتبادل الحب بين أعضائها إذ تجتمع الحنطة معاً فى رغيف خبز ؛ وكأس الخمر يشير إلى شركة الفرح بالروح ، أما قرص الزبيب فيشير إلى عذوبة الكنيسة وحلاوتها باتحادها[٤٠] .

لم ينس داود بيته فجاء ليباركه ، لكن ميكال انتهرته . أما هو ففى حزم وبخها على نظرتها غير الإيمانية .

يُختم الأصحاح بالقول بأنه لم يكن لميكال ولد من داود ، وكان ذلك عاراً فى العهد القديم ، علامة غضب الله ، إذ تترقب كل مؤمنة أن ياتى المسيَّا من نسلها . فعقر ميكال ربما كان ثمرة تمردها على الرب ولكبريائها .

\+ + +

## الأصحاح السابع
## اشتياق داود لبناء بيت الرب

شعر داود النبى والملك بإحسانات الرب إليه فأراد أن يبنى له بيتاً ، إذ حسب أنه ليس من اللائق أن يسكن،هو فى بيت من الأرز بينما يسكن تابوت العهد فى خيمة من الشقق .

**١ــ رغبة داود فى بناء بيت الرب** ١ــ٣ .

**٢ــ ابن داود يبنى البيت** ٤ــ١٧ .

**٣ــ داود يشكر الله** ١٨ــ٢٩ .

+ + +

### ١ــ رغبة داود فى بناء بيت الرب

لم يتبع الكاتب التسلسل الزمنى ، إذ أراد الكشف عما ورد فى قلب داود النبى والملك من جهة بناء بيت للرب عوض الخيمة مباشرة بعد ذكره إحضار التابوت إلى مدينة داود ، بينما ما جاء هنا غالباً ما تحقق بعد الحرب التى وردت فى الأصحاح التالى . لقد قيل هنا : « **وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه** » ٢ صم ٧ : ١ .

بلا شك ظهر هذا الفكر فى أعماق داود النبى عندما بدأ فى بناء بيته ، وربما اشتهى أن يبنى بيت الرب قبل بيته ، حاسباً الله أولاً فى كل أمور حياته . هذا الفكر تزايد بالأكثر بعدما أحضر التابوت إلى مدينته ، لكنه لم يتحدث مع ناثان النبى إلا بعدما استراح من الحروب ، قاصداً أن يبنى بيتاً ضخماً جداً يحتاج بناؤه إلى أزمنة سلام ، أى إلى تفرغ للبناء دون ارتباك بالحروب .

كان ناثان نبياً أميناً لله وللملك وله وقاره الخاص ، قام بحزم وشجاعة لكنه فى أدب بتوبيخ الملك عندما ارتكب الخطية مع امرأة أوريا الحثى (٢ صم ١٢ : ١ــ١٥) .. قام هو وجاد الرائى بترتيب خدمة بيت الرب (٢ أى ٢٩ : ٢٥) . عمل مع بثشبع على إقامة سليمان ملكاً (١ مل ٨ــ٤٥) .

وافق ناثان فى البداية على طلب داود الخاص ببناء بيت الرب ، إذ حسبه طلباً صالحاً ولائقاً ، لكنه إذ استشار الرب أجابه ألا يعمل ذلك بل يترك الأمر لابنه من بعده .

**٢ــ ابن داود هو الذى يبنى البيت**

يبدو أن الله تحدث مع ثانان خلال رؤيا الليل (٢ صم ٧ : ٤ ، ١٧) ، وقد رفض الله أن يبنى داود بيتاً مقدماً له هذا التعليل بأن الله لم يسكن فى بيت منذ إخراجه للشعب من مصر ، ولا طلب ذلك منهم . إنه ليس إنساناً يحتاج إلى بيت (إش ٦٦ : ١) . أكد الله ذلك لئلا يظن شعبه أنه حقق لهم انتصارات لأجل إقامة هيكل عظيم له ، ولكى لا ينشغلوا ببيت الله فيما بعد كمبنى عظيم . هم أنفسهم بيته الحىّ ، يود أن يسكن فى وسطهم معلناً حضوره الدائم فيهم خلال الحياة المقدسة . هذا ما كشفه العهد الجديد بأكثر وضوح . عندما طلب التلاميذ من السيد المسيح أن ينظر الأبنية العظيمة التى للهيكل . أكَّد لهم أنه لن يبقى حجر على حجر إلا وينقض (مت ٢٤ : ١ ، ٢) ؛ كما تحدث عن الهيكل بكونه هيكل جسده الذى ينقضه اليهود على الصليب ليقوم فى اليوم الثالث (يو ٢ : ١٩ــ٢٢) واهباً إيانا الحياة المقامة خلال اتحادنا معه . حدثنا أيضا القديس بطرس عن الهيكل الحىّ الذى يقوم بحجارة حية هى جماعة المؤمنين (١ بط ٢ : ٥) .

سبق أن تحدثنا فى كتاب « الكنيسة بيت الله » عن ارتباط المبنى الكنسى بالحياة الداخلية ، حيث استعرضت مقتطفات لكلمات **العلامة أوريجانوس** ، جاء فيها :

[ أهِّلنى يارب يسوع المسيح أن أساهم فى بناء بيتك ...

إنى أتوق أن أقدم ذهباً للغطاء (خر ٢٥ : ١٧) ، أو لتابوت العهد أو للمنارة أو للسرج !...

هلم نبنى خيمة إله يعقوب يسوع المسيح ربنا ، ونزيّنها[٤] ] .

[ ليكن للنفس مذبح فى وسط القلب ، عليه تُقدم ذبائح الصلاة ومحرقات

الرحمة ، فتُذبح فوقه ثيران الكبرياء بسكين الوداعة ، وتُقتل عليه كباش الغضب وماعز التنعم والشهوات ...

« لتعرف النفس كيف تقيم داخل قدس أقداس قلبها منارة تضيء بغير انقطاع[٤٢] ] .

إن ما يمجّد الله ليس فى المبانى المادية الضخمة ، بل فى النفوس الحية التى أقامها السيد المسيح من الأموات ، وتعلن حضوره فى وسطها وملكوته فى داخلها . لذلك أبرز الله معاملاته مع داود كيف أقامه الله من المربض من وراء الغنم ليصير رئيساً لشعبه ، كيف كان معه أينما وُجد واهباً له النجاح والغلبة . وكأنه مع كل نصرة روحية وكل نجاح داخلى يُعلن بيت الرب المجيد فينا .

على أى الاحوال ، لم يحرم الله داود سؤل قلبه ، إنما وعده بتحقيق ذلك **خلال ابنه الذى يخرج من أحشائه** ، مقدماً تبريراً لذلك كما جاء فى ١ أى ٢٢ : ٨ . بأن داود سفك دماً كثيراً وعمل حروباً عظيمة ، لذلك يليق بناء بيت الرب فى أيام سليمان حيث تكون أيامه سلاماً .

الذى يقيم بيت الرب هو سليمان ، وكان رمزاً للسيد المسيح ابن داود حسب الجسد الذى أقام كنيسة العهد الجديد بيتاً روحياً يسكنه الثالوث القدوس .

يقول **القديس أغسطينوس** :

[ من يظن أن هذا الوعد العظيم (٢ صم ٧ : ١٢—١٦) قد تحقق فى سليمان يخطىء خطأ عظيماً ، إذ يسمع القول « هو يبنى لى بيتاً » لكنه لا يسمع للقول : « بيته يبقى أمينا وتكون مملكته أمامى إلى الأبد » . ليته ينصت ويتأمل بيت سليمان المملوء نساءً غريبات يتعبَّدن لآلهة غريبة ، بل والملك نفسه الذى كان حكيماً قد خُدع بواسطتهن وسقط فى عبادة الأوثان نفسها . ليته لا يتجاسر أحد فيظن أن الله قد وعد بذلك باطلاً أو أنه كان غير قادر أن يعرف ما سيكون عليه سليمان هذا وبيته .

إذن ، يليق بنا ألا نشك فى أن هذه الأمور قد تحققت فى المسيح ربنا الذى جاء من نسل داود حسب الجسد (رو ١ : ٣) ، لئلا تكون نظرتنا هنا باطلة مثل اليهود الجسدانيين الذين يدركون أن الابن المذكور هنا والموعود به لداود ليس

سليمان ومع ذلك فبعماهم العجيب عن الموعود به ( المسيح ) والمعلن عنه يقولون إنهم ينتظرون آخر .

حقاً لقد ظهرت فى سليمان صورة لما حدث فيما بعد ، إذ بنى الهيكل وكان له سلام كاسمه (لأن سليمان يعنى سالم) ، وكان فى بداية حكمه مستحقاً للمديح بطريقة عجيبة ، وبينما أظهر المسيح ربنا ــ بكونه ظلا له ــ لكنه لم يماثله فى شخصه(٤٣) ] .

جاء فى الوعد الذى قدمه الله لداود أن ابنه يقوم ببناء البيت الآتى :

(أ) « **أثبت كرسى مملكته إلى الأبد** » ٢ صم ٧ : ١٣ . لقد ملك سليمان أربعين سنة ، أما نسله فملكوا حتى نهاية المملكة . السيد المسيح هو الذى ليس لملكه نهاية (مز ٨٩ : ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٧) . لقد سقطت مظلة داود (عا ٩ : ١١) ، أما مملكة المسيح فلن تسقط أبداً .

جاء فى عنوان المزمور ٧٢ أن سليمان يملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأردن . سليمان هذا رمز للسيد المسيح الذى ملك من النهر أى خلال الأردن ، مياه المعمودية ، حيث يقيم مملكته فى قلوب المعمدين كأعضاء جسده الخاضعية للرأس .

(ب) « **أقيم بعدك نسلك** ... » ٢ صم ٧ : ١٢ : يرى **القديس أغسطينوس** أن سليمان ملك أثناء حياة داود ، قبل موته ، لهذا فالوعد فى جوهره ينطبق على غيره ، على المسيح الذى بنى الهيكل الروحى (١ كو ٣ : ١٧) .

يقول أيضاً **الأب لاكتانتينوس** : [ تسلم سليمان المملكة من أبيه نفسه بينما تحدث الأنبياء عمَّن (يبنى البيت) أنه يولد بعد أن يرقد داود مع آبائه . هذا ولم يكن حكم سليمان أبدياً ، إذ ملك لمدة أربعين سنة . ثانياً لم يُدع سليمان قط ابن الله بل ابن داود ، والبيت الذى بناه لم يثبت على الدوام مثل الكنيسة التى هى الهيكل الحقيقى لله ، هذه التى لم تُبن من حوائط بل من القلوب (١ بط ٢ : ٥) بإيمان الذين آمنوا به وقد دُعوا مؤمنين . أما هيكل سليمان فبُنى باليد وهُدم باليد . أخيراً تنبأ أبوه فى المزمور ١٢٦ عن عمل ابنه (حسب الجسد) :

« إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناؤون ، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلا سهر الحراس »(٤٤) ] .

(جـ) هيكل الله ليس هيكل سليمان الذى هدمه نبوخذ نصر بل جسد المسيح (يو ٢ : ١٩ـــ٢١) الذى حلَّ بيننا وصعد إلى السماء ليقيمنا فيه أبدياً ، به صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (رؤ ٢١ : ٣) .

(د) « **أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً** » ٢ صم ٧ : ١٤ . صار سليمان كابن لكنه تعوَّج واحتاج إلى تأديب ، أما السيد المسيح فهو الابن الأزلى الذى وهبنا فيه البنوة ، خلاله لا تنزع عنا الرحمة الإلهية ، لكننا إن أخطأنا يؤدبنا بقضيب الناس وبضربات بنى آدم (٢ صم ٧ : ١٤) .

يقول **القديس أغسطينوس** : [ بالنسبة للمسيح نفسه الذى هو رأس الكنيسة لا يمكن أن يوجد فيه أية خطية تحتاج إلى تأديب إلهى بتصحيحات بشرية (٢ صم ٧ : ١٤) ... إنما توجد فى جسده وفى أعضائه الذين هم شعبه . لذلك ما قيل فى سفر صموئيل « إن هو (تعوّج) » جاء فى المزمور (٨٩) : « إثم بنيه » ( « إن ترك بنوه شريعتى » مز ٨٩ : ٣٠(٤٥) ] .

نختم حديثنا عن الوعد الإلهى لداود ببناء بيت الرب بيدى ابنه بالملاحظات التالية :

(أ) الله فى حديثه يقول : « **هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبى إسرائيل قائلاً : لماذا لم تبنوا لى بيتاً من الأرز ؟!** » ٢ صم ٧ : ٧ . كأن بناء بيت الرب المفرح له هو رعاية شعبه والاهتمام بهم ، يسيرون مع شعبه ويحامون عنه ويعتنون به كما يعتنى الراعى بقطيع غنمه .

(ب) لئلا يظن داود أن عدم بنائه للبيت يقلل من مركزه لدى الله قال ليوناثان : « **هكذا تقول لعبدى داود** » ٢ صم ٧ : ٨ . كأن الله ينسب نفسه لداود شخصياً ، علامة الاعتزاز به .

(جـ) عدم بناء البيت إلى عصر سليمان لا يعنى رفضه شعبه ، إذ يهتم هو بهم وعيّن لهم حتى أرضهم : « **عينت مكاناً لشعبى إسرائيل وغرسته ، فسكن فى**

**مكانه ولا يضطرب بعد ...** » ٢ صم ٧ : ١٠ ... هكذا هو بيت الرب الثابت : قدسيّة حياة مؤمنيه .

**٣ــ داود يشكر الله**

جلس داود غالباً على الأرض وأحنى رأسه أمام الرب ليشكره من أجل هذا الوعد الذى أنعم به عليه قائلاً :

« **من أنا يا سيدى ؟! وما هو بيتى ؟! حتى أوصلتنى إلى هنا ؟!** ٢ صم ٧ : ١٨ . لقد أدرك أنه ليس عن استحقاق شخصى ولا عن كرامة لبيت أبيه نال هذا الوعد الإلهى ، إنما هو نعمة إلهية فائقة جاءت به إلى كرسى المُلك ليكون فى حضرة الرب ينعم بسكناه وحلوله معه وسخاء نعمه عليه .

ما أحوجنا أن نجلس فى هدوء داخلى أمام الرب نسمع مواعيده المفرحة ونتحدث معه ، مدركين عظمة عطيته المجانية ، فقد أقامنا من الفساد وجعلنا له ملوكاً وكهنة ، وحسبنا أبناء له ننعم بشركة أمجاده .

« **وبماذا يعود داود يكلمك وأنت قد عرفت عبدك يا سيدى الرب** » ٢ صم ٧ : ٢٠ . شعر داود بالخجل أن يتحدث مع الله الذى يعرفه تماماً ؛ يعرف ضعفات داود وخطاياه ومذلته كما يعرف محبته وغيرته وجهاده وصبره ... ليس شيء مخفياً عن الله .

« فمن أجل كلمتك وحسب قلبك فعلت هذه العظائم كلها لتعرف عبدك » ٢ صم ٧ : ٢١ . ما تقدمه من عطايا فائقة ليس من أجل برّ ذاتى فى الإنسان وإنما من أجل وعدك الإلهى ، وكلمتك الثابتة إلى الأبد ، حسب محبتك السرمدية تقدم المواعيد العظمى لعبدك .

من أجل وعده لشعبه أُعطى داود هباتٍ كثيرة ، فقد ثبَّت الله لنفسه شعباً يفتديه بكونه إلههم الذى يتمجد فيهم . من أجل الكنيسة المقدسة التى تحمل اسم المسيح يمنح أسراره الفائقة لمؤمنيه .

يختم داود صلاته بطلب البركة : « **فالآن ارتض وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك ، لأنك أنت يا سيدى الرب قد تكلمت ، فليُبارك بيت عبدك ببركتك إلى الأبد** » ٢ صم ٧ : ٢٩ . هذه هى البركة ، أن يكون الإنسان أمام الله على الدوام .

+ + +

## الأصحاح الثامن

## انتصارات داود المستمرة

لم يكن داود منشغلاً بمجده الذاتى ولا باتساع رقعة مملكته وإنما كان مهتما بملكوت الله ، لهذا لم يسعَ نحو إخضاع الأسباط تحت سلطانه إنما كان مشغولاً بخدمة الجميع ورعايتهم بكونهم شعب الله . الآن دخل داود النبى فى حروب كثيرة وتكررت العبارة : « **وكان الرب يخلص داود حيثما توجه** » ٢ صم ٨ : ٦ ، ١٤ . حصل على هدايا وغنائم كرَّسها لخدمة بيت الرب .

كإنسان حكيم مهتم بملكوت الله لم تشغله الحروب الخارجية عن الاهتمام بتدبير أمور مملكته الداخلية بحكمة واتزان .

**١ــ نصرته على الأمم المحيطة** ١ــ٨ .

**٢ــ توعى يقدم له هدايا** ٩ــ١٠ .

**٣ــ تقديس الهدايا والغنائم** ١١ــ١٤ .

**٤ــ تدبير أمور المملكة الداخلية** ١٥ــ١٨ .

+ + +

### ١ــ نصرته على الأمم المحيطة

كانت حروب داود النبى ضد الأمم الوثنية التى انجرفت تماماً فى الرجاسات مع العنف والقسوة ، تشير إلى جهاد المؤمن ضد الخطية بكل رجاساتها وعنفها .

لقد ضرب داود :

(أ) الفلسطينيين : « أخذ زمام القصبة من يد الفلسطينيين » ٢ صم ٨ : ١ ؛ أى أخذ جت وقراها ، بكونها قصبتهم وزمام دولتهم المتسلطة على يهوذا ودان ، إذ كانت جت على تخم يهوذا وبالقرب من دان .

جاءت الكلمة العبرية لزمام القصبة Meth-eg-ammah ، تعنى حرفياً « لجام الأمة » ، إذ كانت جت عاصمتهم تمثل من يمسك بلجام يحرك إسرائيل كيفما

شاء . لقد آمسك داود بهذا اللجام وقبض عليه فى يده ليستخدمه للتحكم فيهم عوض تحكمهم هم فيه .

(ب) المؤابيين : سبق أن أودع داود والديه لدى ملك موآب (١ صم ٢٢ : ٣ ، ٤) ، لسنا نعرف متى تحولت هذه الصداقة إلى عداوة لتستمر بعد ذلك . ربما كان موآب يسند داود عندما كان شاول يقاومه ، يهدف بذلك إلى مقاومة شاول كملك رسمى ، لكن إذ صار داود ملكاً واتحدت الأسباط معاً تحت قيادته واستقرت مملكته ثار موآب ضده .

ضرب داود المدينة ، قتل الثلثين ، واستبقى الثلث يدبرون أمورهم الداخلية مقابل دفع جزية (تقديم هدايا) . وقد تحققت نبوة بلعام : « يقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب » عد ٢٤ : ١٧ .

بقى موآب يدفع الجزية حتى موت آخاب حيث ثار ملك موآب ضد إسرائيل وعصاه (٢ مل ٣ : ٣ ، ٤) .

(جـ) السوريين أو الأراميين : كانت آرام تضم فى الشمال مملكتين عظيمتين متمايزتين : آرام صوبة (عاصمتها صوبة يظن البعض أنها حمص) تسيطر على عدة ملوك ؛ وآرام النهرين (عاصمتها دمشق) .

بدأ داود بمحاربة هدد (هدر) عزر ملك آرام صوبة . كانت صوبة[٤٦] فى أيام شاول وداود وسليمان مملكة آرامية قوية غرب الفرات . امتد سلطانها يوماً إلى حدود حماة إلى الشمال الغربى (١ أى ١٨ : ٣ ؛ ٢ صم ٨ : ١٠) وكانت دمشق إلى جنوبها أو الى الجنوب الغربى منها ، لأن إحدى مدنها بيروثاى كانت تقع بين حماة ودمشق .

ضربه داود من الغرب فى حماه (١ أى ١٨ : ١٣) ، من الوراء ، فجاء ملك آرام دمشق لنجدته فضربه داود [ يرى البعض أن آرام دمشق هى ذاتها آرام النهرين ، موقعها فدان آرام حيث عاش الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب ] .

بضرب داود آرام صوبة وآرام دمشق حطم كل ممالك آرام العظيمة ؛ ولكى لا تتجمع جيوشهم ثانية لمحاربته أقام محافظين فى صوبة ودمشق ، وألزمهم بدفع جزية (تقديم هدايا) .

استولى داود على أتراس الذهب (مطلية بالذهب) ، وهى أتراس حراس الملك ، وجاء بها إلى أورشليم . كما جاء بنحاس كثير جداً من مدينتى هدد « باطح » و « بيروثاى » وهما طبحة وخون (١ أى ١٨ : ٨) ، الأولى ربما تكون هى طبحة التى بين حلب والفرات [ باطح تعنى ثقة[٤٨] ] ، أما الثانية فيرى البعض أنها بيروت ، بينما يرجح آخرون أنها قرية بريتان على بعد ٦ أميال جنوب غربى بعلبك [ بيروثاى تعنى « آباراً »[٤٨] ] .

استخدم سليمان الحكيم النحاس الذى أُخذ من هاتين المدينتين فى صنع بحر النحاس والأعمدة والآنية النحاسية .

ترنم داود النبى بالمزمور الستين عندما حارب آرام صوبة وآرام النهرين (دمشق) وغلبهما . يعلن **القديس أغسطينوس** على عنوان المزمور قائلاً إنه حمل روحاً نبوياً ، إذ يعلن ما لم نجده فى التاريخ ليكشف لنا خلال الرمز ما سيحدث مستقبلاً[٤٩] .

عنوان المزمور كما جاء فى الترجمة السبعينية هو :

[ إلى الذين لازالوا يتغيرون .

إلى نصب تذكارى منقوش ، لأجل داود ،

للتعليم ،

عندما حرق المصيصة السريانية (ما بين النهرين ، آرام النهرين Mesopatamia) وصوبة السريانية (آرام صوبة) .

فرجع يوآب وضرب من آدوم فى وادى الملح اثنى عشر ألفاً ] .

يقدم لنا **القديس أغسطينوس** تفسيراً رمزياً لهذا العنوان موجزه الآتى (بتصرف) :

+ إن المزمور كتب من أجل الذين يغير المسيح (ابن داود) حياتهم لأجله هو ... كأن السيد المسيح هو الذى يغير حياتنا ويجددها ، وغاية هذا التغير هو أن نتعلم أن نلتقى به كغاية الناموس أو الوصية أو التعليم (رو ٥ : ١٠) . فهو المعلم وهو المجدد وهو الغاية .

+ كيف يحدث هذا التغيير ؟

(أ) بحرق المصيصة Mesopotamia (ما بين النهرين) السورية (آرام) : يرى **القديس أغسطينوس** أن سوريا تعنى « تعالٍ » و « مصيصة » تعنى « دعوة » . وكأنه لكى تتغير حياتنا يحرق الرب تعالينا وعجرفتنا لننعم باتضاعه . أرسل روحه القدوس النارى إلى العالم ليحرق كل فساد مجدداً طبيعتنا (فى مياه المعمودية) ؛ عوض أن يُدخل العالم إلى النار فيهلك أرسل ناره إلى العالم ليجدده ، بحرق أعمال الإنسان العتيق ومنح الإنسان الجديد الداخلى أو الحياة الجديدة التى فى المسيح . ليتنا لا نخاف نار المسيح وإن كانت تحرق فهى تحرق ما هو قديم فينا .

(ب) برجوع « يوآب » ؛ فى رأيه أن كلمة « يوآب » معناها « عدو » . وكأن المسيحى يرجع إلى ابن داود المنتصر بعد أن كان عدواً لله ... لنرجع إلى مسيحنا أحباء بعد العداوة القديمة .

(جـ) ضرب اثنى عشر ألفاً من آدوم فى وادى الملح . إن كانت « آدوم » تعنى « أرضاً » ، فتغييرنا يعنى ما هو أرضى فينا لنحمل ما هو سماوى . كما لبسنا صورة التراب (آدم الأول) هكذا يلزمنا أن نلبس صورة السماوى (آدم الثانى) (١ كو ١٥ : ٤٩) .

## ٢ـ توعى ملك حماة يقدم هدايا لداود

أرسل توعى أو توعو ملك حماة ابنه إلى داود ليسأل عن سلامته ويباركه بسبب ضربه هدد عزر ، الذى كان عدوا لتوعى . قدم الابن هدايا : آنية فضة ، آنية ذهب ، آنية نحاس ، قدسها داود لحساب بيت الرب . هكذا قبل داود هذه الإرسالية ، معلناً أنه لا يهوى الحرب بل يطلب السلام .

## ٣ـ تقديس الغنائم والهدايا

كان داود الملك يهيىء الطريق لسليمان ابنه لبناء بيت الرب من جانبين :

(أ) إخضاع الأمم المقاومة مثل آرام النهرين وآرام صوبة وآدوم ، وإقامة علاقات ودّ مع الأمم المسالمة مثل مملكة حماة ... حتى يعيش سليمان متفرغاً لبناء بيت الرب فى جو من السلام .

(ب) إعداد الإمكانيات للبناء ، إذ لم يستخدم داود الغنائم والهدايا لصالحه الخاص ولا لإثراء أسرته وسبطه وإنما قدم الغنائم مع الهدايا لحساب بيت الرب .

ميز داود النبى بين التماثيل الذهبية والآنية الذهبية ، الأولى حرقها (٢ صم ٥ : ٢١) والثانية خصصها لخدمة بيت الرب . الأولى أى الأصنام تشير إلى الشر الذى يجب تحطيمه تماماً ، فإن الله ليس فى حاجة إلى الذهب والفضة ... والثانية تشير إلى تحويل الطاقات والمواهب المستخدمة للشر إلى طاقات ومواهب لحساب ملكوت الله . الله يرفض الشر ويقدس ما دنسناه خلال الشر ، يكره الخطية لا الخطاة .

قيل أيضاً : « **ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من آدوم فى وادى الملح** » ٢ صم ٨ : ١٣ . هكذا أقام نصباً تذكارياً يعلن تحطيمه آدوم (أى ما هو أرضى) ... ما هو هذا النصب إلا صليب ربنا يسوع المسيح الذى حولنا عن الزمنيات إلى السماويات . لذلك جاء فى المزمور ٦٠ الذى تغنى به داود عند ضربه آدوم وآرام : « زلزلتَ الأرضَ فَصَمْتَها ، اجْبُرْ كسرها لأنها متزعزعة ... على آدوم أَطْرحُ نعلى » . بصليب ربنا تتزلزل فينا الأفكار الأرضية لنطأها تحت أقدامنا !

**٤ـــ تدبير أمور المملكة الداخلية**

كما نجح داود فى حروبه ضد الأمم المقاومة وكسب صداقات الأمم المسالمة نجح أيضاً فى الاهتمام بشئون مملكته الداخلية ورعاية شعب الله على خلاف شاول الذى كان قوياً فى الحروب وفاشلاً فى سياسته الداخلية .

**أولاً** : اهتم بكل الشعب وبالقضاء لهم بالعدل : « وملك داود على جميع إسرائيل ، وكان داود يجرى قضاءً وعدلاً لكل شعبه » ٢ صم ٨ : ١٥ .

جاء فى المزمور ٧٢ : « يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق، تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر . يقضى لمساكين الشعوب . يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم » مز ٧٢ : ٢ــ٤ .

**ثانياً** : نجح فى توزيع المسئوليات على قادة يسندونه ، فأقام :

( أ ) يوآب على الجيش .

(ب) يهوشفاط بن أخيلود مُسجِّلاً يكتب أحكام الملك ويحفظها .

(جـ) صادوق بن أخيطوب من نسل أليعازار وأخيمالك بن أبياثار كاهنين .

(د) سرايا كاتباً ، أى وزيراً ومفتشاً للدولة .

(هـ) بناياهو بن يهو يداع رئيسا على الجلادين والسعاة الذين يعاقبون المذنبين ، وهم أيضاً حراس الملك (٢ مل ١١ : ٤) . الكلمة الأصلية لجلادين « كريتيون » ، ربما لأن الملوك كانوا يفضلون استخدام حراس من الأجانب حتى إذا ما حدثت فتنة من الشعوب لا يتسترون عليهم بسبب القرابة .

( و ) بنيه (بنى داود)كهنة أى شفعاء . كلمة « كهنة » هنا لا تعنى ممارسة العمل الكهنوتى التعبدى وإنما عمل الشفاعة كحكام تحت يدى داود يعملون لحساب الشعب وخدمتهم ؛ يقدمون لداود طلبات الشعب الحقيقية ... لذا حسبوا ككهنة .

+ + +

# الأصحاح التاسع
## داود ومفيبوشث

عادة إذ يستريح الإنسان ويستقر ينسى الماضى بآلامه ويتجاهل مشاعر الغير ، أما داود النبى والملك صاحب القلب الكبير فنجاحه واستقراره دفعه بالأكثر إلى بحثه عن راحة الآخرين . لقد أراحه الله من جميع أعدائه ، وبعد موت شاول ويوناثان بحوالى ١٥ سنة لم ينس عهده مع يوناثان (١ صم ٢٠ : ١٤—١٧) ، فبدأ يسأل إن كان قد بقى أحد من بيت شاول لكى يصنع معه إحساناً من أجل يوناثان . سمع عن مفيبوشث بن يوناثان ، الأعرج الرجلين ، فاستدعاه ليرد له حقول جده شاول ويقيمه ضيفاً دائماً يأكل معه على مائدته كأحد أفراد أسرته .

**١ـــ داود يستدعى مفيبوشث** ١ـــ٦ .

**٢ـــ داود يرد له حقول شاول** ٧ـــ١٣ .

+ + +

### ١ـــ داود يستدعى مفيبوشث

من العادات القديمة أن يقتل الملك الجديد كل نسل الملك السابق لئلا يقاوموه ويطلبوا المُلك لأنفسهم (٢ مل ١١ : ١) ، أما داود النبى فأدرك أنه لم يستلم المُلك من يد إنسان بل من الله ، ولأنه لم يضع قلبه على المجد الزمنى بل مجد الله لذا لم يخف على كرسيه ولا طلب قتل نسل شاول ، إنما على العكس إذ استقر بدأ يبحث عمن بقى من نسل شاول ليصنع معه معروفاً (٢ صم ٩ : ١) .

استُدعى صيبا عبد شاول ووكيله قبل موته ، فامتثل أمام داود الملك وأخبره بأنه يوجد بعد ابن ليوناثان أعرج الرجلين (٢ صم ٩ : ٣) ، وأنه فى بيت رجل غنى يدعى ماكير بن عمِّيئيل فى لودبار بجلعاد شرقى الأردن [ « ماكير » معناها « مُبتاع » ] .

« صيبا » اسم آرامى يعنى « غصناً »[٥٠] ، كان خادماً أو عبداً للملك شاول . حُرر[٥١] ربما فى وقت تغلب الفلسطينيين على شاول . وكان أباً لعائلة كبيرة واقتنى عبيداً .

### ٢ـ داود يرد حقول شاول لحفيده

كان داود النبى والملك نبيلاً للغاية فى تعامله مع مفيبوشث ، كريماً فى عطائه له :

(أ) تحدث معه وهو صبى صغير السن وأعرج كإنسان معجب به ، يُسر بالحديث معه ، ذى كرامة ... لقاء داود معه كان أثمن بكثير وأعظم من الحقول التى رُدت إليه ، إذ أعطاه هذا اللقاء ما يريح نفسه الداخلية ويشبعها ، الأمر الذى لا تقدر كل مقتنيات العالم أن تهبها للإنسان . هذا ما دفع القديس بولس أن يطالبنا بتقديم قلبنا (الحب) للمحتاجين قبل تقديم الأموال أو العطايا المادية . يقول الرسول : « وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى أحترق وليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً » ١ كو ١٣ : ٣ .

(ب) يبدو أن مفيبوشث كان خائفاً أن يقتله الملك ، لذا طمأنه داود قائلا له : « **لا تخف ، فإنى لأعملن معك معروفاً من أجل يوناثان أبيك** » ٢ صم ٩ : ٧ . ما زرعه يوناثان من حب خالص وأمانة فى صداقته لداود يجنيه ابنه مفيبوشث بعد موت أبيه بسنوات .

(جـ) قدم داود حباً عملياً له : « **أرد لك كل حقول شاول أبيك** » ٢ صم ٩ : ٧ ، وطلب من صيبا (يبدو أنه رجل طماع وخبيث أراد فيما بعد عندما طُرد داود أن يغتصب هذه الممتلكات ) أن يعمل هو وبنوه وعبيده فى حقول شاول لحساب حفيده مفيبوشث .

(د) أخيراً حسبه كأهل بيته : « **وأنت تأكل خبزاً على مائدتى دائماً** » ٢ صم ٩ : ٧ ... لم يحتمل مفيبوشث هذا الكرم الشديد والحب المتدفق والرقة غير المتوقعة حتى وهو أعرج « **سجد وقال : من هو عبدك حتى تلتفت إلى كلب ميت مثلى ؟!** » ٢ صم ٩ : ٨ .

سبق أن سجد داود ليوناثان بكونه ولى العرش (١ صم ٢٠ : ٤١) ، وها هو ابن يوناثان يسجد لداود كملك .

داود فى سخائه يرمز للسيد المسيح ، الذى يدعونا إليه لنلتقى معه كأحباء ؛ ينزع عنا الخوف ، ويرد لنا ما قد فُقد منا (الطبيعة الصالحة التى خلقنا عليها) كما وهبنا أن نجلس على مائدته السماوية نتناول جسده ودمه المبذولين سر خلاص وتمتع بالحياة الأبدية .

+ + +

## الأصحاح العاشر
## تآمر الرؤساء على داود

أراد داود صاحب القلب الكبير أن يصنع معروفاً مع حانون ملك عمون من أجل ما فعله أبوه ناحاش معه ، لكن المشيرين أساءوا الفهم وأثاروا الملك ضده مدعين أن داود أرسل جواسيس — ولا معزين — ليقتحم المدينة ، فتحالف حانون مع الملوك المحيطين به لمحاربة داود ... لكن داود انتصر عليهم .

كانت هذه الحروب وأمثالها فرصة ليسجل لنا داود النبى بعض مزاميره (مز ٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦٠ ، ١١٠) التى تنبأت عن ثورة الأمم ، وتآمر الرؤساء على السيد المسيح حتى يُصلب ، ويبقى الأشرار يتحالفون ضد كنيسته فيتمجد السيد المسيح فى الكنيسة المضطهدة .

**١ـــ حانون يهين رسل داود** ١ ـــ٥ .

**٢ـــ الغلبة على بنى عمون وملوك آرام** ٦ ـــ١٤ .

**٣ـــ الغلبة على هدر عزر** ١٥ـــ١٩ .

\+ + +

### ١ـــ حانون يهين رسل داود

أساء مشيرو حانون ملك بنى عمون الظن بداود إذ حسبوا أن رسله للتعزية جواسيس لاقتحام المدينة ، وبمشورتهم الشريرة أثاروا حرباً عظيمة أدت إلى هلاك الكثيرين . ما أخطر إساءة الظن على حياتنا !

جاء رُسل داود إلى مدينة ربّة أو ربّة عمون . كلمة « ربة » معناها « عظيم » أو « عاصمة »[٥٢] ، وهى غير ربّة التى على جبال يهوذا (يش ١٥ : ٦) القريبة من أورشليم ، إنما هى ربة بنى عمون القائمة عند منبع نهر يبوق ، تبعد نحو ٢٣ ميلاً شرق الأردن . جمّلها بطليموس فلادلفوس (سنة ٢٨٥ـــ٢٤٦ ق.م) ودعيت فيلادلفيا تكريماً له ، اسمها الحديث عمّان ، عاصمة شرق الأردن . يمر بها الطريق التجارى بين دمشق وشبه الجزيرة العربية .

استمع حانون لمشيريه الأشرار فحلق نصف لحى الرسل وشق ثيابهم ... يعتبر هذا العمل عند العبرانيين إهانة عظيمة . سمع داود الملك فذهب إليهم وطلب منهم ألا يرجعوا إلى أورشليم حتى لا يخجلوا من لقائهم مع رجال البلاط . هكذا حمل داود مشاعر رقيقة ، إذ يهتم بمشاعر كل إنسان ويخشى أن تُجرح !

**٢ـــ الغلبة على بنى عمون وملوك آرام**

شعر بنو عمون أن إهانة سفراء داود موجهة إلى الدولة كلها ، ملكاً وشعباً ، وأنه لابد أن ينتقم داود منهم ، فاستأجروا آراميين من ممالك آرام وتحالفوا معهم على محاربة داود . استأجروا آراميين من بيت رحوب وصوبة ومعكة وطوب . هكذا دفعت إساءة الظن إلى حرب طاحنة بين دول وممالك كثيرة !

« **بيت رحوب** » : اسم عبرى معناه « بيت موضع رحب أو مفتوح أو بلازا »[٥٣] . مدينة فى شمال فلسطين ، فى وادى الأردن الأعلى (عد ١٣ : ٢) ، تدعى « رحوب » . سكنها الأراميون (السريان) ، موقعها بقرب « دان » أو « تل القاضى » ، كانت فى موقع « بنياس » الحالية .

« **صوبا** » : راجع تفسير الأصحاح الثامن .

« **معكة** » : إحدى ممالك آرام دعيت « آرام معكة » أو « سوريا معكة » ١ أى ١٩ : ٦ـــ٧ ، على تخوم فلسطين الشمالى الشرقى بين أرجوب غرباً والبرية شرقاً ، سكانها من سلالة ناحور (تك ٢٢ : ٢٤) . [ اسم « معكة » معناه « غبى »[٥٤] ] .

« **طوب** » : معناها « صالح أو حسن أو طيب »[٥٥] . منطقة تقع شرق الأردن ، هرب إليها يفتاح لما حرمه إخوته من الميراث (قض ١١ : ٣ ، ٥) ، ربما هى أرض تبياس (١ مك ٥ : ١٣ ؛ ٢ مك ١٢ : ٧) ، لعلها هى « الطيبة » التى تبعد ١٠ أميال جنوبى جدارا Gadara (حالياً أم قيس أو مقيس) .

إذ سمع داود بتحالف هذه الممالك معاً ضده لم يخف وإنما بالأكثر تمسك بوعود الله له ، فاستعد للحرب متكئاً على قوة الرب نفسه ، قائلاً :

« لماذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب فى الباطل .

قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه ...

الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم ...
إنى أخبر من جهة قضاء الرب .
قال لى : أنت أبنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك ...
فالآن أيها الملوك تعقلوا ... » مز ٢ .

لم يكن ممكنا لداود برجاله المشاة أن يقاوم هذه الممالك المجتمعة التى تحاربه من الشمال ( بنى عمون ) ومن الشمال ( الآراميين ) والتى خرجت بمركبات وخيل .. إنما اتكل على قوة الله ، قائلا :

« يارب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً؟!» مز ٢١ : ١ .

« هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر» مز ٢١ : ١.

رأى داود خلال هذه المعركة التى طرفاها الله نفسه وقوات الظلمة أى إبليس ، معركة الصليب حيث تجمعت قوات الظلمة ضد الابن الوحيد الجنس ، لذا أنشد قائلاً :

« قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » مز ١١٠ : ١ .

خرج بنو عمون واصطفوا للحرب عند مدخل المدينة ، غالباً « ربّة » ، بينما كان الآراميون ( السوريون ) فى السهل ( الحقل ) مقابل ميديا ( ١ أى ١٩ : ٧ ) حتى يسهل تحرك مركباتهم .

لو أن يوآب جمع كل رجاله ليحارب بنى عمون متجهاً نحو الجنوب لضربه الأراميون من خلف فى الشمال ، خاصة وأن الأراميين أكثر قوة من بنى عمون . بحكمة قسّم يوآب رجاله قسمين ، أخذ الجبابرة معه متجهاً نحو الآراميين بينما ذهب أخوه أبيشاى متجهاً نحو بنى عمون ، واتفقا معاً أنه إن ضعف طرف يسنده الآخر .

إذ كان الآراميون مستأجرين لم يستطيعوا الوقوف أمام يوآب ورجاله الأبطال ، وبالتالى خاف بنو عمون وهربوا من أمام أبيشاى ودخلوا مدينة ربة قبل أن يبدأ أبيشاى بمحاربتهم . خافوا لأنهم أضعف من الآراميين . لم يلحقهم أبيشاى ولا يوآب بل عاد الاثنان مستحسنين تأجيل الحرب لمدة سنة كاملة ( ٢ صم ١١ : ١ ) .

اتفاق يوآب مع أخيه أبيشاى أن يكون كل منهما مستعداً لنجدة الآخر يكشف عن أحد ملامح الجهاد الروحى الحىّ ، وهى مساندة العضو لأخيه . لذا أوصى السيد المسيح تلميذه بطرس : « ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك ، وأنت متى رجعت ثبت إخوتك » لو ٢٢ : ٣٢ . فإن كان الله هو سر نصرتنا وقوتنا يلزمنا بدورنا أن نسند الضعفاء . يقول الرسول بولس : « أسندوا الضعفاء » ١ تس ٥ : ١٤ .

### ٣ـــ الغلبة على هدر عزر :

حاول الآراميون أن يردوا اعتبارهم وسمعتهم فتجمعوا من جديد لمحاربة رجال داود ؛ وقد بعث إليهم هدر عزر ملك آرام صوبا ( ٢ صم ٨ : ٣ ) شوبك رئيس جيشه ، لكن داود غلبه وقُتل شوبك فى الحرب ، فخاف الملوك الخاضعون لهدر عزر وتصالحوا مع داود واستعبدوا له ولم يعودوا يساندون بنى عمون بعد .

+ + +

# الباب الثانى

## متاعب داود وضعفاته

قدم لنا الكتاب المقدس صورة واقعية لشخصية داود النبى والملك ، الذى عاش بقلب منفتح نحو الله والناس منذ صُبوَّته ، فى نقاوة وطهارة ، مشتاقاً أن يخدم الله ويمجده فى جدية وبغيرة متقدة ناراً ، وأن يبذل حياته من أجل الأمانة حتى فى رعايته الخراف غير الناطقة . كافأه الله على هذه الحياة الجادة المقدسة واهباً له كل نجاح ونصرة حتى تعظم جداً وكان رب الجنود معه .

استطاع داود أن يقتل أسداً ودباً لينقذ خروفاً أو أكثر وأن يقتل بحجر أملس جُليات الجبار الذى يعير صفوف الشعب ويجدف على الله . واجه مقاو: شاول الملك المستمرة ومطاردته بقلب مملوء سماحة وحكمة . قبل وعود الله بصبر واتزان دون تلهف على نوال مجد واستلام المملكة . حين سقط مطارد له كشاول الملك أو منافس كمفيبوشث كان الرجلَ النبيلَ الذى لا يعرف الشماتة بل من أعماق قلبه يرثيه كرجل محبوب لديه ...

هذه السيرة العطرة الفريدة من نوعها تكشفت بأعظم جلاء خلال المزامير التى أنشدها بروح الله لتبقى ذخراً للمؤمنين وعوناً لهم فى الحياة المقدسة فى الرب .

الآن بعد أن صار ملكاً على كل الأسباط ، واستقرت مملكته ، وجاء بالتابوت إلى مدينته ، فى لحظة ضعف تهاون فسقط لتظهر الطبيعة البشرية بأعماق ضعفها فى حياة داود العظيم . انهار هذا الجبار وانحدر بالتتالى من خطية إلى أخرى ... وكان يظن أنه قادر على إخفاء هذا الضعف فإذا بها تنفضح أمامنا جميعاً عبر الأجيال بعد أن نال تأديبات مُرَّة وحلت به أحزان متوالية خلال كل بقية أيام حياته .

لم يخجل الوحى الإلهى عن تسجيل هذه السقطات فى شىء من التفصيل ، دون إخفاء للضعف أو تستر عليه حتى ندرك الحاجة إلى التجديد الكامل للطبيعة البشرية ، بل الحاجة إلى تدخل الخالق نفسه لتحقيق هذا التجديد .

سقطات داود هى جرس تحذير يدوى عبر الأجيال لكى يتيقظ كل مؤمن وكل خادم ـــ مهما بلغت قامته الروحية أو خبراته عبر السنوات ـــ لئلا يسقط .

سقطات داود ملأته أحزاناً مرة لكن بالتوبة تحولت تمجده ، فصارت سيرته ومزامير توبته سر قيام لكثيرين حطمتهم الخطية وهوى بهم اليأس !

+ + +

# الأصحاح الحادى عشر
## سقوط داود مع بششبع

هرب بنو عمون من أمام أبيشاى ودخلوا مدينتهم الحصينة ربّة ، وإذ تمت استعدادات كافية لمحاربتهم عند مدينتهم حتى لا يعودوا يمثلون خطراً على مملكة داود ، أرسل داود يوآب وعبيده للحرب حيث قاموا بتخريب مدن بنى عمون وقراها وحاصروا مدينتهم الحصينة ربَّة ، أما داود فأقام فى أورشليم . استسلم داود للتراخى وتمشى على السطح وترك العنان لعينيه تتطلعان إلى امرأة أخيه فانحدر تدريجيا حتى ارتكب خطايا بشعة .

**١ــ تراخى داود** ١ ــ٢ .
**٢ــ السقوط التدريجى** ٣ ــ٤ .
**٣ــ علاجه البشرى** ٥ ــ١٣ .
**٤ــ تسليم أوريا للموت** ١٤ــ٢٥ .

\+ + +

### ١ــ تراخى داود

الخطوة الأولى فى السقوط هى التهاون والاسترخاء . لم يسقط داود فى مثل هذه الخطية ( الزنا ) حين كان يجاهد فى صباه وشبابه وهو يرعى الغنم ، وحين عمل فى البلاط الملكى لدى شاول ، وحين صار طريداً أمام الملك ، وأيضاً حين كان ملكاً على سبط واحد ، وحين اهتم بخلاص الأسباط جميعها ، أما الآن وقد استقرت مملكته وتزايد فى المجد وصار له بيت من الأرز ترك الحرب ليوآب رئيس جيشه واسترخى فى بيته فى أورشليم .

فى وقت المساء عوض الصلاة من أجل المجاهدين قام عن سريره وتمشى على سطح البيت « فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر

جداً » ٢ صم١١ : ٢ ... حياة التراخى خلقت فراغاً فى القلب والحواس ليطلب الإنسان شبعاً لحواسه بجمال خارجى .

كثيراً ما تحدث مار إسحق السريانى عن خطورة التراخى والكسل فى حياة المؤمن كما فى حياة القائد الروحى ، فمن كلماته :

[ تراخى أعضاء الجسد يتبعه هيام الأفكار وتشتيتها(٥٦) ] .

« عندما يتطلع الجسد إلى الترف والأمور العالمية ويرى علل الارتخاء فى كل ساعة تلتهب فيه الشهوة المحرقة(٥٧) ] .

[ الإهمال والرخاوة يضرَّان ليس فقط من يخضع لهما وإنما أيضا من هم تحت قيادته(٥٨) ] .

[ الإنسان الذى يصير فى عهدته كنز لا ينام . إنْ راعَيْنا ناموس السهر ومارسنا التمييز بمعرفة هذه التى تجنى منها ثمرة الحياة فإنه لن تقترب إلى ذهننا هجمات الأهواء بأية وسيلة(٥٩) ] .

٢ـ السقوط التدريجى

« فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها » ٢ صم ١١ : ٣ ، ٤ .

كان داود قوياً ، لم يسقط قط منذ صباه فى الزنا ، ولا قتل أحداً بظلم ، ولا مال يميناً أو يساراً عن الشريعة اللهم إلا فى بعض لحظات ضعف بسيطة ، كيف يسقط الآن وهو ملك قوى ونبى مختار وقاضٍ عادل للشعب ؟!

لعل داود لم يكن يتوقع فى نفسه أنه ينحدر يوماً إلى هذا السقوط الشنيع ، لكن الخطية خاطئة جداً ومخادعة للغاية ، تعرف كيف تلقى شباكها وفخاخها لتصطاد الجبابرة تدريجياً . بدأ داود بالتراخى فى أورشليم وقت الجهاد ، والنوم على سرير الكسل فى بيته ، ثم بالمشى على السطح عوض الصلاة من أجل رجاله

والانسحاق أمام الله من أجل شعبه ؛ مال داود ونظر من على السطح ليرى امرأة تستحم فى بيتها ؛ سأل عنها إذ ربما حسبها فتاة عذراء ليتزوجها ، وعرف أنها امرأة أوريا الحثى الذى يحارب من أجل مملكته ، بعث إليها رسلاً وأخيراً سقط معها !!

لقد شلت الشهوة كل تفكير جاد ، فقد نسى داود الآتى :

(أ) أنه مسيح الرب ونبيُّه الذى نال نعماً إلهية عظيمة ؛ فلا يليق به أن يحطم قدسية حياته الداخلية فى الرب .

(ب) أنه فى حالة حرب ، وكان يليق به أن ينزل المعركة : كعادته ليبذل ويعطى بفرح من أجل مجد الله وبنيان الجماعة ، لا أن يطلب ما لإشباع شهوات جسده .

(جـ) يغتصب امرأة متزوجة كاسراً الشريعة التى تطلب قتل الاثنين ( لا ٢٠ : ١٠ ) .

( د) يخون بطلاً أميناً يدافع عن مملكته ، وهو رجل غريب الجنس متهود .

هذا السقوط سرُّه التهاون بالثعالب الصغيرة المفسدة للكروم ( نش ٢ : ١٥ ) ، فإن الخطايا الكبيرة — إن صح التعبير — بدايتها إهمال صغير ، وبالتدريج ينحدر الإنسان إلى سلسلة من الخطايا .

لقد كان الوقت مساءً ( ٢ صم ١١ : ٢ ) حين قام داود عن سريره يتمشى على سطح بيته ويتطلع نحو امرأة تستحم . كان الوقت ملائما للسقوط ، لأن « شمس البر » قد غرب عنه ، وحلت الظلمة حوله ، فعاش كما فى ليل .

مادام مسيحنا — شمس البر — مشرقاً فينا ، فلن يحل بنا مساء ، ولا تكتنفنا ظلمة ، بل بالحرى نصير أبناء نور محفوظين بنعمته من السقوط . يقول الرسول بولس : « وأما أنتم أيها الإخوة فلستم فى ظلمة ... جميعكم أبناء نور ، وأبناء نهار ، لسنا من ليل ولا ظلمة ... وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص » ٢ تس ٥ : ٤—٨ .

ارتباطنا بمسيحنا ينير أعماقنا فلا يزحف فكر خبيث إلينا ولا يتسلل لص إلى قلبنا .

لقد تسللت شهوة شريرة إلى أحاسيس داود فى المساء ، جاءت كضيف — على حد تعبير ناثان النبى ( ٢ صم ١٢ : ٤ ) يريد أن يأكل ويشبع ، فأرسل داود إلى بيت أوريا الحثى يأخذ زوجته الوحيدة بشبع ، يقدمها طعاماً له . طلبها داود لإشباع شهواته مع أن له زوجاته ... افترستها شهوته كما افترسته هو أيضاً !

يقول الكتاب إنها « دخلت إليه » ٢ صم ١١ : ٤ ، ربما شعرت المرأة بما فى قلبه فأغرته وأثارت مشاعره ، إذ حسبت ذلك فخراً لها أن يطلبها ملك عظيم ... ومع هذا فإن داود لا يتبرر ولا نُسب له عذر ، لأنه هو الذى أرسل يطلبها . لقد استطاع وهو صبى أن يقتل جليات الجبار ويرعب الوثنيين ويرد للشعب كرامته ، وها هو أمام شهوته ينكسر فى مذلة بين يدى امرأة !

يعلق القديس اغسطينوس عن سقوط داود أمام شهوته الجسدية قائلاً :

[ هذا الضعف الذى للجسد يجب أن يكون موضع اعتبار . لنتذكر كلمات الرسول : « لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت » رو ٦ : ١٢ . لم يقل : « لا تكن فيكم الخطية » ، بل : « لا تملكن الخطية » . توجد خطية فيك متى وجدت لذة ، وتملك الخطية فيك متى وافقتها. يليق بك أن تلجم اللذة الجسدية النابعة عن مصدر غريب غير شرعي ، ولا تتركها متسيبة . لتروضها متحكماً فيها ، لا أن تتركها تتحكم فيك ... احذر حتى إن كان ليس فيك شيء يتحرك ... هل أنت أقوى من داود ؟...

هذه الخطية لم يرتكبها داود حين كان شاول يضطهده ... وحين كان مرتبكاً بسبب أعدائه ، هارباً إلى أماكن متنوعة لكى لا يسقط بين أيديهم . لم يشته ما للغير ، ولا قتل زوج امرأة بعد أن زنى معها . كان فى ضعف من متاعبه ، لكنه كان ملتصقاً بالله حينما كان يبدو أكثر بؤساً . نافعة هى التجارب ، إنها مشرط الجراح ![٦٠] ] .

### ٣ــ علاجه البشرى

بحسب الشريعة كانت بشبع مستوجبة القتل ( لا ٢٠ : ١٠ ) ، لذلك أرسلت إلى الملك ليدبر أمر خلاصها من الموت . أرسل داود إلى رجلها يطلبه من الحرب لينزل إلى بيته ، فيُحسب الحمل منه وتختفى آثار الجريمة ، لكن أوريا لم يرض أن ينام فى بيته مادام إخوته يجاهدون فى الميدان .

لقد وبَّخ الله داود على لسان أوريا دون أن يدرى ، إذ قال له : « إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ؟! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر » ٢ صم ١١ : ١١ . لقد حسب أوريا أن إيمانه بالله وقدسية حياته بل وشهامته كرجل حرب بل وإنسانيته ، هذه جميعها تمنعه عن أن يدخل بيته فى ذلك الوقت ليأكل ويشرب بينما المعركة دائرة . حسب ذلك إهانة لله ( المرموز له بالتابوت ) وللشعب ( إسرائيل ) ولسبط الملك ( يهوذا ) كما لقائده ( يوآب ) وإخوته فى الميدان ( عبيد داود ) إن استراح فى بيته ومارس حتى ما هو شرعى بالنسبة له ... إنه وقت للبذل والجهاد لا للتمتع بالحقوق الشخصية ! كان هذا توبيخاً لداود فبسقوطه أهان الله وشعبه وسبطه ورجال الحرب كما أهان الصداقة وأساء إلى نفسه !

استخدم داود كل وسيلة لإخفاء جريمته ، دعا الرجل حاسباً أنه يجد فى هذه الدعوة فرصة لممارسة العلاقات الجسدية مع زوجته الجميلة ، وأصدر الأمر إليه أن يدخل بيته فرفض حباً فى الله وداود وشعبه وتكريماً لإخوته فى الحرب ، وأخيراً أسكره ... وحتى بعد سكره لم ينزل إلى بيته ( ٢ صم ١١ : ١٣ ) .

### ٤ــ تسليم أوريا الحثى

ضاق الأمر جداً بداود الجبار فأحدرته الخطية ليسقط فى سلسلة مُرَّة من الخطايا البشعة ، إذ سلم بطله الأمين خطاباً يحمل رسالة خفية بقتله على يدىْ الأعداء دون ذنب .

استطاع داود قبلاً أن يدافع عن الحق ويحارب الوثنيين ليعيد للشعب كرامته وقدرته ولو على حساب صالحه الخاص ، أما الآن فاستهان بالعدل واحتقر روح الأمانة والإخلاص مسلماً القائد الأمين ومعه نفوساً بريئة للموت بأيدى الأعداء لا لسبب سوى ستر فضيحته وإخفاء الحقيقة عن الأعين .

هل أدرك يوآب سر هذه الرسالة المختومة ؟

ربما لم يدركها فى البداية وكان عليه أن يطيع أمر سيده ، لكنه قطعاً فهم ما وراءها عندما تزوج داود بامرأة الرجل بعد انقضاء فترة الحزن مباشرة . ولعل يوآب أدرك — منذ البداية — أن وراء الرسالة سراً خطيراً ، وأن أوريا سيكون ضحية هذا القرار الخفى ، لأنه يموت دون محاكمة ولا دفاع من جانبه .

كانت بالنسبة ليوآب فرصة ثمينة ليحقق طلب الملك فلا يعود الملك يذله على قتله لمنافسه أبنير ( ٢ صم ٣ ) . شعر داود بنوع من المذلة أمام يوآب ، لهذا نجد يوآب يتجاسر ويتحدث مع داود بعد قتله أبشالوم كما بسلطان ( ٢ صم ١٩ : ٥—٨ ) ، وقد حاول عزله من منصبه فلم يقدر فأوصى ابنه سليمان بقتله ( ١ مل ٢ : ٥ ، ٦ ) .

جاء قتل أوريا ظلماً وأيضا بعض رجال الحرب وذلك بسبب ارتكاب خطية زنا ، هكذا تلتحم القساوة والعنف والظلم مع النجاسة . فالإنسان الساقط تحت ثقل النجاسة تجده عنيفاً وقاسياً فى أعماقه حتى وإن كان له مظهر الرقة والوداعة ، والإنسان العنيف فى أعماقه ينهار أمام شهوة الجسد فى مذلة . العنف والزنا أخوان متلازمان ، يسند أحدهما الآخر . كثيرون سقطوا فى شهوات الجسد لا لسبب إلا عنفهم ؛ فحينما يكون الإنسان عنيفاً مع والديه أو إخوته أو أقربائه أو زملائه يشرب من ثمرة عمله فيصير جسده عنيفاً معه يقاوم كل طهارة أو عفة ، وكما يقول عوبديا النبى : « كما فعلتَ يُفعل بك ، عملك يرتد على رأسك » عو ١٤ .

نعود إلى داود لنجده قد اشتعل غضباً بسبب محاولة يوآب اقتحام المدينة والاقتراب منها جداً ، متجاهلاً ما حدث مع أبيمالك بن يربوشت حين قتلته امرأة بإلقاء رحىً عليه من السور ( قض ٩ : ٥ــ٥٤ ) . أخبروه بأن أوريا الحثي مات فسكن غضبه !

سمعت بثشبع عن موت رجلها فندبته سبعة أيام حسب العادة القديمة ( تك ٥٠ : ١٠ ؛ ١ صم ٣١ : ١٣ ) ، ثم ضمها داود الملك زوجة له ، حاسباً أن ستاراً قد أسدل على جريمته إلى الأبد ، فاستراح ضميره إلى عام كامل .

« **وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب** » ٢ صم ١١ : ٢٧ . الله ليس عنده محاباة ، فإن كان داود قد جاهد كثيراً من أجل الله ولبنيان شعبه لكنه لا يتستر على جريمته هذه ، ولا يقبل هذا الفعل الشرير ... إنه ينتظر توبته ، فإن استكان ضميره يرسل له من يوقظه ويوبخه .

نختم حديثنا بما قاله **القديس أغسطينوس** فى عظته عن المزمور الخمسين (٥١) : [ كانت المرأة بعيدة لكن الشهوة قريبة ( رو ٦ : ١٢ ) ] ؛ وكأن ما نرتكبه من خطايا ليس هو ثمرة الظروف إنما لأننا نملِّك الخطية فينا ، تقودنا وتسحبنا إلى حيث تشاء !

## الأصحاح الثانى عشر
## اعتراف داود النبى

عاش داود النبى عاماً كاملاً مع خطيته لم يبكته ضميره عليها بالرغم من خبراته الروحية القديمة ومعرفته للناموس وعمله كقاض للشعب يحكم بالعدل . كان محتاجاً إلى ناثان ليبكته على عمله ويحفزه على الاعتراف بما ارتكبه .

**١ـــ ناثان يوبخ داود** ١ ـــ٩ .

**٢ـــ تأديب داود** ١٠ـــ١٢ .

**٣ـــ توبة داود** ١٣ـــ١٤ .

**٤ـــ موت ابن بثشبع** ١٥ـــ٢٣ .

**٥ـــ ميلاد سليمان** ٢٤ـــ٢٥ .

**٦ـــ داود يهزم ربّة** ٢٦ـــ٣١ .

\+ + +

### ١ـــ ناثان يوبخ داود

أرسل الرب ناثان إلى داود ليوقظ ضميره ، فروى له قصة الرجل الغنى الذى أبى أن يذبح إحدى نعاجه لضيفه ، مغتصباً نعجة الفقير الوحيدة الصغيرة التى اقتناها لنفسه ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً ، أكلت من لقمته وشربت من كأسه ، ونامت فى حضنه وكانت له كابنة . حمى غضب داود على هذا الغنى المغتصب أخاه الفقير وأصدر حكمه : « **حيّ هو الرب أن يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف ، لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق** » ٢ صم ١٢ : ٦ . أجابه ناثان النبى : « **أنت هو الرجل** » ٢ صم ١٢ : ٧ .

الضيف الجائع هى شهوة داود التى ثارت فيه خلال تراخيه وتهاونه مع الخطية ، فأراد أن يشبعها باغتصابه بثشبع الصغيرة الوحيدة المحبوبة جداً لدى رجلها ، هذه التى عاشت معه تشاركه حياته وأكله وشربه وسرير نومه ، رافقته

زماناً بكل أحاسيسها ومشاعرها ، والآن يغتصبها الغنى جداً داود الذى أقامه الله ملكاً والذى تهاون بالناموس بزواجه كثيرات . فى كل يوم كان داود يتعظم جداً لأن رب الجنود كان معه ( ٢ صم ١٥: ١٠ ) . كان الله يود أن يقدم له أكثر فأكثر لكنه بخطيته أغلق على نفسه دون فيض النعم المجانية .

بحسب الشريعة لا يُقتل السارق إنما يرد أربعة أضعاف ( خر ٢٢ : ١ ، لو ١٩ : ٨ ) ، لكن ظروف السرقة كما وصفها ناثان ( وتنطبق على داود ) أغضبت داود جداً فطلب قتل الرجل دون أن يدرك أنه يحكم على نفسه ، خاصة وأنه لم يسرق نعجة وحيدة بل امرأة إنسان مخلص وأمين ، اغتصبها فى ظروف حرب وقتل رجلها ... فماذا يستحق ؟

يليق بنا أن نقف قليلاً أمام تصرف ناثان ، فقد جاء تصرفاً حكيماً ، صريحاً ، حازماً ، ومملوءاً حباً . لم يخف أن يتحدث بصراحة وبحزم مع ملك أخفى جريمته بقتل أوريا الحثى ، وكان يمكن أن يتعرض ناثان لذات المصير . فى جرأة لم يخشَ الملك ولا حاباه ، وكما جاء فى الدسقولية : [ لا تحابى الوجوه عندما توبخ على خطايا ، إنما اعمل مثل إيليا وميخا مع آخاب ( ١ مل ١٨ : ٢١ ، ٢٢ ) ، وعبد ملك الأثيوبى مع صدقيا ( إر ٣٨ ، ٣٩ ) ، وناثان مع داود ( ٢ صم ١٢ ) ، ويوحنا مع هيرودس ( مت ١٤ )[٦١] ] .

كان صريحاً وحازماً وأيضاً مملوءاً حباً ... فتح أبواب الرجاء أمام داود الملك .

جاء ناثان ليتحدث مع داود خفية دون أن يقف ليشهر به علانية ، وإن كان الله قد سمح بنشر كل ما حدث لأجل خلاصنا . هكذا يليق بنا عند توبيخنا للغير أن نلتقى بهم خلال دائرة الحب والصداقة ، لا التشهير العلنى أمامهم أو فى غيبتهم . يقول **مار اسحق السريانى** : [ من يصلح أخاه فى حجرته الخاصة يشفيه من الشر ، أما من يتهم آخر فى اجتماع علنى فيدمى بالأكثر جراحاته . من يشفى أخاه خفية يعلن قوة حبه ، أما من يجعل أخاه فى خزى أمام أصحابه فيبرهن على قوة حسده . الصديق الذى ينتهر آخر فى السر هو طبيب حكيم ، أما من يرغب فى معالجته أمام أعين الكثيرين ففى حقيقته هو شتّام[٦٢] ] .

### ٢ـ تأديب داود

محبة الله لداود دفعته أن يرسل له ناثان لإيقاظ ضميره ولتأديبه علانية ، فمن الأفضل له أن يُفضح هنا فى الزمان الحاضر فيتوب ويرجع إلى الله عن أن يغطى على جراحات النفس فيهلك الإنسان فى خطيته أبدياً . لذلك قال ناثان لداود : « **والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ، لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة ، هكذا قال الرب ، هأنذا أُقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس . لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس** » ٢ صم ١٢ : ١٠ـــ١٢ .

يبدو أن هذا التأديب كان قاسياً للغاية لكنه كان ضرورياً لخلاص نفسه وخلاص الآخرين :

(أ) أوضح أن هذا التأديب هو الثمر الطبيعى للخطية ، فما يجتنيه داود إنما القليل من ثمار فعله . لقد قتل سراً فأفاض القتلُ قتالاً ، وزنى خفية وأفاض ذلك فساداً . أما كون التأديب يتحقق داخل بيت داود ، فمن جهة مات ابنه الذى من بشبع ، واغتصب أمنون بن داود ثامار أخته ( ٢ صم ١٣ : ١ـــ٢٢ ) فقتله أخوه أبشالوم ( ٢ صم ١٣ : ٢٣ـــ٣٨ ) ، وقام أبشالوم على أبيه داود ليغتصب منه الملك واضطجع مع سراريه أمام جميع إسرائل ( ٢ صم ١٦ : ٢٢ ) وطلب قتل والده ( ٢ صم ١٧ : ٢ ) فقُتل هو ( ٢ صم ١٨ : ١٤ ، ١٥ ) ، وقتل أدونيا بأمر أخيه سليمان ( ١ مل ٢ : ٢٥ ) ...

هذه جميعها تمت داخل بيت داود لكن يؤكد الله أن ما تم إنما هو ثمر طبيعى داخلى للفساد الذى قبله داود بإرادته .

(ب) خلال تأديبات داود التى حلت ببيته أوضح الكتاب المقدس خطورة دور الأسرة وقدسيتها ، فما ارتكبه داود أثمر فى حياة أولاده ، وإن كانوا لا يعاقبون على خطئه ، إنما يذوقون هنا مرارة ما ورثوه عن أبيهم . الآباء الفاسدون يقدمون لأبنائهم فساداً ، والمباركون يقدمون لهم البركة .

(جـ) كانت العقوبة قاسية بالنسبة لداود لأنه قائد ؛ كان يليق به أن يكون مثالاً حياً لشعبه ، لذا صارت عقوبته مضاعفة . فالعقوبة ليست ثمناً معادلاً للخطية ، لكنها تأديب لإصلاح المخطىء ومن هم حوله ، تختلف حسب ظروف كل إنسان . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [ ليست العقوبة واحدة لكل الخطايا ، بل توجد عقوبات كثيرة ومتنوعة حسب الأوقات والأشخاص ورتبهم وفهمهم وأمور أخرى(٦٣) ] .

( د) لتأكيد أنه ليس عند الله محاباة ، فإنه وإن كان قد أقامه نبيًّا وملكاً وقاضياً ، وله تاريخ مجيد فى حياة مقدسة لكنه متى أخطأ يستوجب التأديب . يقول **القديس ايريناؤس** : [ الله غير محابٍ للوجوه ، لذا يوقع عقوبة مناسبة على التصرفات التى لا تسره . وذلك كما فى حالة داود الذى عانى الاضطهاد من شاول ( ١ صم ١٨ ) من أجل البر ، وهرب من الملك شاول ولم يرد أن ينتقم من عدوه ، وأنشد بمجىء المسيح ، وعلّم الأمم الحكمة ، وفعل كل شىء بإرشاد الروح وسُرّ به الله . لكنه عندما دفعته شهوته ليأخذ بتشبع زوجة أوريا يقول الكتاب : « وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب » ٢ صم ١١ : ٢٧ . وأرسل إليه ناثان النبى يشير له إلى جريمته حتى يحكم على نفسه ويدين ذاته فينال رحمة ومغفرة من المسيح »(٦٤) ] .

### ٣ـ توبة داود

دخل داود النبى إلى أعماقه ليكتشف ضعفاته دون تقديم أى مبررات خارجية لنفسه . شعر أنه أخطأ بلا عذر ، وحسب خطيته موجهة ليس ضد أوريا الحثى ولا بتشبع وإنما أولاً وقبل كل شىء ضد الله نفسه . لم يخجل كملك عظيم ونبى وقاضٍ ومنظم لأمور العبادة أن يعترف لله فى حضرة ناثان النبى قائلاً : [ **قد أخطأت إلى الرب** » ٢ صم ١٢ : ١٣ .

شعر أن الخطية فى داخله مُرَّة للغاية لذا وجب عليه أن يتقيأها ، وكما يقول **مار اسحق السريانى** : [ تذكر أن كل لذة يتبعها غثيان ومرارة كصديقين

متلازمين[٦٥] ] . لقد تقيأ المر الذى فى داخله فى خجل من نفسه ومن خطيته لا من الاعتراف أمام ناثان .

جاءت إجابة ناثان تعلن حب الله الفائق : « **الرب قد نقل عنك خطيتك لا تموت** » . بحسب الشريعة كان يجب أن يُقتل لكن الله فى رحمته عفا عنه فلا يقتل ، كما بالتوبة ينعم بالخلاص ـــ خلال الذبيحة المقدسة ـــ فلا يموت بل يتمتع بالحياة الغالبة للموت .

خلال هذه التوبة الصادقة سجل لنا داود النبى الكثير من « مزامير التوبة » مثل مز ٦ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٣ يتوجّها المزمور الخمسون ( مز ٥١ ) الذى ننشده مع كل صلاة طالبين مراحم الله بالتوبة الصادقة .

+ أيا كنت أنت يامن تخطىء وتتردد فى ممارسة التوبة عن خطاياك ، يائساً من خلاصك ، اسمع داود يتنهد . لم يُرسَل إليك ناثان ، إنما داود نفسه مُرسل لك .

اسمعه يصرخ ، واصرخ معه !

اسمعه يتنهد ، وتنهد معه !

اسمعه يبكى ، واخلط دموعك بدموعه !

اسمعه وهو يصلح نفسه ، وافرح معه !

إن كانت الخطية لم تُنْزَع عنك ، فلا تنزع الرجاء فى المغفرة !

أُرسل ناثان النبى لذلك الرجل ، فلاحظ اتضاع الملك ، إذ لم يحتقر كلمات النصح المقدمة له ، ولم يقل له : كيف تتجاسر وتتحدث معى أنا الملك ؟ الملك العظيم أصغى لنبى ، ليت شعب ( المسيح ) المتضع ينصت للمسيح ) .

+ « لأنى أنا عارف بإثمى وخطيتى أمامى فى كل حين » مز ٥٠ (٥١) : ٣ ...

لم تكن خطيته قبلاً أمامه بل خلف ظهره ، لم يكن يعرف إثمه ... لكن جاء النبى بهذا الهدف أن يأخذ خطيته من وراء ظهره ويضعها أمام عينيه ،

لكى يرى الحكم المعلن ضده . لكى يفتح جرح قلبه ويداويه . استخدم مبضع ( مشرط ) لسانه ...

**القديس أغسطينوس(٦٦)**

+ داود أيضاً أخطأ ( ٢ صم ١٢ : ١٧ ) ، لننظر كيف تاب ... لقد غسل الخطية بالاتضاع وندامة القلب وتوبة النفس وعدم السقوط مرة اخرى ، وبتذكره الدائم لخطيته ، وقبوله كل ما حلَّ به بشكر ، وتركه الذين يحزنونه ، واحتماله المتآمرين عليه دون مقابلة الشر بالشر بل ومنع الذين يرغبون ذلك ...

كان له قلب منسحق به تمتع بغسل خطاياه خلال التوبة والاعتراف .

**القديس يوحنا الذهبى الفم(٦٧)**

+ أزال كل ثقل الخطايا خلال اعتراف كامل بكلمة واحدة .

**القديس يوحنا كاسيان(٦٨)**

أما عن محبة الله لمؤمنيه فتدفعه للتأديب من أجل بنيانهم :

+ لا تنظر إلى الله كمجرد ديَّان بل تطلع أيضاً إلى أمثلة من تصرفاته هذه ، إنه كُلِّىُّ الصلاح ... تأمله عندما يظهر الرحمة . فى مقابل حزمه ( قسوته ) ضع فى الميزان لطفه .

**العلامة ترتليان(٦٩)**

+ تأديب المحبة للإصلاح وليس للنقمة . الإنسان الحكيم البار يتشبه بالله ، فإنه لن يؤدب إنساناً ليرد له الشر وللانتقام ، بل ليصلحه أو ليخيف الآخرين .

**مار إسحق السريانى(٧٠)**

الله محب لأولاده ، فى محبته يسمح بتأديبهم حتى يدركوا بغضة للخطيه . لقد سمح الله بموت الابن الذى جاء ثمرة هذه الخطية ( ٢ صم ١٢ : ١٤ ) ،

لا لذنب ارتكبه الطفل وإنما حتى لا يظن من حوله ــ خاصة الوثنيون ــ أن عند الله محاباة .

**٤ــ موت ابن بثشبع**

مرض الطفل جداً فتذلل داود من أجل محبته للطفل ، وأيضا لأنه شعر أن موت الطفل علامة غضب الله على والديه . كان يترجى أن الله يشفق على الطفل وعلى والديه ، فكان يصلى صائماً واضطجع على الأرض ( ٢ صم ١٢ : ١٦ ) . « قام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزاً » ٢ صم ١٢ : ١٧ .

فى اليوم السابع مات الطفل ، وخاف عبيد داود أن يخبروه لِما رأوا فيه من تذلل . رآهم يتناجون فأدرك ما حدث ، ولما سألهم أجابوه إن الطفل مات . قام داود عن الأرض واغتسل وتدهَّن وبدَّل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته يطلب أن يأكل .

ما أعجب داود النبى الذى أعلن تسليمه الكامل لإرادة الله . لقد تذلل قبلاً طالباً الرحمة ، أما وقد مات الولد فيخضع لإرادة الله قائلاً : « **الآن قد مات فلماذا أصوم ؟ هل أقدر أن أرده بعد ؟! أنا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلىَّ** » ٢ صم ١٢ : ٢٣ .

لقد مسح نفسه بالدهن علامة الفرح ، إذ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ كانت عادة القدماء أن يمسحوا بدهن باستمرار عندما يكونون فى سرور وفرح . هذا ما يراه الإنسان بوضوح فى داود ودانيال ( دا ١٠ : ٣ )[٧١] ] . بقدر ما تذلل داود أثناء مرض طفله فرح وتهلل عندما أراد الله له أن يأخذه اليه . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ إنها حكمة حقيقية ! هذا هو الحب ! مهما أحببت ابنك لن تحبه كما يحبه الله[٧٢] ] .

القلب المنفتح على السماء لا يخاف الموت بل يقبله بفرح كانطلاق نحو المسيح .

+ لا تخف الموت ، فقد دبر الله إعدادات لتقوم غالباً الموت[٧٣] .
+ ثبت رحيلك فى قلبك يا إنسان ؛ قل لنفسك على الدوام :
« انظر ، الرسول على الأبواب ، لقد جاء الىّ .
لماذا أنا متراخٍ ؟! إن رحيلى أبدى ، هناك لا توجد عودة ! » .

اعبر الليلة متأملاً فى ذلك . تأمل فى هذا الفكر خلال النهار . وعندما يأتى وقت الرحيل حيِّه ببهجة قائلاً : « تعال فى سلام . لقد عرفت أنك قادم ، فلم أهمل فى أمر ينفعنى فى الطريق[٧٤] .

**مار إسحق السريانى**

### ٥ــ ميلاد سليمان

عزى داود بثشبع ، فإنه لم يطردها بكونها علة أحزانه ومتاعبه ؛ وأنجب منها سليمان ( معناه « سالم » أو « صانع سلام »[٧٥] ) ، إذ فى أيامه استراحت المملكة من الحروب ( ١ أى ٢٢ : ٩ ) .

اختار داود النبى هذا الاسم ربما لكى يعلن أنه وإن كانت الخطية قد أثارت زوابع كثيرة فى حياته ، لكنه بالتوبة الصادقة والاتكال على مراحم الله استعاد سلامه الداخلى بنواله المغفرة وإن حلَّت به التأديبات من كل جانب .

أحب الله هذا الطفل ، وأرسل ناثان حيث دعاه « يديديا » أى « محبوب الله » ، ليؤكد الله لوالديه أنه وإن مات الطفل الأول للتأديب فالثانى يعلن محبة الله لهما وغفرانه خطيتهما .

### ٦ــ داود يهزم ربّة

عاد الكاتب إلى خبر الحرب مع بنى عمون الذى بدأه فى ٢ صم ١١ : ١ ، حيث هزم يوآب ربّة عاصمة بنى عمون . أرسل إلى داود الملك ليأتى ويدخل المدينة حتى تُحسب النصرة لداود وتنسب إليه المدينة كغالب ومنتصر . بالفعل

خرج داود وحاربها وأخذ تاج ملكها الذى يزن وزنة ذهب ( حوالى ١٨ رطلاً ) مع حجر كريم . لبسه داود ، وذلك بأن أمسكه اثنان من العظماء ورفعاه على رأسه بعض الوقت علامة تسلطه على مملكة بنى عمون .

تمتع داود بغنائم كثيرة بعد أن قتل شعب المدينة .

\+ + +

## الأصحاح الثالث عشر
## أمنون وثامار

أخطأ داود فى الخفاء مع بثشبع ، وبقى الأمر مخفياً إلى حين ، لتظهر رائحة الفساد القاتلة علانية فى بيت داود . لقد سقط أمنون بكامل حريته فى الشهوة وأحب أخته التى من أبيه دون أمه ، أحبها جداً لجمالها حتى مرض وإذ تمكن منها أذلها ثم طردها لأنه أبغضها جداً ولم يطق أن يراها !

تصور ماذا كان حال داود ومركزه بين قواده ورؤساء الشعب حين بلغهم هذا الخبر ؟!

هذا التصرف من جانب أمنون أثار سخط أبشالوم من أجل أخته ثامار ، وبعد سنتين دبر أمر قتله وهرب ففقد داود الاثنين !

**١ــ سقوط أمنون فى حب ثامار** ١ ــ ١١ .
**٢ــ كراهية أمنون لثامار** ١٢ــ١٩ .
**٣ــ أبشالوم يدبر للانتقام** ٢٠ــ٢٧ .
**٤ــ قتل أمنون** ٢٨ــ٣٣ .
**٥ــ هروب أبشالوم** ٣٤ــ٣٩ .

+ + +

### ١ــ سقوط أمنون فى حب ثامار

تبقى قصة أمنون وثامار عبر الأجيال تمثل صورة حية للتمييز بين الحب والشهوة[٧٦] ، الحب تحرر من الأنا ليعطى الإنسان ذاته لبنيان نفسه والآخرين ، فيتعامل مع الغير ــ خاصة الجنس الآخر ــ كأشخاص لهم تقديرهم ، أما الشهوة فهى تتقوقع حول الأنا ليطلب الإنسان إشباع لذّاته أو كرامته الخ ... يتعامل مع الغير كأدوات لتحقيق شبعه . الحب ينمو يوماً فيوماً ويهب القلب اتساعاً للجميع ،

أما الشهوة فتحطم الإنسان وتضيِّق قلبه وسرعان ما تلهو بالشخص نفسه لينقلب الحب الشهوانى إلى كراهية .

أمنون أحب ثامار جداً وكان يظن أنها ـــ دون سواها ـــ هى سر سعادته ، خلال شهوته أسرَه جمالها ، وربما أعجب بشخصيتها وحسبها الوحيدة التى تقدر أن تملأ كل فراغ فيه ... وإذ نال منها تحقيق شهوته لم يجد فى داخله شبعاً كما كان يظن ، لذا أبغضها ، وكانت بغضته لها أكثر من حبه السابق لها .

تشبه أمنون بامرأة فوطيفار التى حسبت فى جسد يوسف مصدر بهجتها وشبعها ، وكانت تحبه جداً ، حتى ضربت بمركزها كسيدة أمام عبد عرض الحائط ، ولم تبال بحياتها كامرأة فعرضت عليه الشر ، بل وأمسكت ثوبه ... وعندما رفض سلمته للسجن والفضيحة ظلماً !! هذه هى الشهوة القاتلة للنفس والمتقوقعة حول اللذة والأنا !

« أمنون » اسم عبرى معناه « أمين »[٧٧] ، الابن البكر لداود ، وولى العهد ( ٢ صم ٣ : ٢ ) ، ولد فى حبرون ( ٢ صم ٣ : ٢ ، ١ أى ٣ : ١ ) حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م.[٧٨] ، والدته أخينوعم اليزرعيلية ، أما « ثامار » [ اسم معناه « نخلة » ] فكانت أخت أبشالوم بن داود من معكة بنت تلماى ملك جشور ( ٢ صم ٣ : ٣ ، ١ أى ٣ : ٢ ) .

أحب أمنون ثامار جداً ، بمعنى آخر أحب جمالها وجسدها لا إنسانيتها وشخصها ، أو أحب أن يشبع شهوته بجمالها ، وإذ كانت أخته لم تستطع أن يتزوجها ( لا ١٨ : ٩ ) ، لذلك عسر فى عينيه أن يفعل لها شيئاً ( ٢ صم ١٣ : ٢ ) وكانت ثامار عذراء تقيم فى جناح النساء .

حطمت الشهوة أمنون فصار يضعف يوماً فيوماً ، خار جداً الأمر الذى أزعج صديقه الحميم وابن عمه يوناداب بن شمعى أو شمه أخى داود ( ١ صم ١٦ : ٩ ) ، وكان الرجل ذكياً جداً ، قادراً على التفكير للخير كما للشر . سأل يوناداب أمنون عما يفكر فيه ، فأجاب : « إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخى » ٢ صم

١٣ : ٤ . قدم له يوناداب مشورة لاغتصابها : « اضطجع على سريرك وتمارض ؛ وإذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزاً وتعمل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها » ٢ صم ١٣ : ٥ .

نفذ أمنون هذه المشورة الشريرة ، وجاءت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع . فأخذت العجين وعملت كعكا أمامه وخبزته . وأخذت المقلاة وسكبت أمامه ، فأبى أن يأكل . طلب أن يُخرجوا كل إنسان عنه ثم أمسكها ليغتصبها . أما هى ففى عفة قالت له :

« لا يا أخى لا تذلنى ، لأنه لا يُفعل هكذا فى إسرائيل .
لا تعمل هذه القباحة .
أما أنا فأين أذهب بعارى ؟!
وأما أنت فتكون كواحدٍ من السفهاء فى إسرائيل .
والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى عنك » ٢ صم ١٣ : ١٢ الخ ...

بحكمة تحدثت ثامار مع أخيها :

(أ) كشفت له أن هذا العمل لا يليق بأمة مقدسة، إذ يجلب الغضب على الشعب كله ليس بكونهما ابنى الملك وإنما بكونهما عضوين فى الجماعة . المؤمن عضو فى الجماعة ، كل نمو فى حياته يثمر نمواً فى الآخرين ، مجتذباً بحياته الكثيرين نحو السمويات ؛ وكل سقوط وانحراف يعثر أيضا الكثيرين ويهدمهم . المؤمن إما أن يكون سر بركة للجماعة أو سر هدم لها .

(ب) الخطية تحطم مرتكبيها ، حسبتها ثامار عاراً لها وتحطيماً لأمنون ؛ تصير هى فى خزى ويُحسب هو كأحد السفهاء .

(جـ) سألته أن يطلبها من الملك زوجة . لعلها بهذا أرادت أن تفلت من يديه ، أو لأنها حسبت الزواج بأخ من أم أخرى أهون من السقوط فى الزنا .

لم يستمع أمنون لصوت أخته ، إذ أفسدت الشهوة تفكيره ونزعت عنه إنسانيته فاغتصبها عنوة .

### ٢ــ كراهية أمنون لثامار

إذ حقق أمنون شهوة جسده أبغض ثامار « بغضة شديدة جداً حتى إن البغضة التى أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التى أحبها إياها » ٢ صم ١٣ : ١٥ . قام بطردها عوض أن يتزوجها شرعياً ، فتذللت أمامه ليتزوجها ولا يلقيها للعار ، أما هو فطلب من الخادم أن يطردها عنوة .

كما سبق فقلت إن الشهوة والعنف صنوان ، كلاهما ثمرة انتزاع النعمة الإلهية من الإنسان وحرمانه من الوجود مع الله . الشهوة تعطى للإنسان أحيانا رقة فى الظاهر لكنها تحمل عنفاً فى الداخل ، والعنف يولد شهوة ولذة حيث يطلب الإنسان ما لِذاته لا ما هو للغير . كانت امرأة فوطيفار رقيقة للغاية أمام يوسف لكنها لم تقدر أن تخفى عنفها حين رفض الاستسلام لها فألقته فى السجن ، أما هو فكان رقيقاً جداً معها رغم حزمه فى رفض الخطية . لم ينتقم لنفسه ولا شهَّر بها حين تمتع بالمجد وصار صاحب سلطان فى قصر فرعون .

يربط سليمان الحكيم بين الزنا والقسوة قائلاً : « لأن شفتى المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت ، لكن عاقبتها مُرة كالأفسنتين حادة كسيف ذى حدين . قدماها تنحدران إلى الموت . خطواتها تتمسك بالهاوية » أم ٥ : ٣ــ٥ .

هكذا ولَّدت الشهوة عنفاً فى حياة أمنون ، فأصدر أمره لخادمه أن يطرد سيدته ويغلق الباب وراءها ؛ أما هى فوضعت رماداً على رأسها علامة الحزن الشديد ( ١ صم ٤ : ١٢ ، اس ٤ : ١ ) كمن فى جنازة ، ومزقت الثوب الملون ( الجبة الخاصة ببنات الملوك العذارى ) علامة فقدها كل مجد والتصاق الخزى بها ، ووضعت يدها على رأسها وكانت تسير صارخة .

إنها صورة مُرة للنفس التى تحطمها الخطية ، فإنها تهيم فى الطريق فى مذلة كمن هى مطرودة من البيت ؛ تفقد النفس سكناها فى حضن الله لتهيم كما فى عزلة ، ليس من يسندها ولا من يشاركها أعماق مشاعرها ! تتطلع من خلفها لتجد الكل قد أغلق الباب فى وجهها !

تضع رماداً على رأسها إذ يُحطم اليأس تفكيرها ، تفقد رجاءها وسلامها وفرحها الداخلى !

تمزق الثوب الملون الذى يشير إلى الجسد بكل طاقاته ؛ الجسد الذى يطلب الشبع لحواسه خلال الشهوة يفقد قدسيته وتتدنس حواسه !

تضع يدها على رأسها علامة عجزها عن العمل والتصرف !

تهيم صارخة فى الطريق كمن فقد الطريق الملوكى المفرح !

### ٣ـ أبشالوم يدبر للانتقام

طلب أبشالوم من أخته أن تلتزم الصمت ، وكان يريد بذلك أن يهدىء الجو ليخطط للانتقام ؛ فقد قال لها : « فالآن يا أختى اسكتى . أخوك هو . لا تضعى قلبك على هذا الأمر » ٢ صم ١٣ : ٢٠ .

طالبها بالصمت ، لكنه ليس صمتاً يحمل هدوءاً وسلاماً وإنما الصمت الذى يخفى دهاءً وانتقاماً من أخيه أمنون .

حقاً ما أعذب الصمت والسكون إن حملا هدوءاً داخلياً ، أما متى كان ستاراً لمرارة داخلية فغالباً ما يكون أكثر عنفاً وقسوة من الكلام الجارح . لذا يميز الآباء بين الصمت المقدس البنّاء والصمت الشرير المهلك ، كما يميزون بين الكلام الصالح والكلام المهلك .

أقامت ثامار فى بيت أبشالوم أخيها محطمة النفس ، إذ كانت فى عار غير قادرة على الزواج دون ذنب من جانبها . أما داود فسمع بالأمر واغتاظ دون أن يعاقب أمنون ، إذ كان يدلل أولاده ، أو لأنه رأى جريمته مع بثشبع متجلية بوضوح فى حياة ابنه البكر .

انتظر أبشالوم سنتين دون أن يتحرك بالانتقام حتى يظن أمنون وداود أن الأمر قد نسى ، ولما جاء وقت جزّ الغنم ، وهو وقت فرح (١ صم ٢٥ : ٧ ، ٣٦) ، وذلك فى بعل حاصور ، دبر أبشالوم أمر اغتيال أخيه .

« **بعل حصور** » معناه « بعل التسييج أو الانحباس أو التطويق أو حظيرة مسيّجة[٧٩] » ، بالقرب من قرية أفرايم . مكانه الأصلى ربما الآن « جبل القصور » يبعد حوالى أربعة أميال ونصف شمال شرقى بيت إيل وخمسة عشر ميلاً شمال شرقى أورشليم .

دعا أبشالوم أباه وإخوته جميعاً لكى يخفى ما فى قلبه ، وإذ استعفى الملك طلب إليه بإلحاح أن يرسل أمنون كولى العهد ونائب عنه ، أخيراً وافق داود ، ربما بعد تخوف من نية أبشالوم .

## ٤ــ قتل أمنون

أعد أبشالوم الخطة ، ولما طاب قلب أخيه أمنون بالخمر والسكر قتله غلمان أبشالوم كطلب سيدهم . عندئذ ركب بنو الملك بغالهم وهربوا . وفيما هم فى الطريق بلغ داود أن أبشالوم قتل جميع بنيه . قام الملك ومزق ثيابه واضطجع على الأرض وكان جميع عبيده واقفين بثياب ممزقة . لكن يوناداب أدرك الأمر فأخبر داود أن أبشالوم انتقم لأخته من أمنون وحده ...

لقد جنى أمنون ثمر نجاسته ، وأيضا استسلامه للسكر ؛ يقول سليمان الحكيم : « لمن الويل ؟ لمن الشقاوة ؟ لمن المخاصمات ؟ لمن الكرب ؟ لمن الجروح بلا سبب ؟ لمن ازمهرار العينين ؟ للذين يدمنون الخمر ، الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج . لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة ، فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان » أم ٢٣ : ٢٩ــ٣٢ .

قدم أبشالوم لأمنون خمراً يحمل سم الموت ، اما مسيحنا فيقدم نفسه الكرمة الحقيقية التى تثمر خمر الحياة ، حيث يسكر القلب بالحب الإلهى ، متهللاً بالحياة معه فى السمويات . لذا قيل : « خمر تفرح قلب الإنسان » مز ١٠٤ : ١٥ . **يقول العلامة أوريجانوس** : [ إن كان القلب هو الجزء العقلى (فى الإنسان) ، وما يفرحه هو « الكلمة » الذى يبهج أفضل من كل شرب ، حيث ينزع عنا الأمور البشرية ويهبنا الإحساس بالوحى ويسكرنا بمسكر إلهى وليس مسكراً غير عاقل ، فإننى أدرك ما فعله يوسف حين روى إخوته بالخمر (تك ٤٣ : ٣٤) ... (المسيح) هو الكرمة الحقيقية ، عناقيده التى يحملها هى الحق ، والتلاميذ هم أغصانه ، هؤلاء أيضا يثمرون الحق كثمر لهم[٨٠] ] .

## ٤ــ هروب أبشالوم

هرب أبشالوم إلى جده تلماى بن عميهود ملك جشور . كلمة « جشور » معناها « جسر » ، وهى مقاطعة تقع بين حرمون وباشان تتاخم أرجوب ، تقع شرقى الأردن . على حدودها يوجد جسر على نهر الأردن بين طبرية والحولة يعرف بجسر بنات يعقوب .

إذ هدأ داود اشتاق أن يرى أبشالوم ، إذ كان يحبه حباً شديداً (٢ صم ١٨ : ٥ ، ٣٣) ، لكن خشى نقد الناس له لأنه قاتل أمنون ولى العهد .

+ + +

## الأصحاح الرابع عشر

## العفو عن أبشالوم

لأسباب كثيرة أراد يوآب أن يقوم بمصالحة داود على ابنه المحبوب لديه جداً أبشالوم ، لذا دبر خطة يكسب بها كل الأطراف : الملك وابنه والشعب ليحضر أبشالوم من جشور إلى أورشليم . لكن الملك صمم ألا يرى ابنه لمدة عامين حتى اضطر أبشالوم أن يستخدم العنف للضغط على يوآب ليصالحه مع أبيه .

**١ــ إرسال امرأة حكيمة إلى داود** ١ ــ ١١ .

**٢ــ المرأة تصارح داود** ١٢ــ ٢٠ .

**٣ــ يوآب يشفع فى أبشالوم** ٢١ــ ٢٤ .

**٤ــ جمال أبشالوم وجاذبيته** ٢٥ــ ٢٧ .

**٥ــ أبشالوم يضغط على يوآب** ٢٨ــ ٣٣ .

+ + +

### ١ــ إرسال امرأة حكيمة إلى داود

أراد يوآب أن يكون هو الواسطة لمصالحة داود على ابنه ابشالوم ، وكان دافعه فى ذلك هو :

( أ ) كان يعلم أن داود يحب أبشالوم جداً ، مشتاقاً أن يرده إلى أورشليم ، لكنه يخشى نقد الشعب له ، لهذا أوجد مجالاً للمصالحة أو على الأقل لرده إلى أورشليم ، الأمر الذى يفرح قلب داود داخلياً حتى إن تظاهر بغير ذلك .

(ب) أدرك أنه وإن طال الزمن لابد أن يتصالح داود مع ابنه ، فبقيامه هو بهذا الدور يكسب صداقة الطرفين .

(جـ) يعلم أن لأبشالوم شعبية كبيرة ، فإن مات داود ينقسم الشعب على نفسه ، كثيرون يطلبونه ملكاً ، وآخرون يتشككون بسبب غضب والده عليه لقتله أمنون أخيه البكر ... هنا يحدث انشقاق لا تُعرف عاقبته .

٤ــ رجوع أبشالوم قاتل أخيه ، وصفح داود عنه ، ينزع مشاعر الضيق من داود تجاه يوآب بكونه قاتل منافسه أبنير .

هذه الأسباب جميعها دفعت يوآب أن يلجأ إلى امرأة حكيمة من تقوع ، وهى قرية فى يهوذا قرب بيت لحم ، جنوب شرقى أورشليم ، تُدعى تقوعة ، وهى قرية عاموس النبى . وكان يوآب من بيت لحم سمع عن هذه المرأة وتعرف عليها ، لذا لجأ إليها ، ودبر لها الخطة حتى لا يكتشفها داود الملك .

يعرف يوآب قلب داود النبى المتسع حباً والمملوء رحمة خاصة تجاه الحزانى والمتألمين ، وبالأكثر إن كانوا يتامى أو أرامل . لهذا طلب من المرأة ان تقوم بدور أرملة حزينة للغاية وفى ضيق شديد ، فجاءت إليه كمن تنوح على ميت . لبست ثياب الحزن ولم تُدهن بزيت علامة عدم اعتنائها بجسدها . وأخذت تروى للملك قصتها المزعومة لتطابق حالة أبشالوم من جوانب متعددة حتى تسحب من فمه وعداً بل وقسماً بالعفو فينطبق على ابنه أبشالوم .

خرت المرأة التقوعية أمام الملك على وجهها إلى الأرض وسجدت ثم طلبت منه أن يعينها . عرضت قضيتها أنها أرملة مات رجلها ، ولها ابنان تخاصما فى الحقل وليس من يفصل بينهما فضرب أحدهما الآخر وقتله . قامت العشيرة كلها عليها لتسلم ضارب أخيه فيقتلوه بنفس أخيه . بهذا تُهلك الوارث أيضا .

إنها تطلب الرحمة لها والعفو عن ابنها ، ليس من أجله هو ، وإنما من أجل ترملها . ابنها يمثل جمرة تضطرم منها النار ، ولغاية فى نفوس العشيرة تود أن تطفىء الجمرة لكى تستولى على الميراث . هذا من جانب ومن جانب آخر فانه الوارث الوحيد الذى يحمل اسم رجلها ويقيم اسم الميت .

ترآف داود جداً عليها ووعدها أنه يوصى بها كى لا يموت ابنها (٢ صم ١٤ : ٨) .

لم تكتفِ المرأة بتوصية داود من أجلها ومن أجل ابنها ، بل أرادت تأكيداً بالعفو على أن تتحمل هى إثم إلغاء حكم الشريعة الموسوية الخاص بقتل القاتل ، وكان ذلك جائزاً من أجل الرحمة (تث ٩ : ١٣ ؛ ١٢ : ٧) ؛ إذ قالت له : **« علىّ الإثم يا سيدى الملك وعلى بيت أبى ، والملك وكرسيه نقيان »** ٢ صم

**١٤ : ٩ . عندئذ وعدها الملك بالعفو قائلا لها : « إذا كلمك أحد|فأتِ به إلىّ فلا يعود يُمسك بعد » ٢ صم ١٤ : ١٠ .**

لم تكتف بتوصية الملك وبوعده إذ تظاهرت بالخوف من ولى الدم لئلا يهلكوا ابنها ، عندئذ قدم لها قسماً : **« حيّ هو الرب إنه لا تسقط شعرة من شعر ابنك إلى الأرض » ٢ صم ١٤ : ١١ . بهذا القسم صدر الحكم من فم داود الملك بالعفو على ابنه ابشالوم قاتل أخيه أمنون !**

**نجحت المرأة المتظاهرة بالحزن أن تغتصب من داود تدريجياً الآتى :**

**( أ ) وعداً أن يوصى بأمرها ويترفقوا بها (٢ صم ١٤ : ٨) .**

**(ب) أن تنال حكماً فورياً لصالحها من فمه .**

**(جـ) ألا يتعرض لها أحد بأذية ، ويقوم بحمايتها .**

**( د ) أن ينال ابنها العفو ويقوم الملك بحمايته .**

**(هـ) قسماً بالعفو الشامل لابنها .**

## ٢ـ المرأة تصارح الملك

نجحت المرأة التقوعية فى تمثيل الفصل الأول من المسرحية ، حيث انتزعت كل ما تريده من فم الملك، وهو القسم بالعفو الشامل عن قاتل أخيه. عندئذ نزعت المرأة قناعها لتصارح الملك فى الفصل الثانى من المسرحية انه إن كان الملك يحكم هكذا بالنسبة لشعب الله فلماذا لا يرد منفية ، أى إبنه أبشالوم .

دُهش الملك لما فعلته المرأة ، وقد وجد هذا العمل نوعاً من الاستطابة فى قلبه من أجل محبته لابنه أبشالوم . شبهت المرأة الشعب بالأم المحبة لابنها أبشالوم دون تجاهل للقتيل ابنها أمنون . والملك هو ولى الدم من حقه يطالب بالدم ، لكنه يلزم أن يترفق بالشعب المحب والذى يطلب العفو عن أبشالوم بالنسبة لقتله أمنون .

كان يمكن لداود أن يحاور المرأة مظهراً أن حالتها غير مطابقة لحالة أبشالوم فى أمور كثيرة ، منها أن أبشالوم لم يقتل أمنون نتيجة ثورة مفاجئة وغضب سريع وانفعال وقتى إنما خلال خطة أحكمها ودبر لها زماناً ، وكان يمكنه أن يراجع نفسه أو يستشير أحداً . وأيضا أبشالوم ليس وحيداً إذ له إخوة آخرون يمكنهم أن يرثوا

ويحملوا اسم أبيهم . عدم محاورة داود لها يكشف عن رغبة خفية فى قلبه لرجوع ابنه إلى أورشليم .

أرادت المرأة تأكيد ضرورة رجوع أبشالوم ، إذ قدمت لداود حججاً وبراهين منها :

( أ ) قولها : « **لماذا افتكرت بمثل هذا الأمر على شعب الله ؟** » ٢ صم ١٤ : ١٣ . كأنها تقول له إن كنت تترآف على أرملة فتعفو عن ابنها القاتل ، كم بالأكثر يليق بك أن تراعى مشاعر شعب الله بأسره وقد تعلق قلبه بأبشالوم ؛ أما تستحق مشاعر هذا الشعب أن يكون لها اعتبار لديك ؟!

(ب) قولها : « **لابد أن نموت** » ٢ صم ١٤ : ١٤ . ربما قصدت أن أيامنا جميعاً قليلة للغاية ، فلنحتمل بعضنا بعضاً وليسامح أحدنا الآخر ، لنقضى أياماً مملوءة سلاماً وفرحاً لبنيان الجماعة . أو لعلها أرادت القول إن الجميع يموتون ، وكان لابد لأمنون أن يموت . لقد مات مقتولاً ، لكنه حتى ولو لم يقتله أبشالوم فهو يموت أيضا ، فاصفح لأن أمنون لا يعود إلى الحياة فى هذا العالم ثانية ، ونفى أبشالوم لا يحل المشكلة .

(جـ) قولها : « **لا ينزع الله نفساً** » ٢ صم ١٤ : ١٤ ؛ أى لابد من الموت الطبيعى فى وقته المجهول ، لذا فإن الله يريد الرحمة ولا يطلب أن ننتزع حياة إخوتنا . ربما أشارت ضمنا إلى داود نفسه الذى استوجب الموت ومع ذلك لم ينزع الله نفسه بل غفر له ، لذا لاق به أن يغفر للغير .

( د) قولها : « **لأن الشعب أخافنى** » ٢ صم ١٤ : ١٥ . فإن الشعب وهو يمثل الأم التى فقدت ابنها المحبوب أمنون ها هى تفقد أبشالوم ، لذا يطلبون رجوع الأخير ، وأنهم أخافوها لئلا تفشل فى مسعاها لدى داود .

بحكمة ختمت المرأة حديثها بمدحها له : « **ليكن كلام سيدى الملك عزاء ، لأن سيدى الملك إنما هو كملاك الله لفهم الخير والشر ، والرب إلهك يكون معك » ٢ صم ١٤ : ١٧ .**

أدرك داود النبى أن يوآب وراء المرأة ، وإذ سألها أجابته بالحق فى اتضاع وحكمة حتى لا يثور الملك عليه : « هو وضع فى فم جاريتك كل هذا الكلام ،

لأجل تحويل وجه الكلام فعل عبدك يوآب هذا الأمر ، وسيدى حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما فى الأرض » ١ صم ١٤ : ٢٠ .

بلا شك تستحق هذه المرأة كل مديح من أجل حكمتها الملتحمة باتضاعها؛ عرفت كيف تنال طلبتها ليس لنفع خاص بها شخصياً وإنما من أجل سلام الجماعة ، ولرد أبشالوم إلى أورشليم .

يحدثنا **مار اسحق السريانى** عن ضرورة ارتباط الحكمة أو التمييز بالاتضاع فيقول :

[ الاتضاع بتمييز هو معرفة حقيقية .
المعرفة الحقيقية هى ينبوع الاتضاع .
المتضع فى القلب متضع فى الجسد[٨١] ] .

## ٣ــ يوآب يشفع فى أبشالوم

طلب الملك من يوآب أن يتمم هذه المهمة التى من أجلها أرسل المرأة إليه ؛ عبر يوآب عن شكره للملك بالسجود أمامه إلى الارض على وجهه ، إذ حسب ذلك كرماً من الملك أن يستجيب لطلبة عبده وأن يطلب منه أن يتمم هذه المهمة بنفسه .

رأينا فى حديثنا السابق (فى نفس الأصحاح) الأسباب التى لأجلها طلب يوآب رد أبشالوم إلى أورشليم ، لم يكن من بينها ما يظهر أن يوآب محباً لأبشالوم ، إنما كان العمل سياسياً بحتاً ، لكسب صداقة الملك وابنه وتقدير الشعب له . لهذا لا نعجب إن رأيناه يقوم بقتل أبشالوم (٢ صم ٨ : ١٤) وبتوبيخ الملك على حزنه المفرط عليه (٢ صم ١٩ : ٥ــ٧) .

طلب الملك رده إلى أورشليم على ألا يرى وجهه (٢ صم ١٩ : ٢٤) للأسباب التالية :

( أ ) لا يظهر أمام الشعب أنه متهاون فى حق دم أمنون .
(ب) لكى يعرف أبشالوم أن يتضع مقدماً التوبة عما ارتكبه .
(جـ) لأنه خشى أن يخرج ويدخل فيكسب شعبية تسنده فى تولى الحكم بعده ، إذ كانت بشبع تطلب أن يتولى ابنها سليمان العرش .

## ٤ـــ جمال أبشالوم

لم يمدح أبشالوم إلا فى جمال جسده الذى جذب قلوب الشعب . قيل : « **ولم يكن فى إسرائيل رجل جميل وممدوح جداً كأبشالوم من باطن قدمه حتى هامته لم يكن فيه عيب** » ٢ صم ١٤ : ٢٥ . كان شعره غزيراً جداً وجميلاً ، يدهنه بالأطياب ، وربما كان يزينه ببرادة ذهب مما زاد فى جماله وفى وزنه . كان يحلق شعره سنوياً ويزنه كعادة الفلسطينيين فى ذلك الوقت بكونها ممارسة دينية .

اكتسب أبشالوم شعبيته خلال جمال جسده وليس خلال قدسية نفسه ونقاوة قلبه ، لهذا لم تدم هذه الشعبية ولا انتفع بمديح الناس له ، وإنما على العكس هذا سبب هلاكه كما سنرى .

يحدثنا **مار اسحق السريانى** عن ضرورة الاهتمام بجمال النفس لا الجسد قائلاً : [ تتطلع (النفس) إلى الجمال السماوى فى داخلها كما فى مرآة كاملة ، خلال نقاوتها المطلقة تعكس جمال وجوه الناس . لقد قيل : « القداسة تليق بالقديسين »[(٨٢)] .

سجل لنا **القديس اكليمندس الاسكندرى** فصلاً كاملاً « عن الجمال الحقيقى » فى كتابه « المعلم » ، جاء فيه :

[ الإنسان الذى يسكنه الكلمة لا يغير ذاته (بالحلى والزينة الخارجية) ولا يتكر لنفسه شيئاً ، إذ له شكل الكلمة ، إنه مخلوق على مثال الله . إنه جميل فلا يزين نفسه . له الله الجمال الحقيقى[(٨٣)] ... ] .

[ يوجد أيضا جمال آخر للإنسان : المحبة[(٨٤)] ] .

[ ليس من شأن الإنسان الخارجى ( الجسد ) أن يتزين بحلى الصلاح بل من شأن النفس[(٨٥)] ] .

## ٥ـــ أبشالوم يضغط على يوآب

بقى أبشالوم عامين فى أورشليم لم يستطع خلالها أن يرى وجه الملك ، لكنه لم يتعلم خلالها كيف يقتنى العفو بالاتضاع إنما بقى عنيفاً فى أعماقه .

يبدو أن يوآب خشى أن يأتى إلى أبشالوم لئلا يغضب داود عليه ؛ كرر أبشالوم الطلب لكن يوآب لم يتحرك لمصالحة أبشالوم على داود أبيه . عندئذ أرسل أبشالوم عبيده وأحرقوا حقل يوآب بالنار ، فخاف وجاء إليه . طلب منه أن يتدخل لدى الملك لينظر فى دعواه ، إما أن يحكم ببراءته فيلتقى به أو يقتله . عرف أبشالوم نقطة ضعف أبيه ، إنه لن يقبل قتل ابنه ، ولعله خشى إن حكم على ابنه يشهر ابنه به بسبب قتله أوريا الحثى .

جاء يوآب إلى الملك وأخبره بكلمات أبشالوم ، فدعى الملك ابنه وأعلن العفو عنه بتقبيله .

لقد نجح أبشالوم فى العودة إلى القصر ، ربما بهدف التخطيط لاغتصاب العرش من أبيه .

+ + +

# الأصحاح الخامس عشر

## عقوق أبشالوم

عاد أبشالوم إلى أورشليم ليس من أجل شوقه لصفح أبيه عن قتله لأخيه أمنون ، ولا حباً فى والده ، وإنما ليهيىء الطريق لنفسه كى يغتصب المُلك من والده مهما كلفه الأمر .

| | |
|---|---|
| ١ـــ أبشالوم يعد الطريق لنفسه | ١ . |
| ٢ـــ أبشالوم يمالىء الشعب | ٢ ـــ٦ . |
| ٣ـــ المناداة به ملكاً | ٧ ـــ١٢ . |
| ٤ـــ هروب داود ورجاله | ١٣ـــ١٧ . |
| ٥ـــ هروب أتاى الجتى | ١٨ـــ٢٣ . |
| ٦ـــ بقاء التابوت بأورشليم | ٢٤ـــ٢٩ . |
| ٧ـــ رجوع حوشاى الأركى | ٣٠ـــ٣٧ . |

+ + +

### ١ـــ أبشالوم يعد الطريق لنفسه

**« وكان بعد ذلك أن أبشالوم اتخذ مركبة وخيلاً وخمسين رجلاً يجرون قدامه »** ٢ صم ١٥ : ١ .

يكشف هذا التصرف عن هدف أبشالوم من العودة إلى أورشليم ، فقد حمل فى داخله لهيب نار محبة المجد الباطل . تصالح مع والده لا لينال رضاه ، ولا ليقابل حبه الأبوى بالحب البنوى الخالص ، وإنما ليخطط كى يغتصب منه العرش بروح العجرفة والعقوق ، مظهراً نفسه كرجل عظيم يستخدم مركبة ملوكية وخيلاً ويجرى أمامه خمسون رجلاً .

لقد أعد الله لداود المُلك خلال الضيق والتعب لسنوات طويلة أما أبشالوم فهيأ نفسه للملك خلال المظاهر الخارجية والمجد الباطل . فقد تعلم من جده تلماى بن عميهود ملك جشور (٢ صم ١٣ : ١٧) استخدام المركبة الملوكية

والخيل وجرى الرجال أمامه الأمر الذى سبق فحذر صموئيل النبى منه الشعب حينما طلبوا لأنفسهم ملكاً كسائر الأمم قائلاً لهم : « يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه » ١ صم ٨ : ١١ .

هكذا اقتدى أبشالوم بملوك الأمم فى العظمة بينما كان والده يمتطى بغلاً فى بساطة مظهر واتضاع ، وقد وجدت المظاهر الخارجية مع جمال أبشالوم الجسدى هوى لدى الكثيرين فزادت شعبيته ، وحسبه البعض أولى بهذا المركز القيادى .

كان أبشالوم يجرى وراء المجد الباطل ليستلم العرش ولم يدر أنه إنما يجرى وراء هلاكه الروحى والجسدى أيضاً ، ليفقد أبديته كما وحياته الزمنية .

يحدثنا الآباء عن أهمية الاتضاع كطريق للمجد وخطورة المجد الباطل :

+ كن وضيعاً فى عينى نفسك فترى مجد الله فى داخلك .
حيث ينبت الاتضاع هناك يتفجر مجد الله .
إن جاهدت لكى يستهين بك كل بشر ، فالله يمجدك .
إن كان لك اتضاع فى قلبك ، فسيظهر الله لك مجده فى قلبك .
كن مزدرى فى عظمتك ولا تكن عظيماً فى تفاهتك ...
لا تطلب أن تكون مكرماً بينما داخلك مملوء جراحات .
ارفض الكرامة فتصير مكرماً . ولا تحبها فلا تُهان .

من يطلب الكرامة تهرب منه ، ومن يهرب من الكرامة تطارده ، ويعلن كل بشر عن اتضاعه .

+ اهرب من المجد الباطل فتتمجد ، خف من الكبرياء فتتعظم .

**مار اسحق السريانى[٨٦]**

---

+ إننى أثق أن العمل الروحى البسيط حين نمارسه باتضاع ، فإنه يبلغ بنا أن نكون مع القديسين الذين جاهدوا كثيراً وصاروا خداماً حقيقيين لله .

+ يوجد طريق حقيقى للنمو : بالنمو فى الاتضاع يبلغ الإنسان المجد الإلهى الحقيقى .

**الأب دوروثيوس[٨٧]**

## ٢ـــ أبشالوم يمالىء الشعب

لكى يسحب أبشالوم الكرسى من تحت والده لم يقف عند اهتمامه بجماله الجسدى ومظاهر الأبهة والعظمة وإنما فى خداع صار يمالىء الشعب . كان يبكر ويقف بجانب طريق باب المدينة ليمنع المتقاضين من الوصول إلى موضع اجتماع أبيه ؛ يعطى اهتماماً لكل شخص فيسأله عن مدينته وسبطه ، ليقدم له فى خداع دون فحص لقضيته : « **انظر أمورك صالحة ومستقيمة ، ولكن ليس من يسمع لك من قبل الملك** » ٢ صم ١٥ : ٣ . هكذا يتحدث أبشالوم بذات القول للطرفين المتخاصمين لا ليقضى وإنما ليثير الكل على والده ويحثهم على إقامته هو ملكاً وقاضياً ، إذ كان يردد القول : « **من يجعلنى قاضياً فى الأرض فيأتى إلىّ كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه ؟!** » ٢ صم ١٥ : ٤ .

فى اتضاع مزيف متى أراد أحد أن يسجد له كابن ملك وولى عهد ، يمد يده ويمسكه ويقبله ، كأنه صديق شخصى له ... بهذا استرق أبشالوم قلوب الكثيرين ، أمالهم إليه ليكسب ودّهم واحترامهم وطاعتهم له حتى يقيموه ملكاً عوضاً عن أبيه .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ كان أبشالوم مخادعاً ، يسرق كل قلوب الناس . لاحظ كيف كان عظيما فى خداعه ! قيل إنه كان يذهب ويقول : أليس من يقضى لك ؟! راغباً فى أن يصالح كل أحد معه ؛ أما داود فكان بلا عيب . ماذا إذن ؟ أنظر إلى نهاية كل منهما . انظر كيف كان الأول فى جنون مطبق ! إذ كان يتطلع فقط إلى أذية أبيه صار أعمى فى كل الأمور الأخرى ، أما داود فلم يكن كذلك ، لأن « من يسلك بالاستقامة يسلك بأمان » أم ١٠ : ٩ ، وبتعقل[٨٨] ] .

## ٣ـــ المناداة به ملكاً

تم ذلك فى نهاية أربعين سنة من مسح داود ملكاً على يدى صموئيل (١ صم ١٦ : ١) . يرى البعض أنه فى نهاية أربعة أعوام من مصالحة أبشالوم لأبيه أعد الطريق لنفسه كى يملك .

طلب من أبيه السماح له بالذهاب إلى حبرون ليفى نذراً تعهد به وهو فى جشور قائلاً : « إن أرجعنى الرب إلى أورشليم فإنى أعبد الرب » ٢ صم ١٥ : ٨ . وكان ذلك على الأرجح خداعاً ، لكن أباه الذى يطلب استقامة ابنه فرح جداً أن يسمع منه أنه يريد أن يعبد الرب فى حبرون بلد مولده ، لذا سمح له بالذهاب بكامل حريته .

وضع أبشالوم الخطة ربما مع بعض المشيرين ، وقد أحكمها تماماً ، إذ احتوت الخطوط العريضة التالية :

( أ ) أن يعلن توليه الحكم فى حبرون ــ إحدى مدن يهوذا ــ التى عاش فيها داود زماناً كملك لسبط يهوذا ، وأقامها عاصمة لمملكته . فى حبرون ــ بعيداً عن أورشليم ــ يستطيع أبشالوم أن يجمع حوله كل الطاقات والشخصيات التى تسنده ضد والده ، خاصة أن رجال يهوذا كانوا قد غضبوا لانتقال داود من حبرون إلى أورشليم .

(ب) بعث أبشالوم إلى جميع الأسباط رُسلاً دعوا جواسيس لأن عملهم كان سرياً ، حتى ينادى الكل به ملكاً فى وقت واحد ، فلا يجد داود أمامه ملجأ للهروب .

(جـ) أخذ أبشالوم معه مائتين من عظماء الرجال ، دعاهم لأجل الذبيحة وهم لا يدرون ما ينوى عليه أبشالوم . وجودهم معه فى حبرون يوحى للأسباط بأن عظماء المملكة تركوا داود لتعضيد أبشالوم ، وأنهم جاءوا معه لتحقيق هذا الهدف ؛ بهذا يشعر الكل أن أبشالوم يستحق الملك عنه أبيه . هذا وسحبهم إلى حبرون يغلق الباب أمام العظماء عن التشاور مع داود فى أمر عقوق ابنه وفتنته ، فيصيرون أمام الأمر الواقع أن يقبلوا الملك الجديد .

( د) استعان أبشالوم بأخيتوفل الجيلونى (٢ صم ١٥ : ١٢) ، إذ توسم فيه الرغبة مع القدرة على خيانة داود ، وهو فى هذا يشبه يهوذا فى خيانته لسيده كما يشبهه فى طريقة موته (مز ٤١ : ٩ ؛ يو ١٣ : ١٨) .

« جيلوه » : قرية فى جبال يهوذا (يش ١٥ : ٥) ، يحتمل أن تكون هى « خربة جعلا » الحالية ، التى تبعد حوالى خمسة أميال شمال غربى حبرون[٨٩] .

هكذا أحكم أبشالوم الخطة بطريقة بشرية ولم يكن أمام داود طريق إلا الهروب أو الاستسلام فيتعرض للقتل على يدى إبنه .

### ٤ـــ هروب داود ورجاله

أدرك داود الخطر مبكراً ، ولعله تذكر خطيته وقول الرب له : « والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتنى ... هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك » ٢ صم ١٢ : ١٠ : ١١ .

أشفق داود على المدينة ، وخشى أن يضربها أبشالوم بالسيف بسببه ، لذا قال لجميع عبيده : « **قوموا بنا نهرب ، لأنه ليس نجاة من وجه أبشالوم . أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف** » ٢ صم ١٥ : ١٤ .

خرج الملك وكل رجاله فى إثره ووقفوا عند آخر بيت من بيوت المدينة من جهة الشرق على طريق وادى قدرون ليعبروا بين يديه ...

تمررت نفس داود لخيانة ابنه له وثورته ضده ، لكن قلبه امتلأ رجاء فى الرب مخلصه . بروح النبوة أدرك داود أن ما حل به من خيانة أبشالوم وأخيتوفل له إنما يرمز لخيانة يهوذا للسيد المسيح .

عندما هرب داود ترنم بالمزمور الثالث :

« يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى ؟!
كثيرون قاموا علىّ .
كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه .
أنت يارب ، أنت هو ناصرى ، مجدى ، ورافع رأسى .
أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت ... »

يعلق **القديس أغسطينوس** على هذا المزمور قائلاً :

[ الكلمات « أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت ، لأن الرب يعضدنى » تقودنا إلى الاعتقاد بأن هذا المزمور يفهم فى شخص المسيح ، فإنها تنطبق على آلام ربنا وقيامته أكثر منها على تاريخ هروب داود من وجه ابنه العاق ... إذ كُتب عن تلاميذ المسيح « بنو العريس لا يصومون مادام العريس معهم » (راجع مت

٩ : ١٥) ، فلا نعجب إن كان ابنه العاق هنا قصد به التلميذ الذى خانه . يفهم هروبه من أمام وجهه تاريخياً عندما سحب السيد بقية التلاميذ إلى الجبل عند خروج الخائن ، ويفهم روحياً عندما ترك ابن الله الذى هو قوة الله وحكمته ذهن يهوذا إذ ملأ الشيطان قلبه ، يفهم بهذا أن المسيح هرب من وجهه . لا يعنى هذا أن المسيح أعطى مكانا للشيطان ، وإنما إذ تركه المسيح ملك الشيطان فيه ...

هرب الحق من ذهن يهوذا عندما توقف الحق عن إنارته .

أما « أبشالوم » فكما يفسرها البعض معناها باللاتينية Patris pax أى سلام أبيه .

يبدو من الصعب أن يُفهم « سلام أبيه » سواء فى تاريخ الملوك حيث أثار أبشالوم الحرب ضد أبيه ، وفى تاريخ العهد الجديد حين خان يهوذا ربنا . لكن من يقرأ بتروّ يرى أن داود كان فى سلام مع ابنه أثناء الحرب ، إذ يقول : « يا ابنى أبشالوم ، يا ليتنى متُّ عوضاً عنك » ٢ صم ١٨ : ٣٣ . وفى تاريخ العهد الجديد فإنه بطول أناة ربنا العجيبة والمدهشة احتمله كثيراً جداً كما لو كان إنساناً صالحاً مع أنه لم يكن يجهل أفكاره . لقد ضمه إلى العشاء ... وأخيراً تقبل قبلته فى ذات لحظات خيانته . إنه من السهل أن نفهم كيف أظهر المسيح سلاماً نحو خائنه ...[٩٠] ] .

### ٥ــ هروب إتاى الجتى

عندما هرب داود من وجه شاول أقام فى جت ونظم جيشاً قوامه ستمائة جندى وأقام إتاى الجتى قائداً لهم . دام هذا الجيش معه حين صار ملكاً فى حبرون وأيضا فى أورشليم ، وكانوا إسرائيليين لكن دخل بينهم بعض الجتيين .

لعل من أجل السمات التى اتصف بها داود هى عدم تفكيره فى صالحه الخاص حتى فى لحظات الضيق المرة ، إذ لم يطلب تسخير الغير لحسابه . لهذا طلب من إتاى أن يبقى مع أبشالوم كملك جديد ، إذ لا يريد أن يحمل إتاى فوق طاقته ، لأنه غريب الجنس . لقد قال له : « **ارجع وأقم مع الملك ، لأنك غريب ومنفى أيضاً من وطنك . أمساً جئت واليوم أتيهك بالذهاب معنا ،**

**وأنا أنطلق حيث أنطلق . ارجع ورجع إخوتك ، الرحمة والحق معك** » ٢ صم ١٥ : ١٩ الخ لكن إتاى غريب الجنس رفض أن يترك داود وقت ضيقه ، إنما تحدث معه بروح الحب والإخلاص والوفاء ، متشبها فى ذلك براعوث الموآبية فى حديثها مع حماتها نعمى (را ١ : ١٦) .

أراد الله أن يعزى قلب داود ، بينما كان ابنه يخونه ويسلب ملكه طالباً قتله ، إذا بغريب الجنس يتعلق به فى ضيقته ويشاركه متاعبه .

كان أبشالوم بن داود يمثل جماعة اليهود الذين من خاصة السيد المسيح وقد صمموا على جحده حتى بعد تقديمه الخلاص على الصليب ، أما إتاى فيشير إلى جماعة الأمم الذين تعلقوا بابن داود وقبلوا التغرب معه ، يخرجون معه خارج المحلة ويشاركونه عاره (عب ١٣ : ١٣) .

إتاى المذكور هنا غير إتاى المذكور فى ٢ صم ٢٣ : ٢٩ ، ١ أى ١١ : ٣١ الذى من جبعة بنى بنيامين ، وكان أحد أبطال داود .

عبر الملك ورجاله الوادى الذى بين أورشليم وجبل الزيتون ، حيث لا يكون فيه ماء إلا فى فصل الشتاء . وقد عبر المسيح ذات الوادى فى ليلة آلامه ليدخل بستان جثسيمانى (يو ١٨ : ١) .

**٦ــ بقاء التابوت فى أورشليم**

أراد داود النبى أن تكون كل تحركاته تحت ظل الرب نفسه كمخلص له لذا طلب من صادوق الكاهن واللاويين أن يأتوا بالتابوت حتى يعبر الشعب ، وإذ تم العبور لم يقبل أن يأخذه معه خارج أورشليم بل طلب إرجاعه مؤمناً بأن الله يسمح له بالعودة إلى حيث التابوت رمز الحضرة الإلهية ــ إن أراد الرب .

أظهر داود تسليماً كاملاً لحياته بين يدى الله مع شعوره بخطاياه وعدم استحقاقه ، لذا رد التابوت ومعه صادوق الكاهن ومعه ابنه أخيمعص ، وأبياثار الكاهن وابنه يوناثان ، حاسباً ذلك سنداً له فى أورشليم ، وخشية أن يحل بالتابوت شيئاً !

أدرك أنه يمر بفترة تأديب إلهى لكنها إلى حين ، أما قلبه فكان مرتبطاً بالله وبشعب الله وتابوت العهد والمدينة المقدسة أورشليم ...

لقد طلب من الكاهنين أن يرسلا إليه ابنيهما وهو متباطىء فى البرية ليعرف أخبار أبشالوم ورجاله عند دخولهم المدينة .

### ٧ـ رجوع حوشاى الأركى

صعد داود جبل الزيتون شرقى مدينة أورشليم ، قمته على بعد ميل منها ، وكان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشى حافياً ، وجميع الشعب يتمثلون به . وإذ بلغ القمة « **سجد لله** » ٢ صم ١٥ : ٣٢ ، فقد اعتاد أن يسجد لله ويشكره فى وسط الضيقات . يقول **مار اسحق السريانى** : [ القلب الذى يتحرك دائماً بالشكر هو مرشد يقود لعطايا الله للإنسان[٩١] ] .

على ذات الجبل وقف رب المجد يسوع يتطلع نحو أورشليم باكياً بسبب رفض أولادها أبوة الله ورعايته (مت ٢٣ : ٣٧ ؛ لو ١٣ : ٣٤) .

مما زاد حزن داود الملك جداً سماعه أن أخيتوفل أفضل أصدقائه يخونه ، إذ هو بين الفاتنين مع أبشالوم ، لذا صرخ إلى الرب أن يبدد مشورته ، لأنه معروف بحكمته وتدابيره .

طلب داود من حوشاى الأركى أن يرجع لأنه شيخ لا يحتمل المشقات فيصير عبئاً على داود فى تحركاته ، ومن جانب آخر فإنه رجل أمين ووفى يقدر أن يبطل مشورة أخيتوفل خلال صداقته مع أبشالوم .

يبدو أن حوشاى كان غائباً عندما هرب داود ، وإذ سمع بالخبر أسرع اليه لكن داود فضل بقاءه فى أورشليم ، فكانت محبة حوشاى وأمانته بلسماً لنفس داود المتمررة بسبب خيانة أخيتوفل .

عبّر داود النبى عن مرارة نفسه من جهة خيانة أخيتوفل وعن تهلله فى نفس الوقت من أجل إخلاص حوشاى الأركى فى المزمور ٤١ .

« طوبى للرجل الذى ينظر إلى المسكين ، فى يوم الشر ينجيه الرب ...
الرب يعضده وهو على فراش الضعف . مهدت مضجعه كله فى مرضه ...
أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىّ عقبه » مز ٤١ .

لعله عنى بالمسكين نفسه إذ صار طريداً ، فقد تطلع إليه حوشاى بالرغم من

شيخوخته وضعف جسده لذا يسنده الرب ويعينه بقية أيام حياته . أما رجل سلامته فهو أخيتوفل الذى أنعم عليه داود بالحب والصداقة مع نعم وعطايا وها هو يحطم الثقة ويرفع عليه عقبه لأذيته فيصير رمزاً ليهوذا الخائن .

+ + +

# الأصحاح السادس عشر

## داود الهارب

كانت نفس داود مرة للغاية فى هذه المرة فإنه ليس هارباً من أمام وجه شاول الملك الذى يخشى داود لئلا يغتصب ملكه وإنما أمام ابنه العاق الذى اغتصب كرسيه وأثار الشعب ضده . ومما يزيد نفسيته مرارة أن البعض وجد فرصتهم لإهانته وسبه ، هذا بجانب شعوره الخفى أن ما حل به هو ثمرة ما ارتكبه فى حق الله وضد أوريا الحثى .

على أية الأحوال تكشف المزامير التى أنشدها داود أثناء هروبه أنه لم يفقد رجاءه فى الرب ، مدركاً أن ما حل به تأديب أبوى من قبل الرب مخلصه .

| | |
|---|---|
| **١ـ لقاؤه مع صيبا** | ١ ـ ٤ . |
| **٢ـ شمعى يسب داود** | ٥ ـ ١٤ . |
| **٣ـ المناداة بأبشالوم ملكاً** | ١٥ـ ١٩ . |
| **٤ـ أبشالوم وسرارى أبيه** | ٢٠ـ ٢٣ . |

\+ \+ \+

### ١ـ لقاؤه مع صيبا

كان صيبا يطمع فى اغتصاب أملاك مفيبوشث بن يوناثان كبير مكتف بأن يقوم هو وبنوه وعبيده بإدارتها ، وقد وجد الفرصة سانحة لإثارة داود ضد مفيبوشث حتى يصدر داود أمره بنقل الملكية إليه عوض مفيبوشث .

لقد أدرك صيبا أن داود رجل حكيم وقوى ، وأن الضيقة التى يجتازها عابرة ، وأن الانتصار حليفه فى النهاية ، لذا أسرع إلى اللقاء معه وسط الضيقة حينما كان داود على قمة جبل الزيتون حيث قدم له حمارين مشدودين عليهما مائتا رغيف خبز ومئة عنقود زبيب ومئة قرص تين وزق خمر . قال له إن الحمارين لبيت الملك كما أن الأكل والشرب لمن يصاب بإعياء فى البرية ...

سأل داود عن مفيبوشث ، وفى مكر أجاب صيبا : « **هوذا هو مقيم فى أورشليم ، لأنه قال : اليوم يرد لى بيت إسرائيل مملكة أبى** » ، ٢ صم ١٦ : ٣ . هكذا شوه صيبا صورة سيده أمام داود الذى قدم كل إحسان وحب وتكريم لمفيبوشث . كلمات صيبا غير مقبولة ، لأنه لم يكن ممكنا لمفيبوشث الأعرج أن يستلم الحكم من أبشالوم بكل جماله وقوته وسلطانه الذى عرف كيف يغتصب الحكم من داود الملك . لكن داود كان مهتماً بأمور كثيرة وعاجلة ، مدركاً أن مفيبوشث لن يمثل خطراً عليه أو على ابنه ، إنما فى عجلة وبغير تدقيق اغتاظ وحسب مفيبوشث خائناً وناكراً للجميل ، وأصدر قراره لصيبا : « هوذا لك كل ما لمفيبوشث » ٢ صم ١٦ : ٤ . سجد له صيبا وقال : « **ليتنى أجد نعمة فى عينيك يا سيدى الملك** » ٢ صم ١٦ : ٤ .

لقد سمح الله لداود أن يجتاز هذه التجربة القاسية ، وهو شعوره بخيانة مفيبوشث ضده ، الأمر الذى لم يكن يتوقعه قط ، وكان ذلك لخيره وبنيانه من جوانب كثيرة ، منها :

( أ ) كان لابد لداود أن يشرب من ذات الكأس التى ملأها بيده ، فقد خان رجله الأمين أوريا الحثى ونام ضميره زماناً ، لذا أراد الله أن يذوق داود مرارة الخيانة ، وها هو يذوقها بخيانة ابنه له ، وأيضا أخيتوفل ، وهوذا مفيبوشث وغيرهم كثيرون . الذين أحسن إليهم يسيئون إليه أكثر مما أساء إليه الأعداء !

(ب) استخدم الله هذه التجربة لخيره ، فقد كان داود ومن معه فى حاجة إلى هذه الهدية التى قدمها صيبا له . الله يعولنا بكل الطرق ، عال إيليا بغراب ، وعال داود ورجاله خلال خبث صيبا وخداعه !

(جـ) اكتشف داود فيما بعد خداع صيبا له ، وتعلم ألا يصدر أحكامه بعجلة . لقد دان مفيبوشث وغضب عليه وحرمه من ممتلكات جده ظلماً .

### ٢ـ شمعى يسب داود

خرج من بحوريم شمعى بن جيرا من بيت شاول ، وكان بينه وبين داود ورجاله وادٍ ، فكان يرشقهم بالحجارة ، غالباً لم تكن تصلهم إنما هى علامة على غيظه واحتقاره لهم ، أما كلماته فكانت مسموعة .

كان يسب داود قائلا :

**« اخرج اخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال .**
**قد ردّ الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضاً عنه ،**
**وقد دفع الرب المملكة ليد أبشالوم ابنك ،**
**وها أنت واقع بشرك لأنك رجل دماء »** ٢ صم ١٦ : ٧ ، ٨ .

كان شمعى يقذف داود بالحجارة كأنه كلب ، أما كلماته فكانت كالسهام القاتلة ، تحمل كراهية وضغينة مع كذب . فإن داود لم يقاتل بيت شاول ليغتصب منهم الملك . على النقيض من هذا قابل مطاردة شاول بالسماحة . لم يمد يده على شاول قط ولا على بنيه أو أحفاده وإنما كان يسعى ليصنع معهم معروفاً .

فى غيرة أراد أبيشاى أن يعبر ليقتل هذا الرجل حاسباً إياه كلباً ميتاً ، أما داود فمنعه حاسباً هذه الإهانة تأديباً من قبل الرب بسبب خطيته ، إذ قال :

**« مالى ولكم يا بنى صروية .**
**دعوة يسب ، لأن الرب قال له : سب داود .**
**ومن يقول : لماذا تفعل هكذا ؟ »** ٢ صم ١٦ : ١٠ .

**« هوذا ابنى الذى خرج من أحشائى يطلب نفسى ، فكم بالحرى الآن بنيامينى ؟! دعوة يسب لأن الرب قال له ...**
**لعل الرب ينظر إلى مذلتى ويكافئنى الرب خيراً عوض مسبته بهذا اليوم »** ٢ صم ١٦ : ١١ ، ١٢ .

يكرر الملك داود العبارة « لأن الرب قال له » أن يسبه ، ليس لأن أمراً صدر من قبل الرب لشمعى كى يسب داود ، وإنما الله سمح لإرادة شمعى الشريرة أن تتمم ذلك فيتحقق العدل الإلهى كما يقول **القديس أغسطينوس**(٩٢) . مرة أخرى يقول **القديس أغسطينوس**(٩٣) إن الله يستخدم الأشرار حتى الشيطان نفسه لأجل امتحان الصالحين وتزكية إيمانهم وتقواهم .

لم يكن ممكناً لهذه الشتائم أن تؤذى داود بل هى بالنسبة له دواء يتقبله برضى وشكر كى يغتصب المراحم الإلهية . كلمات التملق التى نطق بها صيبا أضرت

داود فأصدر حكماً خاطئاً ومتعجلاً فى غضب ضد مفيبوشث أما كلمات شمعى المملوءة إهانة فأعطته فرصة ليصدر حكماً صادقاً على نفسه . حقاً إن كلمات الإطراء أكثر خطراً على حياة المؤمن ـــ خاصة القائد ـــ من كلمات الذم . وكما يقول أحد آباء البرية : من لا يحتمل كلمة الذم كيف يقدر أن يحتمل كلمة المديح ؟!

تقبل داود كلمات السب بفرح كدواء لأعماقه الداخلية ، لكنه غضب وتحدث بحزم مع أبيشاى لأنه أراد الانتقام له ممن يسبه .

+ تحرك داود بغضب تقوى ضد اقتراح (أبيشاى) المهلك ، وحفظ المقياس اللائق للاتضاع والصبر بحزم .

**القديس يوحنا كاسيان(٩٤)**

---

+ أنصت إلى داود الذى صار مشهوراً على وجه الخصوص بسبب انسحاق نفسه. كيف بعدما صنع كثيرا من الأعمال الصالحة، وعندما كان مطروداً من بلده وبيته بل ومن الحياة عينها ، فى وقت كارثته رأى جندياً سخيفاً منبوذاً يمتهن كرامته ويسبه ، لم يرد له السب بل ومنع أحد قواده من قتله قائلاً : « دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود » .

**٪القديس يوحنا الذهبى الفم(٩٥)**

ما أعجب قلب داود المتسع حباً حتى تجاه مضايقيه ، فإننا نجده دائما لا يطلب النقمة لنفسه ، بل يقابل الإساءة الشخصية باتساع قلب .

ربما ثارت مشاعره الداخلية فى البداية لكن الله ملأ قلبه بتعزيات فائقة أساسها :

( أ ) شعر أن هذا السب هو بسماح من الله لتأديبه فقد كان رجل دماء لا بقتل شاول أو أحد رجاله كما قال شمعى وإنما بقتله أوريا الحثى ... لذا لاق به أن يتقبل السب بفرح كما من قبل الله . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إنه متى شتمك إنسان بقوله لك : « يا زانٍ » ، لماذا تغضب ؟ ألم يمر عليك قط فكر زنا أو شهوة رديئة فى شبابك ؟ احسب ذلك تأديباً عن أفكار شبابك .

(ب) إن كان ابنه أبشالوم قد ثار ضده واغتصب منه العرش ، وهو لا يضمر الانتقام منه ،فلماذا ينتقم من بنياميني سبه دون أن يغتصب منه شيئاً ؟!

(جـ) حسب داود النبي هذا السب فرصة للتذلل كطريق لاغتصاب مراحم الله .

## ٣ـ المناداة بأبشالوم ملكاً

جاء أبشالوم ومعه الرجال من كل الأسباط-خاصة يهوذا-وأخيتوفل ، جاء ليملك دون أن يسفك دماً ، فقد هرب داود ورجاله حتى لا يهلك أحد بسببه .

فوجىء أبشالوم بتقدم حوشاي الأركي صديق داود إليه وهو يقول : « ليحيا الملك ليحيا الملك » . إذ لاحظ حوشاي تعجب أبشالوم قال بحكمة : « الذى اختاره الرب وهذا الشعب وكل رجال إسرائيل فله أكون ومعه أقيم . وثانياً : من أخدم ؟ أليس بين يدى ابنه ؟! كما خدمت بين يدى أبيك كذلك أكون بين يديك » ٢ صم ١٦ : ١٨ ، ١٩ .

هكذا قدم حوشاي مبررات لعدم هروبه ، حتى يثق به أبشالوم فيكون سندا لداود فى داخل القصر .

## ٤ـ أبشالوم يدخل على سراري أبيه

كان أخيتوفل مشيراً لأبشالوم ، يسمع له الملك الجديد كما لله ، حاسباً مشورته كمن يسأل كلام الله (٢ صم ١٦ : ٢٣) ، مع أنها كانت مشورات شريرة من قبل إبليس ، تحمل حكمة أرضية شهوانية (١ كو ٥ : ١) .

أول مشورة قدمها له أخيتوفل هى أن يدخل على سرارى أبيه اللواتى تركهن داود لحفظ البيت . صنع أبشالوم ذلك على السطح حتى يتأكد الكل أن الكراهية ضد داود قد بلغت أشدها وأنه لا مصالحة بينه وبين أبيه .

لعل أخيتوفل أشار بذلك على أبشالوم خشية أن يحن الابن يوماً ما لأبيه فيصالحه ، وبهذا يصير مؤقف أخيتوفل حرجاً أمام صديقه القديم داود . إنه خائن لا يقدر أن يواجه داود !

تم ذلك على السطح الذى سبق فتمشى عليه داود ليختلس نظرة شريرة لامرأة غريبة ، هوذا ابنه يضطجع مع سراريه علانية فى ذات الموقع !

+ + +

# الأصحاح السابع عشر

## إحباط مشورة أخيتوفل

بقى داود حوالى سبع سنوات ونصف فى حبرون ملكاً على سبط يهوذا (٢ صم ٢ : ٤) حتى جاء إليه رجال الأسباط مع أبنير يطلبون إليه أن يملك عليهم ، عندئذ انتقل إلى أورشليم كعاصمة لكل إسرائيل ، أما أبشالوم فعلى النقيض من والده بعث رسلاً إلى رجال الأسباط لمبايعته ملكاً ، وبسرعة تحرك من حبرون إلى أورشليم (٢ صم ١٦ : ١٥) ، لكنه لم يسترح بالرغم من استلامه المملكة فى عجلة دون صراع مع والده ورجاله ... لقد وضع فى قلبه قتل أبيه لعله يطمئن ويستريح . تقدم أخيتوفل بمشورة شريرة لكنها تحسب محكمة فى تحقيق هدف أبشالوم ، غير أن الله بدد هذه المشورة بمشورة أخرى أشار بها حوشاى الأركى .

**١ـ مشورة أخيتوفل** ١ ـ ٤ .
**٢ـ حوشاى يبطل المشورة** ٥ ـ ١٤ .
**٣ـ بعث رسولين إلى داود** ١٥ـ٢٢ .
**٤ـ انتحار أخيتوفل** ٢٣ .
**٥ـ استعداد أبشالوم للحرب** ٢٤ـ٢٦ .
**٦ـ داود فى محنايم** ٢٧ـ٢٩ .

\+ \+ \+

### ١ـ مشورة أخيتوفل

تقدم أخيتوفل كمشير للملك إلى أبشالوم بخطة لتحقيق أهدافه ، وهى سرعة اللحاق بداود وهو متعب مع الشعب الذى معه ، فبسبب الإرهاق الشديد وخلال عنصر المفاجأة وقبل أن يستقر داود لينظم جيشه ويدبر أموره يضطرب الكل ويتركونه ، فيبقى داود وحده ، يقتلونه ويرجع الشعب إلى أبشالوم دون مجهود يذكر . فى رأيه أن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من اثنى عشر ألف رجل منتخبين يتحركون فى ذات الليلة ليرجعوا فوراً بنصرة أكيدة .

هذه المشورة حسبها الكتاب صالحة (٢ صم ١٧ : ١٤) لا بمعنى انها تحمل صلاحاً وإنما لأنها قادرة على تحقيق هدف أبشالوم . يلاحظ فيها الآتى :

( أ ) جاءت رمزاً لمشورة رئيس الكهنة قيافا ضد ابن داود إذ قال : « أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » ويعلق الإنجيلى قائلاً : « ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » يو ١١ : ٤٩—٥٢ .

إن كان اسم « أخيتوفل » يعنى « أخ الحماقة »[٩٦] ، فإن الله فى صلاحه يستخدم حتى هذا الأحمق الشرير أداة ليتنبأ به ، كما فعل قبلاً مع بلعام العراف (عد ٢٣ ، ٢٤) ، وها هو يستخدم أخيتوفل ليعلن أن الحاجة أن يموت داود فلا تهلك الجماعة كلها بل « **يكون كل الشعب فى سلام** » ٢ صم ١٧ : ٣ . وقد تحقق ذلك فى المسيح يسوع الذى قدم نفسه بإرادته كفارة عن العالم كله (١ يو ٢ : ٢) ، لذلك سلمنا جسده المبذول سر خلاص للكل . يقول **القديس جيروم** : [ لنأكل جسد الحمل الذى بلا عيب ، هذا الذى ينزع خطايا العالم ، لنأكله فى بيت واحد ، أى فى الكنيسة الجامعة المرشوشة بالحب والحامله سلاح الفضيلة[٩٧] ] .

(ب) صوّر أخيتوفل داود ومن معه كخارجين عن طاعة الملك أبشالوم ... هكذا بعينه الشريرة كرجل خائن رأى فى داود عصياناً وخروجاً عن القانون !

**٢ــ حوشاى يبطل المشورة**

يرسل الله مع التجربة المنفذ ؛ فى كل عصر وُجد المقاومون للحق كما أقام الله من يحطمون مقاومتهم أو يحولونها للبنيان . إذ قام فرعون قاسيا أرسل الله موسى قائداً قوياً ، وإذ بعث عدو الخير أخيتوفل أقام الله حوشاى ، وإذ يأتى ضد المسيح فى نهاية الأزمنة يرسل الله نبيين يحطمان أضاليله .

مع استصواب أبشالوم مشورة أخيتوفل استدعى حوشاى الأركى يطلب أيضاً مشورته ليأخذ قراره النهائى . بحكمة تظاهر بأن أخيتوفل لم يصب فى هذه المرة ، مقدماً مشورة أخرى تبدو أكثر صلاحاً ، غايتها فى الواقع إنقاذ داود وخطوطها العريضة هى الآتى :

( أ ) أن داود رجل حرب وأنه يتوقع ما أشار به أخيتوفل لهذا فهو لن يبيت الليلة مع الشعب وإنما يختفى فى مكان مجهول ، فى مغارة أو شق ، ولن يبلغ إليه رجال أبشالوم ، لذا تقوم حرب طاحنة يُقتل فيها الكثيرون من الطرفين ويبقى داود على قيد الحياة ينغص حياة أبشالوم .

(ب) أن ابشالوم يواجه رجل حرب ، صاحب خبرة ، حكيم ، يعرف أن يخطط ، رجاله قلة لكنهم أقوياء وجبابرة ، لهذا فالتسرع ليس فى صالح أبشالوم ، وإنما يحتاج الأمر إلى ترو ودراسة وتحرك جاد على نطاق أوسع حتى لا ينهزم جيش أبشالوم فيفقد الشعب الثقة فيه .

(جـ) أن أبشالوم له إمكانيات جبارة ، شعبه ممتد من دان إلى بئر سبع بلا عدد ، فلماذا لا ينتفع بهذه الإمكانيات مكتفياً باثنى عشر ألف رجل ؟! إنه قادر أن ينزل على داود كالطل على الأرض فى كل موضع ، وإن انحاز إلى مدينة يجرها رجاله بالحبال إلى الوادى حتى لا تبقى فى المدينة هناك ولا حصاة . هكذا بعدما أرعبه من داود ورجاله عاد يطنب فى قدرة أبشالوم برجال إسرائيل حتى لا يظن أبشالوم أن حوشاى يحتقره أو يستهين به . إنه يقف بجواره لكنه يطلب منه التروى وعدم التسرع ... كان لابد من المديح حتى يتقبل رجل كأبشالوم المتعجرف مشورته .

( د) أن الأمر لا يحتاج إلى قتل داود وحده وإنما الخلاص من كل رجاله حتى لا يسببون لأبشالوم كدراً ، إذ قال له : « لا يبقى منه ولا من جميع الرجال الذين معه واحد » ٢ صم ١٧ : ١٢ . هذا الرأى يجد استطابة فى قلب أبشالوم إذ لا يريد أيضاً رجال داود .

(هـ) هذه هى الحرب الأولى التى يقوم بها أبشالوم كملك فكيف لا يخرج مع رجاله ، لذا أشار عليه حوشاى : « وحضرتك سائر فى الوسط » ٢ صم ١٧ : ١١ . لعله هدف بهذا أن يموت أبشالوم فى الحرب فلا توجد بعد فرصة أخرى للمقاومة .

هذه النقاط أرعبت أبشالوم من ناحية إن تسرع ، وطمأنته من ناحية أخرى بل وأشبعت كبرياءه إن تأنى ليجمع الكل تحت قيادته ويثير حرباً جادة وعنيفة قادرة على وضع نهاية لداود ورجاله .

لم يدرك أبشالوم أنه وإن وُجد كثيرون يمدحونه ويمالقونه لكن يوجد أيضا بين الشعب كثيرون لازالوا يحبون داود أباه ، وأن جمع كل بنى إسرائيل حوله قلبياً أمر يحتاج إلى وقت طويل .

على أية الأحوال هذا ما قدمه حوشاى ، لكن السر الخفى وراء ذلك هو الله العامل الحقيقى لإنقاذ داود ، فقد أعطى لمشورة حوشاى نعمة فى عينى أبشالوم ، إذ قيل : « **فإن الرب أمر بإبطال مشورة أخيتوفل الصالحة لكى ينزل الرب الشر بأبشالوم** » ٢ صم ١٧ : ١٤ .

الله الذى سمح بتقديم مشورة أخيتوفل هو بنفسه أبطلها خلال حوشاى ليعطى داود ورجاله نصرة على أبشالوم . هذه يد الله العاملة عبر الأجيال لحساب مؤمنيه ، خاصة حينما نزل ابن داود ــ كلمة الله المتجسد ــ إلى عالمنا ليحطم كل خطية شيطانية . يقول **القديس جيروم** : [ « فى البحر طريقك » مز ٧٧ : ١٩ ، أى خلال الأمواج ، خلال المياه المرة حيث يسكن التنين ... أنت فى السماء وقد نزلت إلى الأرض ... جاء ينبوع الحياة ليحوّل البحر المر والميت إلى مياه حلوة(٩٨) ] .

« حوشاى » اسم معناه « مسرع »(٩٩) . فقد أسرع إلى داود ليخرج معه وقت ضيقته بالرغم من شيخوخته لكن داود طلب منه البقاء فى أورشليم ليكون سنداً له ، وها هو يسرع إلى نجدته بتقديم مشورة تبطل خطة أخيتوفل مع إبلاغ داود بكل ما يجرى .

### ٣ــ بعث رسولين إلى داود

كان لابد لحوشاى أن يخبر داود بما حدث خلال الكهنة ؛ وقد استخدم الله الشعب والكهنة ، الرجال والنساء ، الشيوخ والشبان لتحقيق هذا الهدف ، ليعلن أن الكنيسة جسد واحد يتحرك كل أعضائها بروح واحدة ، كل عضو له دوره الفعّال(١٠٠) .

( أ ) أرسل حوشاى إلى الكاهنين صادوق وأبياثار يخبرهما بما حدث من جهة أخيتوفل ومن جانبه ، حتى يتحركا للعمل ، وطلب منهما أن يبعثا إلى داود فى سهول البرية أى فى الضفة الغربية من الأردن (٢ صم ١٥ : ٢٨) لئلا يبتلع هو

وجميع الشعب الذى معه ، إذ خشى أن يعود أبشالوم فيقبل مشورة أخيتوفل ويهاجم داود فى ذات الليلة .

إن كان حوشاى يمثل القيادات الشعبية ، فإنها تلتزم بالعمل مع القيادات الكنيسة ، بروح الوحدة والتعاون كأعضاء لجسد واحد ، يتبادلان الحب ويتممان العمل الكنسى الواحد ، مقدمين بعضهم بعضاً فى الكرامة .

كل مغالاة من الجانبين يحطم الكنيسة ، فالأسقف كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** هو أسقف بشعبه ، والشعب يعمل بأسقفه فى انسجام وتناغم معاً ، فتحل البركة ويعمل الله بالجميع .

من الجانب الرمزى فإن حوشاى [ تعنى « مسرعاً » ] قد أسرع إلى صادوق « تعنى « صديقاً أو باراً »[١٠١] ] وأبياثار « تعنى « أب الثراء »[١٠٢] ] الكاهنين ليتدبرا الأمر . فإن الكاهنين يمثلان دور الكاهن فى الخدمة متعاوناً مع الشعب ، ألا وهو العمل خلال الحياة البارة أو المقدسة فى الرب ، والأبوة الثرية بفيض الحب . بمعنى آخر إن كان الشعب يسرع نحو الكهنة إنما لأنهم يتوقعون فيهم أولاً وقبل كل شيء قدسية الحياة والأبوة الصادقة المملوءة حناناً ولطفاً .

(ب) انطلقت جارية من قبل الكاهنين الشيخين صادوق وأبياثار إلى ابنيهما الكاهنين الشابين : يوناثان [ كلمة عبرية تعنى « عطية يهوه »[١٠٣] ] وأخيمعص [ تعنى « أخ الغضب »[١٠٤] ] ، اللذين كانا واقفين عند عين روجيل [ أى « عين مسافر »[١٠٥] ] ينتظران الرسالة . الكنيسة فى حاجة إلى جميع أفراد شعبها وكهنتها ، فإنه ما كان يمكن لحوشاى أن يحقق رسالته دون الجارية الفقيرة ، ولا كان يمكن للكاهنين الشيخين أن يعملا بدون الشابين . ليت الغنى يشعر بعوزه إلى الفقير ، والكاهن الشيخ لا يستخف بالكاهن الشاب !

اسما الشابين يحملان معنى رمزياً ، فإنه يليق بالشيوخ أو البالغين أن يتطلعوا إلى الشباب من زاويتين : الأولى أنهم عطية الله (يوناثان) . فالشاب ليس اداة فى يد الشخص البالغ إنما هو إنسان الله له كيانه وشخصيته ومواهبه وفكره، أمور تحتاج من البالغين أن يقدروها فيهم لا أن يطلبوا صَبَّ الشباب فى قوالب حسب أهوائهم الشخصية[١٠٦] . أما الثانية فهى أن الشباب يُعرف بسرعة الانفعال

والغضب ... لنقبلهم كإخوة [ أخيمعص = أخ الغضب ] لتتحول عواطفهم الثائرة للبنيان بتقديسها وليس بتحطيمها .

كان الشابان واقفين عند « عين روجل » أو « عين المسافر » ، إذ يميل الشباب إلى الحركة المستمرة ، إنهم لا يقبلون الحياة الخاملة الجامدة . عمل الشيوخ ليس مهاجمة الشباب فى تحركهم وإنما مساندتهم بالحب والرعاية مع الحكمة فيتحرك الكل معاً فى نمو للبنيان .

(جـ) لم يكن الشابان قادرين على الظهور فى أورشليم (٢ صم ١٧ : ١٧) لأنهما معروفان أنهما من تابعى داود . ومع ذلك فقد رآهما غلام وأخبر أبشالوم بما حدث . وكأن مع كل عمل نتوقع مقاومة من عدو الخير من حيث لا ندرى ، لذا لن تنجح أية خطة بشرية مهما أحكمت ما لم تتدخل عناية الله ونعمته .

( د) انطلق الشابان إلى بيت رجل فى بحوريم [ تعنى « شبابا »[١٠٧] ] ، وهى ذات المدينة التى خرج منها شمعى بن جيرا البنياميني ليسب داود ويرشقه بالحجارة ويذرى التراب مقابله (٢ صم ١٦ : ٥ ، ٦ ، ١٧) . المدينة التى أخرجت رجلاً يقاوم داود وجد فيها امرأة مؤمنة تعمل لحسابه ، إذ أخفت الرجلين فى بئر جافة وغطتها بسجف (ستائر) الباب وسطحت عليه سميذاً . يمكننا القول إن المدينة التى أخرجت إنساناً يهين داود فيحتمله باتساع قلب وجدت فيها امرأة متسعة القلب نحو داود ورجاله . لقد سمع الرب لكلمات داود التى نطق بها هناك : « لعل الرب ينظر مذلتى ويكافئنى خيراً عوض مسبته بهذا اليوم » ٢ صم ١٦ : ١١ .

حيث يوجد احتمال الإهانة والسب برضى يقوم الخلاص !

الرجل سبّ داود والمرأة عملت على إنقاذ حياته ... ليت كلا الجنسين يدركان دورهما الإيجابى فى العمل لحساب ملكوت الله .

لعل الرجل الذى سب داود يشير إلى اليهود الذين جحدوا المخلص ورفضوه ، أما المرأة فتشير إلى جماعة الأمم التى قبلت بالإيمان بئر المعمودية المقدس وقد غطته ستائر الحب الإلهى خلال الدم المبذول على الصليب .

(هـ) فتش عبيد أبشالوم عن الكاهنين الشابين فلم يجدوهما ، فقالت لهما : « قد عبرا قناة الماء » ٢ صم ١٧ : ٢٠ . ربما أشارت بذلك إلى مجرى صغير من الماء بالقرب من البيت . فى هذا كذبت المرأة كما فعلت راحاب (يش ٢ : ١ـ٧) وميكال (١ صم ١٩ : ١٢) وحوشاى (٢ صم ١٥ : ٣٤) . هذا الكذب هو ضعف بشرى لا يمكن تبريره !

( و ) خرجا من البئر وانطلقا إلى داود يخبرانه أن يعبر هو وشعبه الماء (نهر الأردن) سريعاً بالرغم من صعوبة الأمر . وبالفعل تم العبور طوال الليل متجهين نحو المشرق ، حتى لم يبق فى الصباح أحد لم يعبر الأردن (٢ صم ١٧ : ٢٢) .

**٤ـ انتحار أخيتوفل**

لم يعمل أبشالوم بمشورة أخيتوفل المتعجرف ، لهذا انطلق إلى بيته حيث خنق نفسه ومات بعدما أوصى لبيته أى رتب أمور أسرته (٢ صم ١٧ : ٢٣) .

صنع هذا لسببين رئيسيين : الأول من أجل كرامته الذاتية ، إذ استصعب أن تقبل مشورة آخر غيره . والثانى أنه أدرك أن مشورة حوشاى ستحطم أبشالوم فيعود داود إلى كرسيه وينتقم منه كخائن .

أما خنقه فى بيته فيشير إلى أن ما حلّ به هو ثمرة طبيعية للأنا أو البيت الداخلى المتقوقع بغير انفتاح قلب أو محبة للغير . لذا يؤكد **القديس مقاريوس الكبير** فى العظات المنسوبة إليه أنه لا خلاص خارج الآخرين ، ويقول **مار إسحق السريانى** : [ من يقرض ذراعه لمساندة أخيه يتقبل ذراع الرب عوناً له[١٠٨] ] .

صار أخيتوفل رمزاً ليهوذا الخائن الذى خنق نفسه أيضاً .

**٥ـ استعداد أبشالوم للحرب**

عبر داود ورجاله نهر الأردن إلى محنايم ، وهى مدينة للاويين عند تخم جاد الشمالى (٢ صم ٢ : ٨) ، وكانت مدينة مناسبة لداود بسبب حصونها .

عبر أبشالوم الأردن ومعه رجال إسرائيل تحت قيادة عماسا [ معناها « ثقل »[١٠٩] ] الذى يحمل ذات القرابة لأبشالوم مثل يوآب ابن خالته ، وقد صار

عماسا ثقلاً على أبشالوم وليس معيناً له ، إذ قُتل أبشالوم فى المعركة الوحيدة التى قادها مع عماسا ضد أبيه .

### ٦ــ داود فى محنايم

جاء داود ورجاله إلى محنايم حيث قدم لهم شوبى بن ناحاش وماكير بن عميئيل من لودبار وبرزلاى الجلعادى أثاثات وطعاماً ليأكلوا ، تقدمة محبة تقبلها داود وسط ضيقه ومتاعبه ، لذا ترنم بالمزمور ٢٣ قائلاً : « ترتب قدامى مائدة تجاه مضايقى » .

تلقى محبة عملية فى محنايم البعيدة عن عاصمة ملكه فى وقت قام فيها كثيرون من أصدقائه بمقاومته وخيانته .

إن كانت « محنايم » تعنى « معسكرين » ، فالتجاء داود إليهما إنما يشير إلى تجلى السيد المسيح فى كنيسته فى العهدين القديم والجديد . فى محنايم وُجد شوبى [ يعنى « الآسر » أو « المُعتقل »[١١٠] ، وماكير [ تعنى « البائع »[١١١] ] بن عميئيل [ يعنى « شعب الله »[١١٢] ] ، وبرزلاى [ يعنى « قلباً حديدياً »[١١٣] ] ، هؤلاء قاموا بخدمة داود بتقديم أثاثات وأطعمة متنوعة ليأكل هو ومن معه وسط الضيق والتعب . كأنه يليق بالمؤمنين من العهدين أن تكون لهم السمات الثلاث التالية :

( أ ) أن يكونوا آسرين لا أسرى ، يعرفون كيف يقودون حياتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم بقوة الروح غير مستعبدين لشهوات الجسد ؛ فى أيديهم عجلة القيادة الداخلية بالروح القدس الساكن فيهم .

(ب) أن يكونوا بائعين ، أى لهم العمل الإيجابى فى الكنيسة ، يشعرون بنوع من الحرية كأعضاء حقيقيين فى شعب الله .

(جـ) أن يكون لهم القلب الحديدى ، لا يخنعون للخوف والقلق ولا للذة والشهوة ، إنما يحملون روح النصرة والغلبة بالمسيح يسوع قائد الموكب الروحى .

+ + +

# الأصحاح الثامن عشر

## نهاية أبشالوم

مُسح أبشالوم العاق والمتعجرف ملكاً على كل إسرائيل ، ولم تمض سوى أسابيع قليلة حتى جمع جيشه الضخم ليقتل داود ... دخل فى معركة كانت ظلا لمعركة الصليب ، فيها خرج داود ورجاله منتصرين بينما تحطم أبشالوم ورجاله . كان داود رمزاً للمسيح الحىّ الغالب ، وكان أبشالوم رمزاً لإبليس الذى قتله الرب الصليب وحطم سلطانه .

| | |
|---|---|
| **١ــ تنظيم رجال داود** | ١ ــ ٥ . |
| **٢ــ انكسار أبشالوم** | ٦ ــ٨ . |
| **٣ــ نهاية أبشالوم** | ٩ ــ ١٥ . |
| **٤ــ رجوع عبيد داود** | ١٦ــ١٨ . |
| **٥ــ داود يحزن على ابنه** | ١٩ــ٢٣ . |

+ + +

**١ــ تنظيم رجال داود**

مُسح أبشالوم العاق ملكاً ، وجمع جيشه الضخم وعبر الأردن لمحاربة داود ورجاله ، طالباً قتل داود بالذات ، وكان فى هذا يرمز لإبليس الذى بخداعه وكبريائه مع عصيانه لله صار رئيس هذا العالم (يو ١٤ : ٣٠) . وقد جمع كل رجاله الخاضعين له للخلاص من المسّيا .

فى ذات الوقت كان داود يحصى رجاله لا لمعرفة عددهم وإنما لتنظيم جيشه فى محنايم ، ويقدر المؤرخ اليهودى يوسيفوس عددهم بحوالى ٤٠٠٠ نسمة ، وهو عدد قليل جداً بالنسبة لجيش أبشالوم . أقام داود رؤساء ألوف ورؤساء مئات كنظام موسى النبى (خر ١٨ : ٢٥) ونظام شاول (١ صم ٢٢ : ٧) . كما قام بتوزيع الجيش على ثلاث فرق : الثلث تحت قيادة إتاى الجتى الذى أظهر إخلاصه وقت الضيق رافضاً البقاء فى أورشليم مع أبشالوم ليشارك داود آلامه وتغربه (٢ صم

١٥ : ١٨ : ٢٣) ؛ والثلث تحت قيادة يوآب رئيس جيش داود ، والثلث تحت قيادة أبيشاى أخى يوآب . ويبدو أنه أراد أن يكون القائد العام للثلاث فرق يقودهم بنفسه ، لكن الشعب الذى سمع عن مشورة أخيتوفل وأدرك نية أبشالوم ألا وهى التركيز على قتل داود ، طلبوا منه ألا يخرج ، لأنه بقتله يسقط الجيش كله (٢ صم ٢١ : ١٧) ؛ وإن بقى فى المدينة يرسل لهم نجدة ويسندهم بمشورته وتدبيره .

داود بتنظيمه للجيش يمثل السيد المسيح الذى يقيم من مؤمنيه جنوداً روحيين يصارعون حتى النهاية لتحطيم الشر وإبادة عدو الخير ... لتحطيم الخطية لا الخطاة ، الفساد لا البشر المخدوعين بالفساد . يقول القديس بولس : « البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السمويات » أف ٦ : ١١ ، ١٢ . وأيضا : « فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح . ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده » ٢ تى ٢ : ٣ ، ٤ .

يرى الآباء أن السيد المسيح هو نفسه سلاحنا فى المعركة . يقول **القديس أمبروسيوس** : [ يوجد دفاع لخلاصنا مادام يوجد المسيح[١١٤] . ويقول **القديس أغسطينوس** : [ عدة أسلحتنا هى المسيح[١١٥] .

أطاع داود أمرهم وبقى فى المدينة ، وفى حنان طلب من القادة الثلاثة : « **ترفقوا لى بالفتى أبشالوم** » ٢ صم ١٨ : ٥ . لم تكن هذه وصية ملك ولا قائد حرب بل وصية أب حنون يتطلع إلى ابنه العاق كصبى يحتاج إلى حنان الأبوة . هذه نظرة كثير من آباء الكنيسة تجاه كل إنسان غضوب ، إنه شُبِّه بصبى صغير يحتاج إلى حب لعلاجه لا إلى مقاومته .

هذه هى مشاعر الأب البشرى تجاه ابنه العاق ، والأسقف أو الكاهن تجاه أحد أفراد شعبه الغضبى ، فكم تكون مشاعر أبينا السماوى ربنا يسوع المسيح نحو الخطاة ؟! إنه يبحث عنا جميعاً ويترفق بنا منتظراً إشارة منا ليستلم حياتنا ويستريح فى أحشائنا ويسكن فى قلوبنا . لقد أعد الوليمة وأمسك بالحلة الأولى وخاتم البنوة ، منتظراً كل ابن عاق يرجع إليه .

ليس هناك وجه للمقارنة بين داود وأبشالوم ، فداود المحب لكل الشعب لم يوصِ إلا بابنه العاق ، بينما جاء أبشالوم بنفسه إلى المعركة هدفه الأول قتل أبيه !

**٢ـــ انكسار اسرائيل**

إذ تحرك أبشالوم للقتال اضطر داود أن يطلب من رجاله أن يتحركوا خارج محنايم ، إذ لم يرد أن يسبب لشعبها اضطراباً ، وقد استضافوه هو ورجاله . هكذا كان داود عجيباً فى رقة مشاعره وحرصه ألا يتأذى أحد بسببه .

تم اللقاء فى وعر أفرايم شرقى الأردن وذلك بخلاف الوعر الذى فى غربة (يش ١٧ : ١٨ ) ، الذى فيه انكسر الأفراميون حينما حاربوا يفتاح وأهل جلعاد (قض١٢ : ٦) . انهزم أبشالوم مع رجاله أمام عبيد داود الذين يحسبون قلة قليله أمام جيش أبشالوم . تشتت إسرائيل فى الوعر فتبعهم رجال داود وقتلوا ٢٠,٠٠٠ نسمة ، أما الذين أهلكهم الوعر فكانوا أكثر من الذين قتلهم السيف ، وكأن الطبيعة ذاتها ثارت ضد هذا الشرير كما حدث أثناء الصلب .

كان سقوطهم رمزاً لسقوط جاحدى الإيمان الذين رفضوا ابن داود السماوى ليعيشوا حسب فكرهم الأرضى وشهواتهم الجسدية وراء أبشالوم (رمز ابليس) المتعجرف . يقول **القديس أغسطينوس** : [ « قدامه سيسقط كل المنحدرين إلى التراب » (مز ٢٢ : ٢٩) . هو (ربنا يسوع) وحده يرى كيف يسقط كل من يتركون السيرة السماوية ، ويجعلون اختيارهم أرضياً ، ليظهروا أنهم سعداء أمام الناس الذين لا يرون سقوطهم ( هلاكهم )[١١٦] ] .

**٣ـــ نهاية أبشالوم**

كان أبشالوم راكباً على بغل ، مع أنه اعتاد فى أورشليم أن يركب مركبة وخيلاً ؛ وفى وسط الأحراش تعلقت رأسه ، أو كما يقول يوسيفوس المؤرخ تشابك شعره بأغصان بطمة عظيمة ، وذلك بسبب طول شعره وغزارته ، وإذ سار البغل بقى معلقاً بين السماء والأرض . أسرع رجل يخبر يوآب بما رآه فانتهره لأنه لم يضربه إذ كان مستعداً أن يعطيه عشرة شواقل فضة ومنطقة مطرزة . أجابه الرجل : « **فلو وُزن فى يدى ألف من الفضة لما كنت أمد يدى إلى ابن الملك ، لأن الملك أوصاك فى آذاننا أنت وأبيشاى وإتاى قائلاً : احترزوا**

. لم يصبر يوآب رئيس : ١٨ صم ٢ « **أيا كان منكم على الفتى أبشالوم** » الجيش على ذلك فنشب ٣ سهام فى قلب أبشالوم وهو بعد حىّ فى قلب البطمة ، وأحاط به عشرة غلمان حاملو سلاح يوآب وضربوا أبشالوم حتى مات . لقد خالف يوآب وصية داود لأنه شعر أن حياة أبشالوم تمثل خطراً على داود نفسه كما على كل المملكة .

وقد سبقت الإشارة إلى أن نهاية أبشالوم ترمز إلى معركة الصليب التى فيها تحطمت قوى عدو الخير إبليس تماماً بالنسبة للمؤمنين بالمخلص المصلوب ، وذلك فى الجوانب التالية :

( أ ) خرج رجال داود خارج المدينة « محنايم » ليدخلوا إلى معركة عنيفة مع أبشالوم ورجاله، مع رجال حرب أقوياء وكثيرين. هكذا إذ رفع مسيحنا على الصليب خارج أورشليم ، يدعونا الرسول بولس أن نخرج خارج المحلة لنحمل عاره (عب ١٣ : ١٣) . ندخل معركة مع عدو الخير العنيف للغاية ، قواته بلا حصر ، لا يعرفون سوى العنف والشراسة ... لكننا فى المسيح يسوع ننال الغلبة والنصرة ، محطمين كل خداعاته وحيله وكل قوته وجبروته . إنه يضعف جداً هو وكل أعماله الشريرة إن اختفينا فى مسيحنا الغالب .

(ب) استخدم أبشالوم البغل الذى لأبيه عوض الخيل الذى كان يركبه ... غالباً ما كان داود الملك يخرج بهذا البغل فى الحروب فيغلب ، أما أبشالوم ففلت البغل من تحته ليتركه معلقاً بين السماء والأرض . يمكننا أن نقول مع **العلامة أوريجانوس** إن السيد المسيح رُفع على الصليب علانية ، أما الذى فقد سلطانه وصُلبت إمكانياته فهو إبليس . على ذات الصليب ملك المسيح وتحطم إبليس ، إذ يقول الرسول عنه إنه بالصليب قط أشهر إبليس وكل سلاطينه (كو ٢ : ١٥) .

+ لقد غلب العالم كله كما نرى أيها الأحباء ... لقد قهر ... لا بقوة عسكرية بل بجهالة الصليب !...

**القديس أغسطينوس**[١١٧]

+ سلب (الرب) الرؤساء والسلاطين وظفر بهم بصليبه . هذا كان سبب مجىء ربنا : أن يطرحهم خارجاً ويسترد الإنسان الذى هو بيته وهيكله .

**القديس مقاريوس الكبير**[١١٨]

---

+ بالشجرة التى قتلنا بها (الشيطان) أنقذنا الرب ...
مبارك هو هذا الذى كحمل حقيقى خلصنا ، وأهلك مهلكنا كما حدث مع داجون .

**مار أفرايم السريانى**[١١٩]

---

(جـ) الشعر الذى بجماله وغزارته جذب أبشالوم الكثيرين ليقيموه ملكاً (٢ صم ١٤ : ٢٥ـــ٢٧) ، هو الذى تشابك مع أغصان البطمة ليبقى معلقاً غير قادر على الإفلات من الموت . هكذا الجسد بكل أعضائه الصالحة وأحاسيسه ومشاعره التى أوجدها الله فينا إن انحرف عن غايته يصير سبب هلاك لنا . ليس العيب فى الجسد ولا فى طاقاته فإنه من عمل خالق صالح إنما العيب فينا نحن الذين نحول ما هو صالح لهلاكنا .

( د) بقى أبشالوم بين السماء والأرض معلقاً على الخشبة ، يشير إلى عدو الخير الذى يحطمه الصليب فلا يجد راحة فى السماء إذ ليس له موضع فيه ، ولا الأرض باقية له ... إنه يهوى إلى حيث لا يتمتع بالسماء ولا بالأرض .

(هـ) ضُرب أبشالوم بالسهام وهو حى بيد يوآب فى قلبه ، كما ضربه الغلمان العشرة حاملو السلاح . يوآب يمثل جماعة القديسين الجبابرة فى الإيمان يحطمون إبليس ، يضربونه كما فى قلبه ، أما الغلمان فيشيرون إلى المؤمنين البسطاء كغلمان صغار لا يتوقفون عن محاربة عدو الخير الذى فقد قدرته على التحرك بالنسبة لهم . يشبهه **القديس يوحنا الذهبى الفم** بالكلب الذى ينبح كثيراً أمام بيته لكنه جبان أمام طفل برىء .

### ٤ـــ رجوع عبيد داود

ضرب يوآب بالبوق لينهى القتال بموت أبشالوم ؛ انه برق كلمة الله التى ينطق بها المؤمنون كما ببوق ليعلنوا خلال الكلمة حياة الغلبة ونهاية عدو الخير .

طرح أبشالوم فى أقرب جب وُجد هناك فاقداً كرامته كابن للملك . طلب الكرامة الزمنية وسعى إليها بكل طاقاته ففقدها فى موته وحتى بعد موته ، فصار عبرة لكل نفس فى عقوق نحو الله أبيها . كانوا يرمونه بالحجارة وكأنهم يرجمونه بسبب عقوقه كحكم الشريعة (تث ٢١ : ٢٠ ، ٢١) . لا تزال توجد فى بعض بلاد الشرق عادة أن يلقى العابرون حجارة على مقبرة المجرمين .

مات أبشالوم بعد أسابيع من ملكه ، وقد سبق أن مات أولاده الثلاثة (٢ صم ١٤ : ٢٧) فى حياة أبيهم . وأقيم نصب تذكارى دعى « يد ابشالوم » ، ربما لأنهم كانوا يصورون يداً على النصب لأن اليد آلة للعمل . هذا النصب تذكار وعبرة لكل من تسول نفسه ممارسة العقوق .

## ٥ــ داود يحزن على ابنه

أدرك يوآب أن الملك المتعلق بابنه أبشالوم لن يتقبل خبر النصرة بفرح بسبب موت ابنه لذلك لم يرد أن يقوم أخيمعص بن صادوق الكاهن بإبلاغ الخبر للملك ، فبعث برسول آخر كوشى ، ربما كان عبداً ليوآب من بلاد كوش . نزل أخيمعص إلى الغور أى إلى وادى الأردن وسار فيه ثم صعد إلى محنايم ليبشر داود بالنصرة ، أما الكوشى فأخذ طريقاً أسهل لكنه أطول .

وصل أخيمعص أولاً حيث كان داود جالساً بين البابين : أى على سطح يربط بين باب خارجى تجاه البرية وآخر تجاه المدينة ، وقد صعد الرقيب على سطح السور فوق الباب ليخبر داود بما يراه .

بشر أخيمعص داود بالنصرة ، دون أن ينطق بكلمة بخصوص أبشالوم حتى جاء الكوشى ، وفهم داود من حديثه أن ابنه مات فحزن جداً ، وكان يبكيه بمرارة ، ولعل سر بكائه هو :

( أ ) مشاعر الأبوة الحانية الطبيعية ، خاصة وأن داود يحمل مشاعر رقيقة أن الكل .

(ب) كان يكِنّ لأبشالوم معزة خاصة ، متوقعاً أن تنضج شخصيته مع الزمن وخلال الخبرات المستمرة .

(جـ) لم يكن أبشالوم مستعداً للموت بالتوبة .
( د) شعوره خطئه فى تربيته لابنه .
(هـ) شعر أن ما حل به هو ثمرة خطأه هو .

## الأصحاح التاسع عشر

## عودة داود للمُلك

عقوق أبشالوم ودخول إسرائيل فى حرب مع رجال داود سبب جراحات كثيرة على مستوى بعض الشخصيات الهامة كما بين الأسباط وبعضها البعض ، فقد انكشفت نية البعض كخونة لداود بينما سقط البعض فى الخيانة تحت الضغط ... كان أمر رجوع داود إلى المملكة يحتاج إلى حكمة فى التصرف ولقاءات هامة ...

| | |
|---|---|
| ١ـــ يوآب يخرج داود من حزنه | ١ ـــ٨ . |
| ٢ـــ يهوذا يلتقى بداود | ٩ ـــ١٥ . |
| ٣ـــ شمعى وصيبا يلتقيان بداود | ١٦ـــ٢٣ . |
| ٤ـــ مفيبوشث يلتقى بداود | ٢٤ـــ٣٠ . |
| ٥ـــ برزلاى يلتقى بداود | ٣١ـــ٤٠ . |
| ٦ـــ ثورة الأسباط على يهوذا | ٤١ـــ٤٣ . |

\+ \+ \+

### ١ـــ يوآب يخرج داود من حزنه

اعتبر يوآب حزن داود المفرط على ابنه العاق أبشالوم إهانة للشعب الذين خاطروا بحياتهم فى الحرب من أجله ، وكانوا يتوقعون كلمة شكر واحتفالاً بالنصرة بفرح وبهجة . لهذا دخل يوآب إلى الملك ليتحدث معه بكلمات جارحة وفى غير لياقة قائلاً له : « قد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك منقذى نفسك وأنفس بنيك وبناتك وأنفس نسائك وأنفس سراريك بمحبتك لمبغضيك وبغضك لمحبيك ، لأنك أظهرت اليوم أنه ليس لك رؤساء ولا عبيد ، لأنى علمت اليوم أنه لو كان أبشالوم حياً وكلنا اليوم موتى لحسن حينئذ الأمر فى عينيك » .

بالغ يوآب فى الحديث، عندما ذكر أن داود أحب مبغضيه لأنه لو انتصر أبشالوم لقتل داود وبنيه ونساءه ورجاله خاصة الجبابرة كيوآب ، لكن داود لم يبغض محبيه كما ادعى يوآب .

فى جسارة طلب يوآب من الملك قائلا: «قم واخرج وطيب قلوب عبيدك» ٢ صم ١٩ : ٧ . لقد خشى أن يتركه الكل ويطلبوا ملكاً آخر لأنه فضل ابنه العاق عن كل رجاله ، فيحل الشر بداود .

لسنا ننكر رقة مشاعر داود مع الجميع خاصة ابنه أبشالوم ، لكن كان يليق به أن يتخطى العلاقات الشخصية والعائلية من أجل حبه ورعايته للشعب ؛ حزنه الشديد على ابنه العاق حطم نفسية رجاله ، لأنهم ما كانوا يتوقعون فيه ذلك . على أية الأحوال ، أراد الكتاب المقدس أن يبرز أنه يصعب على الإنسان التخلص من الجوانب الشخصية وأثر العلاقات الأسرية حتى بالنسبة لكبار الأنبياء والقديسين .

**٢- يهوذا يلتقى بداود**

صار الموقف مربكاً فكل الأسباط تذكر دور داود منذ صباه فى الدفاع عنهم أيام شاول الملك ، وكيف قابل عداوة شاول بالسماحة ، وأيضا خدمته الناجحة كملك . ومع هذا إذ ثار عليه ابنه وانضم إليه كثيرون حزن على موت ابنه العاق ... والآن مات أبشالوم وصاروا بلا ملك ، ولا يعرفون ماذا يفعلون خاصة سبط يهوذا الذى كان يساند أبشالوم فى فتنته وخشوا نقمة داود منهم .

أرسل داود الكاهنين صادوق وأبياثار إلى يهوذا ليسرعوا إلى داود ، يعلنون خضوعهم له . ولكى لا يتحرجوا من الموقف ذكّرهم داود أنهم إخوته من عظمه ولحمه كما أرسل إلى عماسا رئيس جيش أبشالوم ليعده بأن يقيمه رئيساً على الجيش عوض يوآب لكى يكسب الشعب الذى تعلق بأبشالوم ، ومن جانب آخر ربما أراد أن يستريح من يوآب الذى قتل أبنير وأبشالوم وتحدث بخشونة مع داود ، ولأنه يحمل ذلة على داود بخصوص قتل أوريا الحثى .

بالفعل جاء داود إلى الأردن بينما جاء رجال يهوذا إلى الجلجال (بين أريحا والأردن ) لملاقاة الملك وحراسته أثناء عبوره الأردن .

كان داود حكيماً فى إرساليته هذه ليهوذا لكى يكسبهم لصفه ، وإن كان هذا له أيضاً جانبه السلبى ، فقد أثار هذا الموقف بقية الأسباط إذ حسبت أن يهوذا يميل إلى الانعزالية حاسباً داود ملكه الخاص لأنه من ذات السبط .

أرسل داود الكاهنين صادوق [ = صديق أو بار ] وأبياثار [ = أب الثراء ] لكى يجتذب بالحب سبطه إليه ، وفى ملء الزمان جاءنا ابن داود بنفسه كلمة الله المتجسد ليجتذبنا إليه خلال حياته الفائقة القداسة والأبوة الإلهية الغنية فى الحب ليقيمنا أعضاء جسده ، عظمه ولحمه ، كنيسته المقدسة .

من كان فينا كعماسا له دور قيادى شرير لحساب أبشالوم [ رمز إبليس ] يحوله بنعمته الإلهية ليصير قائداً لحساب ملكوت المسيح ، كما فعل مع شاول الطرسوسى الذى كان يضطهد الكنيسة فصار بنعمته رسولاً أميناً وكارزا بالمسيح .

كما اهتم داود الملك بيهوذا كسبط وأيضا بعماسا كشخص هكذا يهتم السيد المسيح بكنيسته كجماعة مقدسة عروسه الواحدة دون تجاهل لكل عضو فيها . بنيان الكنيسة هو لحساب نمو كل عضو فيها ، وبنيان كل عضو إنما لحساب نمو الجماعة ككل ، بلا فصل بين الحياة الكنسية الجماعية والخبرة الشخصية لكل عضو فيها .

**٣ــ شمعى وصيبا يلتقيان بداود**

أسرع شمعى وصيبا لمقابلة داود ، الأول سبه عند هروبه من أورشليم (٢ صم ١٦ : ٥ــ١٣) ، والثانى كذب عليه حينما ادعى أن مفيبوشث يطمع فى الكرسى الملكى (٢ صم ١٦ : ١ــ٤) . خرج الأول معه ألف رجل من بنيامين وجاء الثانى معه بنوه الخمسة عشر وعبيده العشرون . خاضوا الأردن ليلتقوا بالملك .

رأى أبيشاى أن الوقت مناسب للانتقام من شمعى ، أما داود فحسب أن الوقت هو وقت فرح وتضميد جراحات واتساع قلب للجميع ، وقت حب وسماحة وعفو !

ما أعجب شخصية داود ، مع كل نجاح أو نصرة لا يطلب سلطة وإن نالها لا يسيء استغلالها ، بل يحول السلطة إلى حب ورعاية . يرى فى الكرسى الملوكى

مجالاً للجمع والمصالحة والاتحاد لا لإثارة تصديع وانشقاقات . بعفوه عن شمعى كسب كل سبط بنيامين بل واستراحت قلوب الأسباط الأخرى من أجل هذه الروح السمحة !

إن كان هذا بالنسبة للملك ، فماذا نقول عن الأسقف أو الكاهن أو أى قائد روحى ؟! الكهنوت أبوة ورعاية وليس سلطة ودكتاتورية ! الكهنوت حب فى المسيح وليس عجرفة وكرامة زمنية !

+ إن شرف الكهنوت عظيم ، ولكن إن أخطأ الكهنة فهلاكهم فظيع .
+ لا يخلص الكاهن لأجل شرفه ، إنما إن سلك بما يليق بشرفه .

**القديس إيرونيموس**(١٢٠)

### ٤ــ مفيبوشث يلتقى بداود

نزل مفيبوشث من بيته فى جبعة بنيامين إلى أورشليم ليلتقى بالملك داود ، حيث لم يعتن برجليه ولا بلحيته منذ ترك داود الكرسى ، فوجد باب الملك مفتوحاً أمامه ! كان قلب داود مفتوحاً وأبواب قصره مفتوحة للجميع حتى بالنسبة لمقاوميه والمسيئين إليه . التقى بشمعى الذى سبه وصيبا الذى خدعه وها هو يلتقى بمفيبوشث الذى أوضح الأمر أمامه مؤكداً أن صيبا خدعه إذ أخذ الحمارين وتركه وهو أعرج بلا مطية (٢ صم ١٦ : ١ــ٤) . لقد عاتبه داود عن عدم خروجه معه ، لكنه ترك له المجال للدفاع دون أخذ حكم مسبق ، وحينما أدرك أن صيبا قد وشى بسيده صفح عن مفيبوشث وحكم بتقسيم الحقول ــ ربما قصد محاصيل الحقول ــ بين مفيبوشث وصيبا . لم يحكم ضد صيبا ولا طرده من خدمته لأنه صنع معه معروفاً وقت شدته .

تأثر مفيبوشث من كلمات داود وحواره فأعلن اهتمامه بمجىء الملك لا برد نصف الممتلكات إليه . حسب رجوع الملك إلى أورشليم لا يقارن بأية مكاسب أخرى .

كان داود رمزاً للسيد المسيح الذى جاء الى عالمنا خلال مزود بقر بلا أبواب ومتاريس ، مفتوح للجميع لكى ندخل ونحاوره ، وإذ نسمع صوته نحسب مجيئه

إلى أورشليمنا الداخلية أفضل من كل بركة أو مكسب نناله ! حلوله فينا أعظم من أن يقارن بأية بركة مهما كانت قيمتها ! مسيحنا يسكن فى قلوبنا فيشبع كل احتياجاتنا .

### ٥ـ برزلاى يلتقى بداود

كان برزلاى الجلعادى قد شاخ جداً ، ابن ثمانين سنة ، نزل من روجليم وعبر الأردن مع الملك ليشيعه عند الأردن . طلب منه الملك أن يأتى معه إلى أورشليم ليكرمه مقابل اهتمامه بالملك عندما هرب وجاء إلى محنايم حيث قدم مع شوبى وماكير فرشاً وطسوساً وآنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحمصاً مشوياً وعسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر (٢ صم ١٧ : ٢٧ـ٢٩) .

اعتذر برزلاى لشيخوخته أنه لم يعد يميز بين طعام وطعام ، ولا يسمع لصوت المغنين والمغنيات وإنما يستعد للرحيل ليدفن فى قبر والديه . اكتفى بأن يرسل ابنه كمهام مع الملك ليفعل معه الملك ما أراد بالنسبة لأبيه برزلاى ، وقد أوصى داود به سليمان (١ مل ٢ : ٧) . يبدو أنه جعله حاكماً فى بيت لحم (إر ٤١ : ١٧) ، ويظن البعض أن السيد المسيح ولد فى منزله .

خلال اللقاءات المذكورة فى هذا الأصحاح نرى فى داود رمزاً للسيد المسيح الذى التقى بالفئات التالية :

**أولاً :** بالكنيسة ككل مرموز لها بسبط يهوذا لتنعم بالاتحاد معه كجسده الواحد ، فى نفس الوقت اهتم بعماسا علامة اهتمامه بكل عضو .

**ثانيـــاً :** بالنفوس الساقطة التائبة كشمعى الذى سبق فسب داود .

**ثالثـــاً :** بالنفوس التى كذبت وخدعت وها هى قادمة بالتوبة مثل صيبا .

**رابعـــاً :** بالنفوس المحطمة والمظلومة مثل مفيبوشث .

**خامساً :** بالنفوس التقية المنشغلة بخروجها من العالم مثل برزلاى الجلعادى .

**سادساً :** النفوس الحديثة الايمان مثل كمهام بن برزلاى ، ليهبها سلطانها ويحل فى داخلها .

### ٦ـ ثورة الأسباط على يهوذا

أرسل الملك إلى سبط يهوذا الكاهنين صادوق وأبياثار ليسرعوا بمقابلة الملك ،

وكان يهدف من ذلك استمالتهم بعدما حرضهم أبشالوم ضده . جاءوا إلى الجلجال ، وجاء بنياميون مع شمعى ، وأيضاً جاء بعض ممن يسكنون شرقى الأردن من أسباط رأوبين وجاد ومنسى ، أما بقية الأسباط البعيدة فى الغرب فجاءت متأخرة ، وحسبت ذهاب يهوذا قبلهم دون انتظارهم إهانة واستخفافاً بهم . أجابهم سبط يهوذا إنهم لم يفعلوا هذا لمصلحة خاصة بالسبط وإنما لمجرد قربهم منه من جهة الموقع ، إذ قالوا : « هل أكلنا شيئاً من الملك ؟! أو وهبنا هبة ؟! » .

## الأصحاح العشرون

## ثورة شبع بن بكرى

كان لابد للسيف ألا يفارق مملكة داود تأديباً له على قتل أوريا الحثى ، لهذا بلا سبب حقيقى ثار شعب بن بكرى البنيامينى ضده وأثار إسرائيل بسرعة فائقة ليبقى رجال يهوذا وحدهم مع داود . أعلن الله يده القوية إذ تحقق الانتصار لداود بطريقة غير متوقعة ودون سفك دم ، سوى قطع رأس ،شبع نفسه . هكذا سمح الله لداود بالتجربة للتأديب وهو الذى أوجد المنفذ أيضا .

| | |
|---|---|
| **١ـ ثورة شبع بن بكرى** | ١ ـ٣ . |
| **٢ـ غدر يوآب بعماسا** | ٤ . |
| **٣ـ قتل شبع بن بكرى** | ٥ ـ ٢٢ . |
| **٤ـ تنظيم المملكة** | ٢٣ـ٢٦ . |

+ + +

### ١ـ ثورة شبع بن بكرى

« شبع » كلمة عبرية تعنى « سبعة » أو « قسم oath »[١٢١] . كان شبع بنيامينياً حسب المولد (٢ صم ٢٠ : ١) ، مسكنه فى جبل افرايم (٢ صم ٢٠ : ٢١) ؛ وهو وشمعى من سبط شاول . ربما كان لشبع دور ظاهر أو خفى فى فتنة أبشالوم ضد داود أبيه .

نزل البنياميينيون إلى الأردن ليعبّروا داود الأردن ، لكنهم غضبوا من كلام يهوذا (٢ صم ١٩ : ٤١ ــ ٤٣) ، ولسبب تافه ضرب شمعى بالبوق ليعود رجال إسرائيل (١٠ أسباط) إلى بلادهم فى تمرد ضد داود ، لكنهم عوض الرجوع إلى بلادهم عادوا فتجمعوا لإثارة حرب جديدة بقيادة شبع (١ مل ١٢ : ١٦) .

واضح أن ما يحدث ليس بالأمر الطبيعى ، فالشعب يتقلب بسرعة عجيبة ، كانوا قبلاً مع داود ، ثم تبعوا أبشالوم ثم رجعوا إلى داود ، وها هم يتركونه ليتبعوا شبع . غالباً ما كان السواد الأعظم لا يدرى السبب للالتفاف حول شخص ما ثم مفارقته ... هناك يد خفية تحرك هذا كله هو « السماح الإلهى » لأجل تأديب داود .

لم يسترح داود من فتنة ابنه أبشالوم حتى قام شبع بذات الدور ليجمع عشرة أسباط حوله ، وكأن الله لم يرد لداود أن يستريح من الضيق حتى تبقى الخطية التى سقط فيها مرة فى فمه .

عاد داود مع رجال يهوذا إلى أورشليم ، وأخذ السرارى العشر وتركهن تحت الحجز لأنه لم يكن لائقاً أن يرجعن إليه بعدما دخل عليهن أبشالوم (٢ صم ١٦ : ٢٢) .

**٢ ــ غدر يوآب بعماسا**

طلب داود الملك من عماسا [ ابن يثرا وأبيجايل أخت داود ، وابن عم يوآب ] أن يجمع له رجال يهوذا فى ثلاثة أيام ، وهى مدة غير كافية ، لكن الأمر كان خطيراً لا يحتمل أى تأخير ، إذ يريد أن يضرب شبع بن بكرى بسرعة حتى لا تضيع المملكة كلها .

تجاهل داود الملك يوآب وأقام عماسا رئيسا للجيش لأسباب كثيرة :

( أ ) اعتاد داود أن يفى بوعده مهما كانت الظروف ، وقد سبق فأرسل له لكى يرجع إليه فيقيمه رئيساً للجيش (٢ صم ١٩ : ١٣) .

(ب) إن كان شبع قد جمع الأسباط كلها عدا يهوذا ، فإن تعيين عماسا رئيس جيش أبشالوم يعنى فى أذهان الشعب أن داود غير منحاز لتنبطه ، وأنه لازال يفتح يديه للجميع لكى يعمل معهم وبهم .

(جـ) الخلافات القديمة بين داود ويوآب التى سبق لنا الحديث عنها (راجع ٢ صم ١٩) .

تأخر عماسا عن الميعاد المحدد فطلب داود من أبيشاى أخى يوآب أن يلحق بشبع ، فخرج أبيشاى ومعه أخوه يوآب ورجاله .

التقى يوآب بعماسا فى عودته ومعه رجال يهوذا وبنيامين عند الصخرة العظيمة التى فى جبعون . أمسك يوآب بلحية عماسا بيده اليمنى كمن يقبله — وعن عمد — أغمد سيفه الذى أمسكه بيده اليسرى ليقتل به عماسا ، وتركه يتمرغ بدمه فى وسط الطريق .

نادى يوآب وسط الشعب : « من سرّ بيوآب ومن هو لداود فوراء يوآب » ٢ صم ٢٠ : ١١ . كأنه أراد أن يؤكد لهم أن قتل عماسا بسبب خيانته لداود ، وأنه هو رجل داود الأول والأمين له ؛ بهذا اجتذب حتى رجال عماسا وراءه هو وأبيشاى لإدراك شبع ، تاركين عماسا بدمه بعد نقله من الطريق العام إلى حقل وطرح ثوب عليه حتى لا يقف أحد بجواره .

تبقى شخصية يوآب غريبة ومحيرة ، فمن جانب كان صادقاً فى أمانته لداود فمع اختلافه فى التفكير معه لكنه لم يخنه قط ولا توانى فى بذل كل طاقته لتثبيت مملكته ، رافقه كل الطريق ... لكنه كان متسرعاً يريد تحقيق سلام داود بتصرفات يراها داود الملك متهورة مثل قتله أبنير وعماسا... ولعل وراء ذلك دافعاً خفيا هو الغيرة منهما كقائدى جيش قويين ، فأراد الخلاص منهما كمنافسين خطيرين على مركزه . أيضا قتل أبشالوم متجاهلاً أوامر الملك مادام فى قتله سلام للملك والمملكة . لا يهتم بالوسيلة مادامت تحقق الهدف فقتل أبنير وعماسا غدراً !

### ٣ـــ قتل شبع

عبر الشعب تحت قيادة يوآب وأخيه أبيشاى نحو الشمال حتى بلغ مدينة « آبل بيت معكة » [ تعنى « مرج بيت الظلم »[١٣٢] أو « مرج بجوار بيت معكة »[١٣٣] ] . مدينة حصينة فى سبط نفتالى ، عرفت بحكمة أهلها وتمسكهم بالعادات اليهودية . ربما مكانها اليوم تل آبل (أو تل القمح) ، قرية غرب الأردن على رابية تشرف على الوادى ، تبعد ١٢ ميلاً شمال بحيرة الحولة مقابل دان . يحيط

بها سهل خصيب مياهه وفيرة دعى « آبل مايم » أو « مرج المياه » ٢ أى ١٦ : ٤ . أقام يوآب ورجاله مترسة [ حائطاً أو ساتر تراب يحميهم ] حول المدينة وحاصروها . وكان الشعب ينقب مع يوآب ليهدم سور المدينة .

أدرك أهل المدينة بالخطر يحدق بهم ، وكانوا معروفين بالحكمة . نادت امرأة حكيمة : « اسمعوا . اسمعوا . قولوا ليوآب تقدم إلى ههنا فأكلمك » ٢ صم ٢٠ : ١٦ . تحدثت معه قائلة : « كانوا يتكلمون أولا قائلين : سؤالاً يسألون فى آبل وهكذا كانوا انتهوا » ٢ صم ٢٠ : ١٨ . هذا مثل مشهور عن آبل معناه أنها مدينة مشهورة بالحكمة ، يلجأ إليها كثيرون يسألونها المشورة المصيبة المقنعة ، فينالون إجابة قاطعة . كأنها تقول له : لماذا لم تأتِ إلينا بالتفاوض والتفاهم ونحن أناس مسالمون وحكماء ؟ قالت له : « لماذا تبلع نصيب الرب ؟ » بمعنى إنك تهاجم مدينة هى هبة قدمها الله لأهلها ، وها أنت تخربها [ بحسب الشريعة كان يلزمه أن يقدم السلام ويدخل فى حوار قبل أن يهاجم ( تث ١٠ : ١٠ ) ] . أجابها يوآب : « حاشاى . حاشاى أن أبلع وأن أهلك ؛ الأمر ليس كذلك ، لأن رجلاً من جبل أفرايم اسمه شبع بن بكرى رفع يده على الملك داود ؛ سلموه وحده فأنصرف عن المدينة » ٢ صم ١٠ : ٢١ . استطاعت بحكمتها أن تقنع أهل المدينة ، فقُطعت رأس شبع وألقتها إلى يوآب الذى ضرب بالبوق لينصرف الجيش عن محاصرة المدينة .

« شبع » يرمز للكبرياء حيث يظن الإنسان أنه فى حالة استغناء ، وهو المرض الذى أصاب أسقف كنيسة لاودكية فوبخه الرب قائلاً : « لأنك تقول إنى أنا غنى وقد استغنيت ، ولا حاجة لى إلى شيء ، ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان » رؤ ٣ : ١٧ . الشعور بالشبع الذاتى وعدم الحاجة إلى الله يحطم كل إمكانياته ليصير هكذا شقياً وبائساً الخ ... هذا ما فعله شبع إذ جمع الأسباط حوله ليثيرها ضد داود ويقيم مملكة مقاومة له . لكن وجدت المرأة الحكيمة التى قطعت رأسه لتلقيها خارج الأسوار فيرجع للمملكة سلامها .

إن كانت حياتك الداخلية هى مملكة الله ( لو ١٧ : ٢١ ) ، فإن الكبرياء كفيلة أن تحطم كل طاقاتك من أحاسيس وعواطف ومواهب وقدرات لتعمل كلها

خلالها ضد ابن داود ، فتقيم مملكة مضادة ومقاومة . نحتاج إلى الحكمة ، حكمة الصليب ، القادرة أن تضرب الكبرياء وتقطع رأسها لتلقى بها خارجاً عنا ، فيعود سلامنا إلينا حيث يرجع ابن داود ويملك فينا .

+ + +

## الأصحاح الحادى والعشرون

### مجاعة بسبب الجبعونيين

أخطأ شاول بمقاتلته الجبعونيين الذين سبق فحلف لهم يشوع بن نون ألا يقتلهم ، وقد جنى الشعب الثمرة فى أيام داود الملك إذ حدث جوع لمدة ثلاث سنوات ، فلما سأل داود الرب كشف له عن السبب ، ولم يكن هناك حل لذلك سوى تسليم سبعة رجال من بنى شاول للجبعونيين ، قاموا بصلبهم .

**١ـــ تأديب بسبب الجبعونين** ١ ـــ٢ .

**٢ـــ داود يسترضى الجبعونيين** ٣ ـــ٨ .

**٣ـــ صلب أبناء شاول** ٩ ـــ١٤ .

**٤ـــ حرب مع الفلسطينيين** ١٥ : ٢٢ .

+ + +

### ١ـــ تأديب بسبب الجبعونيين :

حدثت مجاعة بسبب انقطاع المطر لمدة ثلاث سنوات ، فطلب داود وجه الرب . كانت الإجابة : « هو لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين » ٢ صم ٢١ : ١ . قتلهم عن غيرة وبجهالة لكى يستولى سبطه على مالهم دون مراعاة لقسم يشوع لهم ( يش ٩ ) .

هذه المجاعة غالباً ما حدثت بعد أحداث الأصحاح التاسع ، قبل فتنة أبشالوم ( ٢ صم ١٥ ) . ربما لهذا السبب عيّر شمعى داود قائلاً له : « يا رجل الدماء » ٢ صم ١٦ : ٧ ، مشيراً إلى الرجال السبعة من بنى شاول الذين سلمهم داود للجبعونيين ليصلبوهم .

لم يذكر الكتاب المقدس من قبل عن قتل الجبعونيين فى أيام شاول ، لأن الكتاب لم يهدف إلى تسجيل تاريخ مفصل للملوك وإنما تقديم ما يمس تعليمنا وخلاصنا .

حقاً لقد أدرك داود النبى والملك أن وراء المجاعة سرًّا ، لهذا سأل الرب عن سببها ، لكنه تأخر فى السؤال . لو أنه سأل فى بداية المجاعة ، فى السنة الأولى أو الثانية لعرف السبب وانتهت المجاعة سريعاً . للأسف لا نلجأ سريعاً للرب بل ننتظر حتى تفرغ كل حيلنا وحكمتنا وتبيد كل قواتنا ولا نجد حلاً ، حينئذ فقط نلجأ إلى الله أبينا المهتم بنا . ما أقسى قلوبنا ، فإننا ننسى الله فى أفراحنا بل وحتى فى ضيقاتنا حتى تخور قوتنا .

إن كان الله قد أعد شعباً له فى العهد القديم ليكون خميرة للإيمان وليهيىء العالم لقبول المسيَّا المخلص ، فإنه بين الحين والآخر يؤكد بطرق متنوعة انفتاح باب الإيمان أمام الأمم ، وأنه ليست عند الله محاباة . لقد أخطأ شاول ملك إسرائيل فى حق الجبعونيين الأمميين ومات شاول ، ونسى الناس تصرفه هذا ، لكن الله لم ينس . أدّب الشعب كله بالجوع مع أنه شعب الله ، يعيش فى أرض الموعد التى تفيض عسلاً ولبناً وتحت حكم ملك تقى « داود النبى » وفى قمة مجده يسمح الله بالتأديب حتى يدرك الكل أن ما حدث لم يكن صدفة أو لعوامل طبيعية مجردة إنما وراءه يد الله الخفية لبنيان شعبه .

يرمز شاول إلى اليهود المتكبرين جاحدى الإيمان ، ويرمز الجبعونيون — الذين من الأمم — إلى جماعة الأمم التى دخلت فى ميثاق مع يشوع الحقيقى ، ربنا يسوع . لقد عانت كنيسة الأمم الكثير من اليهود رافضى الإيمان ، وقد سمح الله بهذا لكنه فى الوقت المناسب يحرك حتى الطبيعة ( الأمطار ) لمساندة قطيعه الصغير بينما يخسر الجاحدون حياتهم .

**٢ـــ داود يسترضى الجبعونيين :**

شعر داود بالحاجة إلى استرضاء الجبعونيين الأمميين حتى يستجيب الرب له فقال : « ماذا أفعل لكم ؟ وبماذا أكفر فتباركوا نصيب الرب ؟ » ٢ صم ٢١ : ٣ ... يطلب داود النبى منهم أن يباركوا شعب الرب !!!

لقد عانى الجبعونيون من شاول ورجاله الكثير ، إذ قتلوا منهم وطردوا البقية من موضعهم حانثين العهد المقام بين الشعبين فى أيام يشوع . وقد جاءت طلبة الجبعونيين تكشف عن جوانب طيبة فى حياتهم ، ربما بسببها تدخل الله للدفاع عنهم ، منها :

( أ ) لم يستغلوا الموقف لمصلحة مادية ، إذ كان الملك مستعدا أن يقدم لهم كل طلبتهم ، أما هم فقالوا : « ليست لنا فضة ولا ذهب عند شاول ولا عند بيته » ٢ صم ٢١ : ٤ . لقد استعبدهم هذا الشعب واستعبد آباءهم ومع ذلك لم يطلبوا تعويضاً مادياً .

(ب) أنهم محبون للسلام ، لا يطلبون سفك دم برىء ، إذ قالوا : « وليس لنا أن نميت أحداً فى إسرائيل » ٢ صم ٢١ : ٤ .

(جـ) يطلبون تأديب بيت شاول فقط : « الرجل الذى أفنانا والذى تآمر علينا ليبيدنا لكى لا نقيم فى كل تخوم إسرائيل ، فلنُعطَ سبعة رجال من بنيه فنصلبهم للرب فى جبعة شاول مختار الرب » ٢ صم ٢١ : ٥ ، ٦ .

لقد طلب داود منهم أن «يكفر» ٢ صم ٢١ : ٣، جاءت الكلمة لتعنى تعويضاً عما أصابهم من ضرر ، أى يقدم تغطية تقابل إصابتهم ، أما هم فلم يطلبوا مالاً للتغطية ولا انتقاماً لأنفسهم وإنما تحقيق عدالة الله . القاتل هو شاول وبيته ، فمن بيته يُقدم سبعة رجال ليعلقوا على الخشبة لعنة ( تث ٢١ : ٢٣ ، غلا ٣ : ١٣ ) ، فيرفع الله غضبه .

ويلاحظ فى هذه الطلبة أنهم لم يريدوا وضع داود الملك فى حرج :

( أ ) لم يحددوا الرجال ... فأعطوا الفرصة لداود ألا يسلم مفيبوشث بن يوناثان من أجل أبيه والقسم الذى حلف به ، حتى لا يصبر داود نفسه حانثا للقسم مع يوناثان وكاسراً للصداقة العجيبة التى قامت بينهما .

(ب) أنهم يعفون داود من قيامه بالصلب حتى لا يتحرج لأنهم من شعبه وهم أمميون .

(جـ) أن يتم الصلب فى جبعة شاول ، فى مدينة مختار الرب ، لكى يدرك

الشعب أن ما حدث ليس عن نقمة ضد الشعب كله بل ضد شاول ، وأنه مختار الرب لذا جاءت العقوبة شديدة !

### ٣ــ صلب أبناء شاول

سلم داود الملك سبعة رجال من بنى شاول للجبعونيين لصلبهم لا كذبائح بل لتحقيق العدالة . هؤلاء السبعة هم أرمونى ومفيبوشث لشاول من إحدى سراريه تدعى رصفة ، هذه التى بسببها ثار مفيبوشث الملك على أبنير لأنه دخل عليها وهى سرية أبيه فى محاولة لاغتصاب الكرسى ( ٢ صم ٣ : ٧ــ١١ ) ، وخمسة رجال أبناء ميكال التى لم تنجب ولداً من داود ( ٢ صم ١٦ : ٢٣ ) بل من عدريئيل بن برزلاى المحوّلى ؛ وبحسب الترجوم هؤلاء الأولاد هم لأختها الميتة ميراب وقد تبنتهم هى .

جاءت رصفة سرية شاول إلى ذلك الموضع وجلست على المسوح على الصخر ، غالباً ما نصبت خيمة مع خدمها هناك ، وكانت تحرس الأجساد المصلوبة حتى لا تدع طيور السماء تنزل عليها ولا حيوانات الحقل تقترب إليها . بقيت هكذا من بدء حصاد الشعير أى شهر إبريل/مايو لتقضى الصيف كله ويحل موعد المطر فى الخريف[١٢٤] ، لترى ابنيها والخمسة رجال الآخرين يحل بهم الفساد على الخشبة يوماً بعد يوم . كانت تترجى أن يكون ابناها سبب تعزيتها فى شيخوختها ، لكن بسبب الخطية صارا هكذا سبب مرارة وتعب .

تأثر داود الملك جداً بما فعلته هذه الأم العجوز ، ولكى يظهر أنه لا يحمل حقداً أو كراهية ضد بيت شاول أخذ عظام شاول ويوناثان التى دفنت خفية تحت شجرة ( ١ صم ٣١ : ١٢ ، ١٣ ) فى يابيش جلعاد حتى لا يُنكل بها الأعداء ، وقام بدفنها فى قبر قيس فى أرض بنيامين فى صيلع [ معناها « ضلع »[١٢٥] ] ، يبدو أنها حالياً خربة صلاح شمال غربى أورشليم .

### ٤ــ حرب مع الفلسطينيين

انحدر داود من جبال يهوذا إلى سهل الفلسطينيين ، حيث دارت الحرب وكاد أن يُقتل داود إذ كان قد أعيا ــ ولم يترك المعركة ــ لو لم ينقذه أبيشاى ، حينئذ

حلف رجال داود ألا يخرج معهم بعد إلى الحرب ، فإنه إن قُتل يطفىء سراج الشعب كله .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى رجال داود الوفاء والحب لملكهم داود فأصروا على الحفاظ على حياته بعدم خروجه بعد إلى الحرب ، ويود ( القديس يوحنا ) من شعبه أن يتسموا بذات الحب بالحفاظ على حياته الروحية بالمثابرة على الصلاة من أجله ، إذ يقول : [ انظروا كيف كانوا مهتمين باستبقاء حياة الشيخ . إنى محتاج جداً إلى صلواتكم . أقول ليته لا يحرمنى أحد من هذا التعهد ( بالصلاة عنى ) ومساندتى[١٢٦] ] وذلك بسبب اتضاعه الشديد .

ليتنا نحفظ رعاتنا بالصلاة من أجلهم فإنهم إن سقطوا تهلك الرعية معهم .

تكررت الحرب أيضا فى جوب حيث قتل ألحانان جليات الجتى ، وهو أخو جليات الذى قتله داود ( ١ أى ٢٠ : ٥ ) .

+ + +

## الأصحاح الثانى والعشرون
## نشيد النصرة

كنا نتوقع عرض النشيد المطابق تقريباً للمزمور الثامن عشر فى نهاية الحديث عن نصرات داود النبى والملك وقبل الحديث عن سقوطه فى الخطية وعواقبها المريرة ، إذ يذكر فيه بره وطهارة يده وحفظه طريق الرب وكماله لدى الرب ، أى ما بين الأصحاح العاشر والحادى عشر . وكنا نتوقع أن يُقدم لنا هنا المزمور الحادى والخمسون (٥٠) الخاص بالتوبة والاعتراف ... لكن الوحى الإلهى أراد أن يؤكد أن حياة التسبيح والشعور بالنصرة كانت ممتدة حتى النفس الأخير بالنسبة لداود . لقد سقط لكنه بالتوبة والاعتراف مع التسليم بقى ينشد مزمور النصرة .

فى تفسير **القديس أغسطينوس** للمزمور ١٨ الذى هو بعينه نشيد النصرة هنا يقول إن هذا المزمور يخص السيد المسيح نفسه الذى يتحدث باسمه واسم الكنيسة بكونه رأسها وهى جسده ، ما يتمتع به من نصرة إنما لحسابها .

نستطيع الآن أن نقول إنه نشيد الكنيسة المنتصرة بالمسيح قائد موكبها الغالب حيث ترى فى الله سرّ خلاصها ونورها وقوتها ... به تجتذب الأمم إلى الإيمان ليختبروا بهجة الخلاص فيها .

**١ ـــ مناسبة النشيد** ١ .

**٢ ـــ الرب صخرتى** ٢ ـــ٤ .

**٣ ـــ أمواج الموت اكتنفتنى** ٥ ـــ٧ .

**٤ ـــ طأطأ السموات ونزل** ٨ ـــ١٦ .

**٥ ـــ تحقيق الخلاص** ١٧ـــ٢١ .

**٦ ـــ السوك بالكمال** ٢٢ـــ٢٥ .

**٧ ـــ كما نفعل يُفعل بنا** ٢٦ـــ٢٨ .

**٨ ـــ الله سراج النفس** ٢٩ .

**٩ ـــ الله قوة النفس وغلبتها** ٣٠ـــ٤٣ .

**١٠ـــ دعوة الأمم للخلاص** ٤٤ـــ٥٦ .

+ + +

**١ـــ مناسبة النشيد**

مع كل نصرة يشعر داود النبى بمراحم الله كأنها جديدة كل صباح ( مرا ٣ : ٢٣ ) ، يدرك قوة الله العجيبة العاملة فى ضعفه ، تهبه الحياة المقدسة ، والنصرة على البشر ، وتفتح قلبه للغير بالحب ... لهذا يشعر أنه مدين بتقديم ذبيحة الشكر والتسبيح ، كعمل طبيعى ناتج عن نفس متهللة فى الداخل وجسد يهتز بكل أحاسيسه كأنه قيثارة الروح .

يبدو أن داود النبى كان يكرر هذا النشيد مع غيره من أناشيد أو مزامير النصرة فى كل غلبة ، إذ قيل : « **وكلم داود الرب بكلام هذا النشيد فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدى كل أعدائه ومن يد شاول فقال ...** » ٢ صم ٢٢ : ١ ، ٢ .

## ٢ــ الرب صخرتى

**« الرب صخرتى وحصنى ومنقذى**
**إله صخرتى به أحتمى**
**ترسى وقرن خلاصى .**
**ملجإى ومناصى ، مخلصى من الظلم تخلصنى**
**أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى »** ٢ صم ٢٢ : ٢ــ٤ .

إن كانت الحية القديمة ــ إبليس ــ هى العدو الحقيقى الذى يود أن يفترسنا ، فإن الحية لا تقدر أن تتسلق الصخرة الملساء ، لهذا يقدم السيد المسيح ربنا نفسه صخرة به نرتفع فلا تقدر الحية أن تقترب إلينا . لهذا فهو « الصخرة » ١ كو ١٠ : ٤ ، فيه نتحصن وبه نخلص من العدو .

إن كان شاول ــ كبقية الأعداء ــ قد بذل كل الجهد لقتل داود ، فبالرغم من إمكانياته العسكرية وقدراته لم يستطع أن يلحق بداود أذى بل تحولت مقاومته إلى مجد وبنيان له ... فالفضل فى هذا يرجع إلى الله الصخرة والحصن والمنقذ لنفس داود .

+ لقد حاصرنى الأعداء ، فأنت إذن حصنى .

**القديس جيروم**[١٢٧]

+ « ( أنت ) المدافع عنى وقرن خلاصى »

أنت المدافع عنى ، فإنى لا أعتمد على ذاتى متعالياً بقرن الكبرياء ضدك ، وإنما أجدك قرناً حقاً ، حيث علو الخلاص الأكيد ، ولكى أبلغ هذا أنت تخلصنى .

**القديس أغسطينوس**[١٢٨]

+ أيها القائد الإلهى قونى .
+ أنت تحتضن وجودى برعايتك إياى رعاية كاملة دفعة واحدة ، وتحتضننى على الدوام ، كأنك لا تتطلع إلى آخر سواى !

تسهر علىّ ، وكأنك قد نسيت الخليقة كلها .
تهبنى عطاياك ، وكأنى وحدى موضوع حبك .

**القديس أغسطينوس**

### ٣ــ أمواج الموت اكتنفتنى

الله ــ فى محبته لداود ــ لم ينزع عنه مقاومة الأعداء له ، وإنما على العكس يسمح له فتحل به الضيقات حتى يكاد الموت يحاصره ، فيتجلى الله واهب الحياة والقيامة فيه ، لهذا يصرخ قائلاً :

**« لأن أمواج الموت اكتنفتنى ،**
**سيول الهلاك أفزعتنى**
**جبال الهاوية أحاطت بى**
**شرك الموت أصابتنى .**
**فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه » ٢ صم ٢٢ : ٥ــ٧ .**

يتصاغر داود جداً أمام ما حلَّ به من ضيقات مرة كادت تقتله ، فحسب نفسه كمن حاصرته الأمواج وحطمت طاقته ، وكمن جرفته السيول لتنحدر به إلى هاوية بلا نهاية ، وأحاطت به جبال شامخة أغلقت حوله طرق الخلاص ، وصار كفريسة فى شباك الموت ... لكنه لم يكن بلا معين ، إذ سمع له الله الساكن فى هيكل قدسه وأمال بأذنيه إلى صراخه كصديق شخصى !

إذ يتطلع **القديس أغسطينوس** إلى الحرب الداخلية بين النفس وعدو الخير ــ إبليس ــ فإنه يرى الموت هنا ليس انفصال النفس عن الجسد وإنما موت النفس ذاتها . لذا تصرخ النفس إلى الله بكلمات وصرخات داخلية ليسمعها الله نفسه لا البشر ، تبلغ إليه من أعماق النفس كقدس وهيكل لله .

+ يسمع صوتى الخارج من قلبى حيث يسكن هو !
+ صراخى الذى أنطق به لا فى آذان الناس ، وإنما هو صراخ داخلى أقدمه أمامه هو فيدخل إلى أذنيه .

**القديس أغسطينوس**[١٢٩]

## ٤ـ طأطأ السموات ونزل

مقاومة شاول وغيره من الأعداء لداود كانت مجالاً رائعاً خلاله تلّمس داود حب الله الفائق ، بل وتعرَّف على الله أكثر فأكثر . خلال الضيق يتجلى الله بحبه فى حياة الإنسان ليجده الأب المحب والمخلص .

خلال مقاومة الأعداء شاهد داود بروح النبوة ما حل بالإنسان من هلاك بحسد إبليس وكيف نزل الله الكلمة ذاته من السماء ليعلن حبه النارى نحو البشر ، الأمر الذى أدهش المسكونة كلها : السماء والأرض . يقول : « **فارتجت الأرض وارتعشت . أسس السموات ارتعدت وارتجت لأنه غضب** » . ٢ صم ٢٢ : ٨ . لقد غضب لما فعلته الخطية بحياة الإنسان وبطبيعته وذلك بحسد إبليس ، فارتجت الأرض وارتعدت السموات أمام هذا الحب الفائق ، إذ « **طأطأ السموات ونزل** » ٢ صم ٢٢ : ١٠ . يقول الرسول بولس : « عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد » ١ تى ٣ : ١٦ . إنه سر فائق للعقل لم تستطع الخليقة إدراك كنهه : « ضباب تحت رجليه » . الضباب يعنى الغموض والعجز عن الإدراك .

محبته نار آكلة ، يرى داود ناراً تخرج من فمه لتأكل ودخاناً يصعد من أنفه ( ٢ صم ٢٢ : ٩ ) ورآه يوحنا اللاهوتى « عيناه كلهيب نار » رؤ ١ : ١٤ ... إنه الحب الفائق الذى يحرق عدو الخير ويحطمه ، ويلهب القلب بالنار الإلهية فلا تقدر مياه العالم أن تطفئها ( نش ٨ : ٧ ) لذا يقول : « أكون لها سور نار من حولها » زك ٢ : ٥ .

إنه شمس البر ( مل ٤ : ٢ ) يرسل شعاع روحه القدوس النارى علينا فيشعل فينا جمر نار كما حدث فى يوم العنصرة ( أع ٢ : ٣ ) .

كلماته على الصليب كالرعد والبرق أزعجت قوى إبليس ( كو ٢ : ١٤ ) ، وكالسهام قتلته ، وهى بعينها لنا مصدر حياة وعلة تسبيح لا ينقطع .

يقدم لنا **القديس أغسطينوس**[١٣٠] تفسيراً رمزياً للنص الذى بين أيدينا فيرى

الأرض التى ارتجت وارتعشت تمثل الخطاة الذين صاروا أرضاً فإنه إذ تمجد ابن الإنسان على الصليب يرتجون ويرتعدون .

نقول إن صليب ربنا يسوع المسيح — واهب النصرة — يهز كل كيان جسدنا بكل أحاسيسه ومشاعره لا ليحطمه بل ليقدسه كما يمس نفوسنا الداخلية مجدداً طبيعتها . هذا ما عناه المرتل داود بالأرض ( الجسد ) والسماء ( النفس ) .

ما هو الدخان الذى يصعد من أنفه والنار التى من فمه ؟ يقول **القديس أغسطينوس** إنها نار المحبة ونور البر اللذان كان الخطاة محرومين منهما إذ عاشوا زمانا فى برود وظلام ، فجاء المخلص يلهب قلوبهم بحب الصالحات ويهبهم استنارة داخلية بعد أن وهبهم الحياة الجديدة .

+ « طأطأ السموات ونزل » ... اتضع البار ونزل إلى ضعف البشر .

« وضباب تحت رجليه » ... الأشرار الذين يتلذذون بالأمور الزمنية — فى ظلمة طمعهم — لا يعرفونه ، فإنهم كالأرض تحت قدميه موطىء لقدميه .

- « ركب على كاروب وطار ورُئى على أجنحة الريح » ... تمجد فوق كمال المعرفة ( كاروب ) ، لا يصل إليه أحد إلا بالحب ، لأن « المحبة هى تكميل الناموس » رو ١٣ : ١٠ ...

بهذه السرعة يظهر أنه غير مدرَك ، فوق قوة النفوس وقدرتها ، ولكنها ( أى النفوس ) بأجنحة ( الروح ) ترتفع من المخاوف الأرضية إلى هواء الحرية ...

« أرسل سهاماً فشتتهم ، برقاً فأزعجهم » ... أرسل الإنجيليين الذين له يعبرون بأجنحة القوة ، قوة من أرسلهم وليس قوتهم الذاتية ... ليصيروا « رائحة حياة لحياة ورائحة موت لموت » ٢ كو ٢ : ١٦ . صنع بهم عجائب ( بروق ) فأزعجهم .

**القديس أغسطينوس**[١٣١]

باختصار ، نشيد النصرة يدور فى جوهره حول عمل الله الخلاصى : كلمة الله يطأطىء السماء بتجسده لينزل إلينا ، مشرقاً كشمس البر على الجالسين فى الظلمة . أمامه يرتعد كل ما هو زمنى فينا لتقديس سمواتنا الداخلية ( النفس ) وأرضنا ( الجسد ) ، مبدداً ظلمة الجهل التى حلت فينا . ركب على السحاب كما على كاروب وصعد ليحملنا إليه ويجلسنا معه فى السمويات . أرسل تلاميذه ورسله كسهام ، تنفذ كرازتهم الإنجيلية إلى القلوب ، وتبرق فيها بنور المعرفة فيهتز كل شر فيها وتقوم مملكة الرب داخلها .

## ٥ـ تحقيق الخلاص

يعلن داود النبى فى نشيد النصرة غاية نزول الرب من السماء أو تجسده ، ألا وهى خلاص الإنسان من الضيق والارتفاع به إلى رحب السماء ، إلى حضن الآب :

« **أرسل من العُلى فأخذنى ، نشلنى من مياه كثيرة . أنقذنى من عدوى القوى ... أخرجنى إلى الرحب** » ٢ صم ٢٢ : ١٧ــ٢٠ .

يرى **القديس أغسطينوس** أن كنيسة الأمم تتحدث هنا عن عمل الله معها ، فقد دعاها العلى ، المخلص السماوى ، دعاها من بين مياه كثيرة إذ جمعها من بين الأمم والشعوب المتنوعة لتصير كنيسته المجيدة التى بلا عيب ولا دنس ( أف ٥ : ٢٧ ) . خلصها من عدوها القوى إذ كانت ضعيفة قبل الإيمان وقد أسرها العدو القوى خاصة برباطات محبة العالم . الآن أخرجها المخلص إلى الرحب ، أخرجها من ضيق الحياة الجسدانية إلى اتساع الإيمان الروحى ، انطلقت إلى حرية الروح .

إن كان موسى قد انتُشل من مياه النيل حين وضعته أمه فى سفط ضيق مطلى بالحمرة والقار ، لتحمله ابنة فرعون إلى قصرها الرحب ، فإن كنيسة العهد الجديد قد انتُشلت من مياه كثيرة ، من وسط الأمم لتتخلص من الضيق الداخلى وتنعم بالحياة السماوية المتسعة بعمل الروح القدس الذى حل فيها خلال المعمودية .

### ٦ــ السلوك بالكمال

لا نَعجب أن نرى داود الذى عُرف باتضاعه الشديد حتى أمام شاول مطارده ، فيدعو نفسه برغوثا واحدا وكلبا ميتا ( ١ صم ٢٤ : ٤١ ) ، نراه هنا يتحدث كبار ، طاهر اليدين ، حافظ طريق الرب ، كامل لدى الرب ...

نزل كلمة الله القدوس إلى العالم ، حملنا فيه ، لنصير أعضاء جسده المقدس ، فنقف أمام الآب أولاداً له مبررين فى الدم الثمين ، كمن هم بلا عيب ، نحمل كمال المسيح فينا . هذا هو الخلاص ، وهذه هى رسالة الصليب أن يحملنا إلى المسيح لنختفى فيه ، فيستر علينا بدمه ونتبرر ونتقدس فيه وبه .

من هو هذا البار ، الطاهر اليدين ، الحافظ طرق الرب ، الذى لم يحد عن الأحكام الإلهية والفرائض ، الطاهر أمام الآب إلا الابن الذى بلا خطية وحده ... فداود يتحدث بروح النبوة على لسان المخلص ! الآن صار لكنيسته ــ بكونها جسده المقدس ــ أن تنطق بذات كلماته لأنها مخفية فيه .

### ٧ــ كما نفعل يُفعل بنا

إن كان الرب المخلص هو سرّ برنا وتقديسنا ، فإننا به وفيه ننال الطبيعة الجديدة المقدسة ، نصير رحماء ، وكاملين ، وأطهاراً ومتواضعين فندخل فى علاقات جديدة مع الآب ، قائلين له : « **مع الرحيم تكون رحيماً ، مع الرجل الكامل تكون كاملاً ، مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً ، وتخلص الشعب البائس وعيناك على المرتفعين فتضعهم** » ٢ صم ٢٢ : ٢٦ــ٢٨ .

كأننا نقول : بك صرنا رحماء فنرحم الآخرين وأنت ترحمنا ، وبك صرنا كاملين فتكون معنا كاملاً الخ ... أما عدو الخير فهو أعوج ومرتفع لذا يبدو الله معه ملتوياً ينزل به من كبرياء مجده إلى الهاوية .

يرى **القديس أغسطينوس** أن الله القدوس فى طبيعته يكون قدوساً مع الإنسان القديس لأنه يقدسه . بمعنى أن من يطلب الكمال يهبه الله الكامل كمالاً أما الملتوى فالله لا يؤذيه إنما تؤذيه رباطات خطاياه ( أم ٥ : ٢٢ ) .

**٨ـ الله سراج النفس**

**« لأنك أنت سراجى يارب . والرب يضيىء ظلمتى »** ٢ صم ٢٢ : ٢٩ .

كما يقول **القديس اكليمندس الاسكندرى** وأيضا **العلامة أوريجانوس** : إن الظلمة قد حلت بالنفس ، إذ صارت فى جهالة ، لذا جاء الكلمة ـ المعلم ـ مشرقاً عليها بالمعرفة الروحية المخلصة ، فتستنير أعماقها الداخلية .

+ أيها النور غير المنظور ، هب لى عينين تستطيعان معاينتك !
+ أيها النور الذى يضيىء للنفس . أيها الحق البهى ، أيها البهاء الحقيقى الاستضاءة ، يا من تضىء لكل إنسان آت إلى العالم ، أتيت إلى العالم والعالم لم يحبك .

إلهى ... بدد الظلمة الكثيفة التى تخيم فى نفسى ، حتى تراك عند إدراكها إياك ، وتعرفك عند تقبلها لك ، وتحبك عند معرفتها لك .

**القديس أغسطينوس**

**٩ـ الله قوة النفس وغلبتها**

**« لأنى بك اقتحمت جيشاً .**
**بإلهى تسورت سوراً ...**
**ترس هو لجميع المحتمين به**
**الذى يجعل رجلىّ كالأيل وعلى مرتفعاتى يقيمنى .**
**الذى يعلّم يدىّ القتال فتحنى بذراعى قوس من نحاس ...**
**تُوسع خطواتى تحتى فلا تتقلقل كعباى**
**ألحق أعدائى فاهلكهم ... »** ٢ صم ٢٤ : ٣٠ـ٣٩ .

إن كان العدو قد صار كجيش قوى يقاومنى فأنت هو قوتى ، تصير لى سور نار تحمينى وترساً لى تصد كل سهام العدو ، تشدد رجلى فأصير مسرعاً كالأيل وترفعنى كما على المرتفعات العالية فلا يلحق بى أذى . تشدد يدىّ للقتال ضد إبليس ، وتوسع خطواتى فألحق بعدوى وأفنيه بالصليب .

+ آه . أسرع واجعل من نفسى مسكناً لك ، ومن قلبى مستقراً !...

تعال ... فإنى مريض حباً . بعدى عنك موت لى ، وذكرك يحيى نفسى !...

رائحتك تعيد لى قوتى ، وذكرك يخفف آلامى ، ظهورك شبع لى ( مز ١٧ : ١ ) .

**القديس أغسطينوس**

**١٠ـــ دعوة الأمم للخلاص**

**« وتنقذنى من مخاصمات شعبى وتحفظنى رأسا للأمم .**
**شعب لم أعرفه يتعبد لى .**
**بنو الغرباء يتذللون لى .**
**من سماع الأذن يسمعون لى ...**
**لذلك أحمدك يارب فى الأمم ولاسمك أرنم »** ٢ صم ٢٢ : ٤٤ـــ٥٠ .

يختم المرتل نشيد النصرة بدعوة الأمم للتمتع بالخلاص . هذا ما أفرح قلب داود ، إن قتاله ضد إبليس لم يخلصه وحده وإنما خلص الأمم منه ليأتى إلى المسيَّا شعب لم يكن يعرفه ، إذ لم يتمتع بالناموس ولم يتحدث مع الأنبياء ولا عرف المواعيد الإلهية ... جاء هذا الشعب الذى من أصل وثنى ليتعبد للرب وقد سمع بالأذن خلال كلمة الكرازة ولم يرِ بعينيه كاليهود الذين جاء المخلص من بينهم وصنع أمامهم عجائب بلا حصر وتحدث معهم فماً لفم لكنهم خاصموه وجحدوه عوض الإيمان به .

+ + +

## الأصحاح الثالث والعشرون
## كلمات داود الأخيرة

كان يمكن لداود النبى أن يقدم لنا الكثير فى كلماته الأخيرة فى كل جوانب الحياة . عاش تحت ظروف كثيرة : اختبر الغنى وذاق الفقر ، تمتع بالمجد ولحقه الهوان ، أحبه الكثيرون وحقد عليه البعض فصار طريداً ، سلك الحياة البارة واختبر السقوط فالتوبة والتأدب . عاش كنبى وملك وقاضٍ ورجل حرب وصاحب مزامير وكزوج وأب وكراعٍ لغنيمات قليلة كما لمملكة ممتدة ... لكنه اختصر الحديث الختامى جداً ، وذيّله بأسماء أبطاله الجبابرة وأعمالهم ( ٢ صم ٢٣ : ٨ـــ٣٩ ) ، ولم يكن هذا بلا سبب . وإنما أراد الكتاب تأكيد أن من أهم سمات داود النبى هو تشغيله للطاقات التى بين يديه . هذا هو دور النبى وكل قائد روحى حقيقى ، كما هو دور الأب والأم ، حتى الشاب والطفل ، يلزم أن يتدرب الكل على عدم التمركز بل على تشغيل الغير فى غير انعزالية فكر أو انفرادية وأنانية !

**١ـــ داود المرنم الحلو** ١ـــ٢ .

**٢ـــ سلطة خلال مخافة الله** ٣ـــ٤ .

**٣ـــ دخول فى عهد أبدى** ٥ .

**٤ـــ هلاك بنى بليعال** ٦ـــ٧ .

**٥ـــ أبطال داود الجبابرة** ٨ـــ٣٩ .

+ + +

### ١ـــ داود المرنم الحلو

**« فهذه هى كلمات داود الأخيرة . وحى داود بن يسّى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو »** ٢ صم ٢٣ : ١ .

يدعو كلماته « وحياً » إذ ترنم بها بوحى الروح القدس ، أُعطيت لداود بن يسى للرجل القائم فى العلا مسيح إله يعقوب ؛ ماذا يعنى هذا ؟

إنه بن يسى ، لن ينسى أصله ومركزه ، أصغر الأبناء ، عاش راعياً لغنم أبيه مجهولاً من الناس وغير معتبر حتى فى أسرته ( ١ صم ١٦ : ١٠ ، ١١ ) . كان مجهولاً من الناس لكنه معروف لدى الله : « القائم فى العلا » ، له رسالته وعمله من قبل الرب . إنه مسيح إله يعقوب ، فقد قال الرب لصموئيل : « قم امسحه لأن هذا هو » ١ صم ١٦ : ١٢ .

دُعى « مرنم إسرائيل الحلو » ، فقد كان حلواً فى مزاميره ، لأنها تسبيح وشكر وصلاة مقدمة بوحى الروح لتعيشها الكنيسة خلال العهدين القديم والجديد وتترنم بها فى صلواتها . جاءت حياة داود فى جملتها قيثارة روحية لعب على أوتارها روح الرب فقدم لنا فيض تسبيح يصلح أن يكون رصيداً مفرحاً للمؤمنين ، يبعث فيهم روح البهجة فى الرب .

هكذا يبرز داود ثلاثة جوانب فى شخصيته :

( أ ) أصله كابن يسى ، حتى لا ينتفخ ولا يتعالى .

(ب) مسحه لخدمة شعب الله « مسيح إله يعقوب » ؛ إن كان قد مسح ملكاً ونال مجداً عظيماً فهو من أجل شعب الله ، من أجل بنيان الجماعة المقدسة ، وليس للاستغلال لحساب نفسه أو بيته .

(جـ) له رسالة تقوية « مرنم إسرائيل الحلو » ، يرتفع بالشعب إلى الحياة السماوية الدائمة التسبيح .

هذا وقد دعا الله العامل فيه والناطق به : « روح الرب ، إله إسرائيل ، صخرة إسرائيل » ٢ صم ٢٣ : ٢ ، ٣ ، مبرزاً عمل الثالوث القدوس فى حياته . الروح القدس الذى هو روح الرب الناطق فى الأنبياء أوحى له بالمزامير ، ليعلن له عن الآب « إله إسرائيل » بالابن « صخرة إسرائيل » .

يقول **القديس أثناسيوس** : [ لأنه من الآب نعمة واحدة تتم بالابن فى الروح القدس . هناك طبيعة إلهية واحدة وإله واحد « على الكل وبالكل وفى الكل » أف ٤ : ٦[(١٣٢)] ] .

### ٢ـ سلطة خلال مخافة الله

إن كان داود قد تمجد ونال سلطاناً ، ذلك من خلال مخافته للرب ، الذى وهبه استنارة ليضيىء كشمس مشرقة فى الصباح بعد فترة ظلام ، وكتربة بدأت تنبت عشباً رواه المطر الإلهى . ما فيه من قوة وعظمة وثمار إنما هو عطية شمس البر ( السيد المسيح ) والمطر الإلهى . ( الروح القدس ) التى تمتع بهما خلال مخافة الله ، إذ يقول : « **إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله ، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس ، كعشب من الأرض فى صباح صحو مضيىء غب المطر** » ٢ صم ٢٣ : ٤ .

بمعنى آخر لن يتمتع مؤمن بإشراق شمس البر فيه ولا بثمار الروح ( المطر ) ما لم يتمتع بمخافة الله . يحدثنا **مار إسحق السريانى** عن بركات مخافة الله قائلاً :

+ مخافة الله هى بدء الفضيلة ويقال إنها بنت الإيمان[١٣٣] .
+ بدء حياة الإنسان الحقيقية هى مخافة الله . لكن مخافة الله لا تقبل السكنى فى نفس مشتتة فى أمور خارجية[١٣٤] .
+ كن حكيماً ، عندئذ ضع مخافة الله كأساس لرحلتك ، ففى أيام قليلة تُحضرك إلى باب الملكوت بدون منعطفات فى الطريق[١٣٥] .
+ الخوف هو العصا الأبوية التى تقود طريقنا حتى نبلغ الفردوس الروحى للصالحات . عندما يبلغ بنا إلى هناك يتركنا الخوف ويرجع . الفردوس هو حب الله !...[١٣٦]
+ التوبة هى السفينة ، الخوف هو ربانها ، والحب هو الميناء الإلهى . هكذا يدخل بنا الخوف إلى سفينة التوبة ، ويعبر بنا فوق بحر قاذورات هذه الحياة ، ويقودنا إلى الميناء الإلهى الذى هو الحب[١٣٧]

**مار اسحق السريانى**

يميز الآباء بين الخوف النابع عن الحب ، خوف البنين الذى لا يريد أن يجرح مشاعر والديه ، وخوف الأجير الذى ينبع عن تخوُّفه من فقدان المكافأة أو

الأجرة ، وخوف العبيد لسادتهم . باتحادنا بربنا يسوع المسيح نتمتع بخوف الابن ، إذ قيل عنه إنه يحمل مخافة الله .

**٣ــ دخول فى عهد أبدى**

كان هدف رجال العهد القديم ــ الآباء والأنبياء ــ التمتع بعهد مع الله ، هذا العهد كان رمزاً للعهد الأبدى الذى تحقق خلال دم المسيح ، فبه تمت مصالحة أبدية بين الله والإنسان ، وباستحقاقاته صار الإنسان مسكناً لله ومقدساً له .

يقول داود فى كلماته الأخيرة : « **أليس هكذا بيتى عند الله لأنه وضع لى عهداً أبدياً متقناً فى كل شىء ومحفوظاً ؟! أفلا يثبت كل خلاصى وكل مسرتى ؟!** » **٢ صم ٢٣ : ٥** . يترجمها البعض : « مع أنه ليس هكذا بيتى عند الله وضع لى عهداً أبدياً ... » إذ شعر داود النبى أنه لا يستحق التمتع بهذا العهد الأبدى مع الله فإن بيته ــ والديه وإخوته وربما قصد أولاده بالذات ــ لا يسلك بمخافة الله . العهد الإلهى هو هبة إلهية مجانية !

**٤ــ هلاك بنى بليعال**

« **ولكن بنى بليعال جميعهم كشوك مطروح لأنهم لا يؤخذون بيد ، والرجل الذى يمسهم يتسلح بحديد وعصا رمح ، فيحترقون بالنار فى مكانهم** » ٢ صم ٢٣ : ٦ ، ٧ .

لقد خشى داود النبى أن يصير أحد من نسله أو ممن يخلفه على الكرسى ابنا لبليعال ، فإنه لن يشفع فيه نسبه لداود ولا مركزه كملك على شعب الله ، إنما يُطرح خارجاً كالشوك لا يصلح لشىء بل يُحرق بالنار للخلاص منه . إنهم بعدل إلهى يهلكون .

ربما تحمد هذه الكلمات وصية للملوك خلفه والولاة وكل المسئولين أن يلتزموا بتأديب بنى بليعال بيد من حديد وعصا كرمح ...

يرى **القديس جيروم** أن أشرار الأرض ( بنى بليعال ) يُقتلعون فلا يكون لهم

موضع فى الكنيسة مدينة الرب ، فيقول : [ مدينة الرب هى كنيسة القديسين ، مجمع الأبرار(١٣٨) ] .

### ٥ـ أبطال داود الجبابرة

إن كان داود فى كثير من الأحداث يشير إلى السيد المسيح ، فإن أبطاله يشيرون أيضا إلى رجال الإيمان المنسوبين للسيد المسيح . وقد وردت أسماؤهم ( تختلف من وقت إلى آخر ) هنا للأسباب التالية :

( أ ) ذكرهم فى الكتاب المقدس يعتبر أعظم مكافأة يتمتعون به ، وذلك كما قال السيد المسيح عن المرأة التى سكبت الطيب على رأسه : « حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يُخبر أيضا بما فعلته هذه تذكاراً لها » مت ٢٦ : ١٣ ، وكما قال لتلاميذه : « افرحوا بالحرى أن أسماءكم كُتبت فى السموات » لو ١٠ : ٢٠ .

من يلتصق بربنا يسوع كجندى صالح ويجاهد قانونياً يتمتع بهذه الكرامة : تسجيل اسمه فى سفر الحياة .

(ب) تعتبر هذه القائمة مجداً لداود نفسه الذى دربهم على الجهاد والغلبة ... كل نصرة لنا وكل غلبة إنما هى لحساب ملكنا الحقيقى ابن داود ، وكما يقول **العلامة أوريجانوس** إنه هو الذى يدعونا للجهاد وهو الذى يعمل فينا مجاهداً ، يقدم لنا الإكليل وهو الذى يتقبله فينا ! وعلى العكس فإن كل فشل وتراخٍ فى حياتنا يصير علّة تجديف عليه .

(جـ) تعتبر مجداً وكرامة للأبطال أنفسهم الذين جاهدوا مع داود لكى يملك ولكى يثبت ملكه ؛ وفى نفس الوقت تعتبر دعوة لحث كل إنسان عبر الأجيال لحياة الجهاد حتى يملك ابن داود فى القلوب ، وتثبت مملكته فينا .

( د) ذكر هؤلاء الأبطال لا يعنى مجرد تفوقهم الحربى أو العسكرى وإنما ارتبط نجاحهم العسكرى وشجاعتهم بإيمانهم فلا نعجب إن رأينا يوآب ـــ الرجل الأول والقائد لجيش داود ـــ غير مذكور هنا ؛ فقد خسر إكليله بسبب غدره المستمر وغيرته الشريرة وحسده ، إذ قتل أبنير وغدر بعماسا وكان متجاسراً فى أحاديثه وحواره مع داود .

ويلاحظ فى قائمة هؤلاء الأبطال الآتى :

( أ ) أنهم من أسباط وقبائل مختلفة مثل يهوذا وبنيامين وجت وعمون ... هكذا يظهر عظماء رجال الإيمان من أمم كثيرة وشعوب متنوعة ؛ كما يوجد بينهم رجال ونساء وأطفال وشباب وشيوخ الخ ...

(ب) قُسِّم هؤلاء الأبطال إلى ثلاث درجات أو رتب :

★ ثلاثة أولون : يوشيب وألعازار وشمة ، وهم يشيرون إلى آباء وأنبياء وشعب العهد القديم .

★ ثلاثة تالون لهم : أبيشاى وبناياهو والثالث لم يُذكر اسمه ، يشيرون إلى الرسل والتلاميذ وشعب العهد الجديد .

★ ثلاثون ... يشيرون إلى عامة المؤمنين .

+ + +

## الأصحاح الرابع والعشرون
## الإحصاء والوباء

فى الأصحاحات ١١ــ٢١ تحدث الكاتب عن سقوط داود بسبب تهاونه مع الخطية لمدة لحظات فبقى سنوات طويلة يجنى ثمارها المرة وإن كانت هذه المرارة تحولت إلى مجده وبنيان الكثيرين خلال توبته المستمرة . الآن يُختتم السفر بخطأ خطير ارتكبه داود الملك وهو إحصاء الشعب لمعرفة عدد رجال الحرب دون استشارة الرب ، فحلَّ على الشعب تأديب قاسٍ هزّ أعماق نفس داود ؛ غير أنه عرف كيف يغتصب مراحم الله .

**١ــ إحصاء الشعب** ١ ــ٩ .

**٢ــ إدراك داود للخطأ** ١٠ .

**٣ــ جاد يستعرض التأديبات** ١١ــ١٤ .

**٤ــ حلول الوباء** ١٥ــ١٧ .

**٥ــ إرسال جاد لداود** ١٨ــ٢٥ .

+ + +

## ١ـ إحصاء الشعب

غضب الرب على داود ليس لأجل قيامه بالإحصاء فى حد ذاته ، فقد سبق أن أحصاهم موسى ثلاث مرات أو أكثر ( خر ٣٨ : ٢٦ ؛ عد ١ : ٢ ، ٣ ؛ عد ٢٦ ) ، إلهنا إله نظام لا تشويش . إنما غضب الرب للأسباب التالية أو بعضها :

( أ ) لم يستشر الرب كعادته .

(ب) بدأ داود يعتمد على عدد رجاله وإمكانياته مع أنه لو تطلع إلى حياته كلها منذ صبوته لوجد نفسه قد انطلق من رعاية الغنيمات القليلة التى لأبيه إلى استلام المملكة كلها بقوة إلهيه ، وليس بذراعه أو ذراع بشر . وفى مواقف كثيرة سواء لمقاومة الأعداء له أو المنشقين عليه كان الله يتدخل من حيث لا يدرى أحد . وقد عبَّر داود النبى كثيراً عن هذه الخبرة الطويلة .

(جـ) ربما قصد داود بهذا الإحصاء إثارة حروب جديدة لتوسيع مملكته وازدياد مجده .

( د) لعله أراد تسخير الشعب بوضع جزية مالية ثقيلة لحسابه الخاص أو حساب الخزانة وليس لحساب خيمة الاجتماع .

(هـ) يبدو أن الدافع الرئيسى هو الإعلان عن عظمته وقدراته وإمكانياته ، كما كان يفعل ملوك الأمم حوله ليرعب الأمم المجاورة ، وقد شاركه الشعب هذه الروح ، لذلك كانت الخطية على الجميع وليس على داود وحده . لقد حاول داود فى حبه أن ينسبها لنفسه ولبيت أبيه لكى يُصب التأديب كله عليه دون الشعب !

( و ) كان الشعب محتاجاً إلى تأديب ، فالله يسمح أحياناً بخطأ الراعى لتأديب الرعية ، لأنها مستحقة للتأديب ، إذ يقول الكتاب : « وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص ... »

( ز ) يرى البعض أن خطأ داود ينصب فى إصداره أمراً ليوآب أن يحصى الشعب بما فى ذلك من هم أقل من ٢٠ عاماً مادامت هيئتهم وطاقاتهم تناسب الحرب ؛ هذا التصرف ضد الشريعة والناموس ( ١ أى ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤ ) .

(ح) كما انصب الخطأ على عدم طلب نصف الشاقل الذى كان يجب دفعه للخيمة متى أُحصى الشعب كفدية عن نفوسهم ( خر ٣٠ : ١٢ ) .

لقد أدرك يوآب خطأ داود فحاول تنبيهه إلى ذلك لكن داود أصر . قال له يوآب : « ليزد الرب إلهك الشعب أمثالهم مئة ضعف وعينا سيدى الملك ناظرتان . ولكن لماذا يُسر سيدى الملك بهذا الأمر ؟ » ٢ صم ٢٤ : ٣ ؛ فاشتد كلام الملك على يوآب وعلى رؤساء الجيش ، فخضعوا لأمره .

## ٢ــ إدراك داود للخطأ

لعل من أجمل سِمات داود النبى والملك أنه متى أدرك خطأه فلا يغطى عليه ، ولا يقدم لله مبررات ، إنما فى بساطة قلب مع صراحة وفى رجاء يعترف حالاً دون أى تردد . « فقال داود للرب : لقد أخطأت جداً فى ما فعلت ، والآن يارب أزل إثم عبدك لأنى انحمقت جداً » ٢ صم ٢٤ : ١٠ . هذا هو القلب النقى الذى لا يحتمل أى غبار ، إنما فى الحال يصرخ معترفاً بخطيته .

## ٣ــ جاد يستعرض التأديبات الإلهية

دفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك ( ٢ صم ٢٤ : ٩ ) ، وعوض أن يفكر داود فى الرقم وغايته من التعرف عليه إذا بقلبه يضربه فى داخله ( ٢ صم ٢٤ : ١٠ ) ، وبقى الليل كله فى مرارة يترقب ثمر الخطأ الذى ارتكبه .

فى الصباح جاءه جاد النبى يعرض عليه حق إختيار العصا التى يُضرب بها من قبل الله للتأديب : [ سبع سنوات جوع ، هروب ثلاثة شهور أمام أعدائه وهم يتبعونه ، ثلاثة أيام وباء فى أرضه ] .

عندما ترك الرب لداود النبى أمر اختيار التأديب الذى يسقط تحته ضاقت نفسه ، ولكنه قال : « قد ضاق بى الأمر جداً ، فلنسقط فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط فى يد إنسان » ٢ صم ٢٤ : ١٤ . فجعل الرب وباء فى إسرائيل من الصباح إلى المساء ، فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع ٧٠٠٠٠ رجل . بسط الملاك يده ليهلك أورشليم ، لكن الرب ندم وقال للملاك : « كفى الآن رد يدك » .

يرى البعض أن الملاك كان على ذات جبل المريا الذى قدم فيه إبراهيم إسحق ذبيحة ... وكأن توقف الهلاك كان من خلال ذبيحة الابن الحبيب !

**٤ــ حلول الوباء**

وسط التأديب القاسى المرّ كشف الكتاب المقدس عن حب داود الفائق لشعبه ، فإنه إذ رأى شعبه تحت الضيق صرخ طالباً أن تحل الضيقة به وببيت أبيه لا بالشعب . إنه مستعد كسيده ( رب المجد يسوع ) أن يتقدم الرعية ليحتمل المخاطر عنهم ، لا أن يختبىء فى وسطهم طالباً عنايتهم به .

+ فى اختيار العقوبات لم يختر المجاعة ولا الهروب أمام الأعداء بل الوبأ المرسل من قبل الله ؛ لقد ترجى أن يكون الجميع فى سلام ويحتمل هو العقوبة دون غيره . وإذ لم يحدث هذا ناح وقال : « فلتكن يدك علىّ » ، وإن كان هذا لا يكفى « وعلى بيت أبى » . يقول ايضا : « أنا الراعى أخطأت » [ الترجمة السبعينية ] . كأنه يقول : حتى إن كانوا هم قد أخطأوا فأنا هو الشخص الذى يجب أن يحتمل العقوبة لأننى لم أصلحهم . إنها خطيتى أنا أيضا لذا أستوجب العقوبة . ولكى يزيد من جريمته استخدم لقب « الراعى » ... عظيمة هى قوة الاعتراف[١٣٩] .

+ يقول : « أنا الراعى أخطأت » . لقد أذنبت ، أما هذا القطيع فماذا فعل ؟ لتكن يدك علىّ وعلى بيت أبى .

إبراهيم ( أيضا ) لم يطلب ما لنفعه الخاص بل ما هو لنفع الكثيرين ، لهذا عرض نفسه للمخاطر ، وسأل الله من أجل الذين لا ينتمون له ( أهل سدوم وعمورة )[١٤٠] .

+ ليتنا نطلب العقوبة لأنفسنا متى أخطأنا ضد ذاك الذى ينبغى ألا نخطىء فى حقه ... إن كنا نحب المسيح كما ينبغى يلزمنا أن نعاقب أنفسنا عندما نخطىء[١٤١] .

**القديس يوحنا الذهبى الفم**

## ٥ـ إرسال جاد لداود

سمع الله لصرخات داود المملوءة حباً تجاه شعب الله واستجاب له ، فقد أرسل إليه جاد النبى ليقيم مذبحا فى الموضع الذى ظهر له فيه الملاك ، فى بيدر أرونة اليبوسى ، مؤكداً له الآتى :

( أ ) قد تم التصالح بين الله وداود ، لأن إقامة مذبح وتقديم ذبيحة وقبولها من جانب الله يعنى تحقيق المصالحة .

(ب) أن المصالحة تتم خلال الذبيحة ، رمز ذبيحة المسيح الكفارية .

رأى أرونة وهو رجل أجنبى يبوسى الملاك ، ثم عاد فرأى الملك قادماً فارتبك جداً وتحير ، لذا سجد أمام داود الملك على وجهه إلى الأرض ، وسأله عن سر مجيئه . طلب منه أن يشترى منه البيدر ليقيم المذبح فيه فتكف الضربة عن الشعب . أراد أرونة أن يقدم البيدر مجاناً لبناء المذبح وبقره محرقات ونوارجه وأدوات البقر حطباً للمحرقات ؛ لكن داود رفض أن يقدم تقدمات مجانية للرب وأصر أن يدفع الثمن ٥٠ شاقلاً من الفضة .

رقم ٥٠ يشير إلى الحرية التى يتمتع بها الإنسان داخليا بالروح ( اليوبيل ، عيد العنصرة ) ، هكذا يرتبط المذبح والذبيحة بعمل الروح القدس واهب الحرية .

على ذات الموضع أقيم فيما بعد هيكل سليمان .

كان أرونه أممياً ، لكنه تمتع برؤيه الملاك ، اتسم بالاتضاع والحب مع البذل والعطاء ، لذا أقيم الهيكل فى أرضه ... ليت إنساننا الداخلى يكون كأرونة فيقيم الرب هيكله فينا .

# الملاحظـــات

## مقدمة فى سفر صموئيل الثانى

## الأصحاح الأول

1 - In 2 Thes. PG 62: 498.

2 - St. Cassian: Conf. 17:15.
3 The Sayings of the Desert Fathers, Anba Anoub.
4 - Duties of the Clergy 3:9 (61).
5 - cf. Nelson: A New Catholic Commentary on Holy Scripture, 1969, p 318.

٦ـــ راجع تعليقات على هذه المرثاة فى كتاب « السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم » : صموئيل الثانى .

7 - The Jerome Biblical Commentary, p 174.
8 - In 2 Tim. hom 7.
9 - Ibid.

## الأصحاح الثانى

10- Eccl. Hist. 1:3.
11- In 2 Cor. hom. 3.
12- On Sacraments 4:1.
13- St. Jerome: Dialogue against Luciferians.
14- New Westminster Dict. of the Bible, p. 580.
15- Ibid, p. 329.
16- Ibid, p. 66.

## الأصحاح الثالث

17- Ep. 55 (Oxford ed. Ep. 28).
18- On Ps. hom. 55.
19- On Hebr. hom. 23:9.
20- On Acts. hom. 3.
21- New Westminster Dict. of the Bible, p. 89.
22- J.L. McKenzie: Dict. of the Bible, p. 77.

## الأصحاح الرابع

23- Strong's Exhaustive Concordance of the Bible, art. 1195.
24- Ibid, art. 7394.
25- Ibid, art. 7416.
26- Westminster Dictionary of the Bible, p. 99.

## الأصحاح الخامس

27- The New Westminster Dict. of the Bible, p. 449.
28- Ibid.
29- Antiq. 5:2:2.
30- On Ps. 27.
31- On Ps. 16.
32- On Ps. hom. 16.
33- The New Westminster Dict. of the Bible, p. 319.

## الأصحاح السادس

34- Ibid, p. 541-2.

٣٥ـــ كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ـــ صموئيل الثانى ٦ .

36- On Acts. hom. 12.
37- Duties of thc Clergy 1:43:23.
38- On Ps. 30 (29).
39- Ibid.

٤٠ـــ راجع : من تفسير وتأملات الآباء الأولين : هوشع ( الأصحاح الأول ) .

## الأصحاح السابع

41- On Exod. hom. 13.
42- Ibid hom. 9.
43- City of God 17:8.
44- Lactantius: The Divine Institutes 4:13.
45- City of God: 17:9.

## الأصحاح الثامن

46- The Westminster Dict. of the Bible, p. 57.
47- Ibid, p. 105.

٤٨ـــ قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٠٧ .

## الأصحاح التاسع

49- On Ps. 60.

## الأصحاح العاشر

50- Westminster Dict. of the Bible, p. 1023.
51- Joseph. Antiq. 7:5:5.

## الأصحاح الحادى عشر

52- Westminster Dict. of the Bible, p. 788.
53- Ibid p. 111.
54- Ibid p. 574.
55- Ibid p. 954.

## الأصحاح الثانى عشر

56- The Ascetical homilies, hom. 22.
57- hom. 37.
58- hom. 48.
59- hom. 62.
60- On Ps. 50 (51).
61- Constit. of the Holy Apostles 7:1.
62- Ascetical Homilies, hom. 48.
63- On Matt. hom. 75.
64- Iren. ad Haer. 4:27:1.
65- hom. 32.
66- On Ps. 51 (50).
67- In 2 Cor. hom. 4.
68- Institutes 12:11.
69- Ad Marcion 2:17.
70- hom. 48.
71- On Matt.
72- On Colos. hom. 8.
73- hom. 48.
74- hom. 64.
75- St. Augustine: On Ps. 127.

## الأصحاح الثالث عشر

٧٦ـ راجع كتابنا : الحب ، مفهومه ودرجاته ( الحب والشهوة ) .

77- McKenzie: Dict. of the Bible, p. 26.
78- Unger's Bible Dictionary, Chicago 1966, p. 45.

79- The Westminster Dict. of the Bible, p. 83.
80- Origen's Commentary on John, 33.

## الأصحاح الرابع عشر

81- hom. 64.
82- The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, 1984, p. 395.
83- Paed. 3:1.
84- Ibid.
85- Ibid. 3:2.

## الأصحاح الخامس عشر

86- hom. 5
87- On Humility.
88- On Ephes, hom. 15.
89- Unger's Bible Dictionary, p. 407.
90- On Ps. 3.
91- hom. 48.

## الأصحاح السادس عشر

92- On Grace & Free-will ch. 41.
93- Ibid.
94- Institutes 8:8.
95- In Matt. hom. 3.

## الأصحاح السابع عشر

96- Strong's Exhaustive Concordance of the Bible, art. 302.

٩٧– من تفسير وتأملات الآباء الأولين : الانجيل بحسب مرقس ، ص ٢٥١ .

98- On Ps. 12.
99- Strong..., art. 2365.

١٠٠– راجع أقوال الآباء فى هذا الشأن فى كتابنا : « الحب الجامع أو دور الشعب كنسياً » .

101- Strong, art. 6659.
102- Ibid, art. 54.
103- Ibid, art. 3129.
104- Ibid, art. 290.
105- Ibid, art. 5883.

١٠٦ــ راجع كتابنا : دعونى أنمو ، ١٩٨٨ ، باب ٣ ، ٦ .

107- Strong, art. 980.
108- Ibid hom. 48.
109- Strong, art. 6021.
110- Ibid, art. 7629.
111- Ibid, art. 4353.
112- Ibid, art. 5988.
113- Ibid, art. 1271.

## الأصحاح الثامن عشر

114- Conc. Virgins 2:29.
115- adv. Jovinianus 2:3.
116- On Ps. 22.

١١٧ــ الحب الإلهى ، ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .
١١٨ــ الحب الإلهى ، ص ٤٦٩ .
١١٩ــ الحب الإلهى ، ص ٤٦٩ .

## الأصحاح التاسع عشر

١٢٠ــ الحب الرعوى ، ص ١٤٧ .

## الأصحاح العشرون

121- Westminster Dict. of the Bible, p. 860.

١٢٢ قاموس الكتاب المقدس ، ص ١ .

## الأصحاح الحادى والعشرون

123- Westminster Dict. of the Bible, p. 3.
124- The Jerome Biblical Commentary, p. 178.
125- Westminster Dict. of the Bible, p. 1020.
126- In 2 Thess. hom. 4.

## الأصحاح الثانى والعشرون

127- On Ps. 90 (91).
128- On Ps. 18.
129- Ibid.
130- Ibid.
131- Ibid.

## الأصحاح الثالث والعشرون

132- Ep. ad. Serap. 1:14.
133- hom. 1:1.
134- hom. 1:10.
135- hom. 1.21.
136- hom. 46.
137- Ibid.
138- On Ps. hom. 27.

## الأصحاح الرابع والعشرون

139- On Rom. hom. 29.
140- On 1 Cor. hom. 25.
141- On 2 Cor. hom. 11.

+ + +

## صدر عن هذه السلسلة

### العهد الجديد

1. متى
2. مرقس
3. لوقا
4. مقدمة يوحنا
5. رومية
6. كورنثوس الأولى
7. كورنثوس الثانية
8. غلاطية
9. أفسس
10. تسالونيكي الأولى
11. تسالونيكي الثانية
12. تيموثاوس الأولى
13. تيموثاوس الثانية
14. تيطس
15. فليمون
16. العبرانيين
17. يعقوب
18. بطرس الأولى
19. بطرس الثانية
20. رسائل يوحنا الثلاث
21. رسائل يهوذا
22. رؤيا يوحنا اللاهوتي

### أسفار العهد القديم

1. التكوين
2. الخروج
3. اللاويين
4. العدد
5. التثنية
6. يشوع
7. القضاة
8. راعوث
9. صموئيل الأول
10. صموئيل الثاني
11. ملوك أول
12. أستير
13. المزامير
14. الأمثال
15. أشعياء
16. أرميا (جزءان)
17. حزقيال
18. دانيال
19. نشيد الأناشيد
20. هوشع
21. يوئيل
22. عاموس
23. عوبديا
24. يونان النبي
25. ناحوم
26. حبقوق
27. حجي
28. زكريا
29. ملاخي
30. الجامعة

### يطلب من:

- مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة
- كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس / سيدي بشر / الإسكندرية
- كنيسة مارجرجس سبورتنج / الابراهيمية / الإسكندرية

الثمن ٢٢٥ قرش